

تحذير البرية من مظاهر شركية

اشتمل الكتاب على التحذير من أهم الشركيات وأكثرها انتشارا
في الأزمنة المتأخرة

تأليف /

أبي عبدالرحمن موفق بن أحمد بن علي الفاضلي

تقديم /

الشيخ الفاضل /

أبي عبد الله محمد بن أحمد العنسي.

والشيخ الفاضل /

أبي عبد الله طارق بن محمد الخياط البعداني

والشيخ الفاضل /

أبي أحمد علوي بن أحمد الأحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الشيخ محمد العنسي - حفظه الله -

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

وبعد:

فإن حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً.

والشرك بالله منازعة لله في حقه، فعلى أهل العلم والدعاة إلى الله أن يقوموا بما أوجب الله عليهم من نشر توحيد الله عز وجل، والتحذير من الشرك ووسائله ومظاهره.

وممن له مشاركة طيبة في هذا الباب، ومساهمة جيدة، أخونا المفضل الداعي إلى الله أبو عبدالرحمن موفق بن أحمد بن علي الفاضلي وفقه الله لكل خير وزاده الله من فضله وثبتنا وإياه على الحق حتى نلقاه ونفع به الإسلام والمسلمين، إنه على كل شيء قدير والحمد لله رب العالمين.

وكتب، أبو عبد الله محمد بن أحمد العنسي

١٠ جمادى الآخرة سنة ١٤٤٠ هجرية

مقدمة الشيخ طارق البعداني - حفظه الله -

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبيه محمد الصادق الأمين، وعلى صحابته أجمعين.
وبعد:

فقد قرأت رسالة (تحذير البرية) لأخينا الداعي إلى الله المبارك/موفق بن أحمد بن علي الفاضلي حفظه الله ورعاه، ونفع به وبرسالته الإسلام والمسلمين، وكبت به وبرسالته الشرك والمشركين والمبتدعة الزائغين وأهل الأهواء أجمعين، فألفيتها رسالة نافعة استفاد من أهل الشأن الموحدين، فجزاه الله خيرًا عن الإسلام والمسلمين والحمد لله رب العالمين.

كتبه طارق بن محمد الخياط البعداني عصر يوم الثلاثاء ١٤/صفر/١٤٤٠هـ
اليمن - مدينة إب - مسجد التوحيد بدار الشرف

مقدمة الشيخ الفاضل علوي الأحمدى - حفظه الله -

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله - صلى الله عليه وسلم، أما بعد: فيقول الله تعالى: { قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } [يوسف : ١٠٨] وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - لمعاذ بن جبل - رضي الله عنه -: " فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله «، وبوّب الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - على الآية والحديث باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله.

ومن فضل الله عزوجل على أهل السنة والجماعة توفيقهم إلى السير في الدعوة سيراً صحيحاً مهتمين بشأن التوحيد والتحذير من الشرك اقتداءً بالأنبياء والمرسلين.

فمن هذا المنطلق كان كتاب أخينا موفق بن أحمد الفاضلي الذي أسماه **(تحذير البرية من مظاهر شركية)** مساهمةً منه في هذا المجال، ونصيحةً للأمة وتحذيراً مما لا يرضاه الله ذو الجلال والإكرام.

وقد جمع فيه مباحث متنوعة من كتب أهل الشأن مع العزو إلى المصادر التي ذكرها في آخر الكتاب، فأسأل الله أن يبارك في هذا الكتاب، وأن يعم النفع به.

كتبه علوي بن حمد الأحمدى ٢٠ / صفر / ١٤٤١ هـ

المقدمة

الحمد لله المحمود بكل لسان، المعبود في كل زمان، الذي لا يخلو من علمه مكان، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا شيء مثله ، ولا شيء يعجزه ولا إله غيره ، لا يفنى ولا يبدي، ولا يكون إلا ما يريد، الأول بلا بداية، والآخر بلا نهاية ، لا تدركه الأفهام، ولا يشبهه الأنام ،حي لا يموت، قيوم لا ينام ، وأشهد أن محمداً عبده المصطفى، ونبيه المجتبي، ورسوله المرتضى، وخاتم الأنبياء، وإمام المتقين، وسيد المرسلين، وخليل رب العالمين، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

فهذا كتاب بعنوان: "تحذير البرية من مظاهر شركية" جمعته من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وكتب أهل العلم، راجيا المولى جل وعلا أن يفنني به وإخواني المسلمين، وقد ذكرت من هذه الشركيات ما كان أكثر ظهوراً وأوسع انتشاراً ولم أستوعب كل ما يحصل من الشرك؛ لأن البحث في ذلك يطول، وإنما اقتصر على ما يسره الله في هذه الرسالة، وإلا فمكتبات أهل السنة والجماعة تخر بكتب التوحيد والله الحمد والمنة، وإنما قمت بهذا العمل من باب المشاركة في الدعوة إلى التوحيد والتحذير من الشرك وأهله كما هي طريقة الأنبياء وأتباعهم، وفي بادئ الأمر كنت قد عرضت الرسالة على شيخنا العلامة المحدث أبي عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري - حفظه الله - فأشار علي بأن أزيد فيها بعض المباحث، بحيث يصير البحث أوسع مما كان عليه أن ذاك، فزدته فصلاً سادساً وبعض الإضافات في بعض المباحث، ولعل الله أن ييسر بزيادات في الطبقات القادمة بإذن الله تبارك وتعالى والله المستعان، وعليه التكلان، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وكانت خطة البحث كفصول تحتها مباحث على النحو التالي :

الفصل الأول :

المبحث الأول : التوحيد وأهميته

المبحث الثاني : الشرك وخطره

الفصل الثاني :

المبحث الأول : الشرك في الدعاء

المبحث الثاني : الشرك في الاستغاثة

المبحث الثالث : الشرك في الاستعانة

المبحث الرابع : الشرك في الاستعاذة

الفصل الثالث :

المبحث الأول : التطير

المبحث الثاني : التنجيم

المبحث الثالث : الشرك في الاستسقاء

المبحث الرابع : الشرك في الأيمان^(١)

الفصل الرابع :

المبحث الأول: من الشرك قول ما شاء الله وشئت
المبحث الثاني : الإلحاد في أسماء الله وصفاته
المبحث الثالث:(لو) الاعتراضية على القدر.

الفصل الخامس :

المبحث الأول : تعليق التمام
المبحث الثاني : الكهانة والعرافة
المبحث الثالث : السحر

الفصل السادس :

المبحث الأول : الشرك في التبرك
المبحث الثاني : الشرك في الذبح
المبحث الثالث : الشرك في النذر

الفصل السابع:

المبحث الأول :الشرك في الرياء
المبحث الثاني:الشرك في الإرادة
المبحث الثالث :الشرك في المحبة
المبحث الرابع :الشرك في الخوف

وبالله التوفيق

الفصل الأول : المبحث الأول : التوحيد وأهميته :

تعريف التوحيد لغة : مصدر وحد الشيء إذا جعله واحداً .
التوحيد اصطلاحاً : إفراد الله تعالى بما يختص به من الألوهية والربوبية والأسماء والصفات .

أقسام التوحيد :

استقرأ العلماء نصوص الكتاب والسنة فوجدوا أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام وهي :

١ - توحيد الربوبية

٢ - توحيد الألوهية

٣ - توحيد الأسماء والصفات

وهذه الأقسام الثلاثة موجودة في آية واحدة من القرآن الكريم وهي قوله تعالى : ﴿ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم الآية : ٦٥]
فقوله تعالى: {رب السماوات} توحيد الربوبية.

وقوله: {فاعبده} توحيد الألوهية.

وقوله: {هل تعلم له سمياً} توحيد الأسماء والصفات.

وهي موجودة أيضا في سورة الفاتحة، إضافة إلى توحيد المتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم.

فقوله تعالى: {الحمد لله} توحيد الألوهية.

وقوله: {رب العالمين} توحيد الربوبية.

وقوله: {الرحمن الرحيم} توحيد الأسماء والصفات.

وقوله: {اهدنا الصراط المستقيم* صراط الذين أنعمت عليهم} توحيد المتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم.

والذين أنعم الله عليهم هم الأنبياء عليهم السلام كما بينه تعالى في آية النساء فقال سبحانه: { وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا } [النساء : ٦٩] وعلى رأسهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الذي يجب على هذه الأمة متابعته.

أهمية التوحيد :

للتوحيد شأنٌ عظيم ، وأهمية بالغة ، وقدر كبير عند الله سبحانه وتعالى ، وعند أهل معرفته ، فمن أجل التوحيد خلق الله السماوات والأرض ، ومن أجله خلق الجنة والنار، ومن أجله تنصب الموازين، وتنشر الدواوين، ومن أجله أنزل الله الكتب ، وأرسل الرسل، ومن أجله خلق الله الخلق.

قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ {الذاريات الآية} ٥٦

أي ليوحدون، والعبادة إذا أطلقت فالمقصود بها توحيد الألوهية .

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله تعالى - : « .. فالحكمة من خلقهم هي عبادة الله ، والعبادة هي التوحيد لأن الخصومة فيه بين الرسول صلى الله عليه وسلم وقريش فهم يعبدون الله ويظفون له ويصلون ، ولكن على غير الإخلاص والوجه الشرعي »^(١)

ولأجل توحيد الله شرع الجهاد في الأرض لإعلاء كلمة التوحيد (لا إله إلا الله).

فقد جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها » الحديث (١)

فأهل التوحيد معصومو الدم والمال ، ولهذا لما قالها المنافقون نفعتهم في الدنيا بمجرد النطق بها فعصمت بها دماؤهم وأموالهم ، وأما في الآخرة فلم تنفعهم لأنهم لم يكونوا من أهلها ظاهراً وباطناً .
و أنكر النبي صلى الله عليه وسلم على أسامة بن زيد رضي الله عنه - حينما قتل الرجل بعد أن قال : لا إله إلا الله ، لعظم شأن هذه الكلمة .

فعن أسامة بن زيد بن حارثة - رضي الله عنهما - قال بعثنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الحرقة من جهينة فصبحنا القوم فهزمناهم ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم فلما غشينا قال لا إله إلا الله فكف عنه الأنصاري وطعنته برمحي حتى قتلته . قال فلما قدمنا بلغ ذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال لي « يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله . » قال قلت يا رسول الله إنما كان متعوذاً . قال فقال « أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله . » قال فمأزال يكررها علي حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم . (٢)
وفي رواية: قال: قلت: يا رسول الله، إنما قالها خوفاً من السلاح، قال: «أفلا شفقت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟» الحديث.

يتبين من هذا الحديث فضل هذه الكلمة العظيمة وأن دماء المسلمين الموحدين معصومة ولا يجوز لمسلم أن يقتل مسلماً يقول: لا إله إلا الله ويعمل بها.

فهذا الرجل قالها في اللحظات الأخيرة من حياته ، فظن أسامة رضي الله عنه أنه قالها لينجو من القتل فاجتهد فقتله فأنكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم.

ولا يفهم من حديث أسامة - رضي الله عنه - أن كل من قال لا إله إلا الله ولم يعمل بها بأنه موحد معصوم الدم، فلا بد من العمل بها واجتناب نواقضها، فمن قالها وظهر منه ارتكاب بعض نواقضها من الشركيات أو الكفریات فإنها لا تنفعه ولو قالها ولا تعصم دمه، فإن أبا بكر رضي الله عنه قاتل مانعي الزكاة وهم يقولون لا إله إلا الله، ففي الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال لما توفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - واستخلف أبو بكر بعده وكفر من كفر من العرب قال عمر بن الخطاب لأبي بكر كيف تقابل الناس وقد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله . » فقال أبو بكر والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لقاتلنهم على منعه . فقال عمر بن الخطاب فوالله ما هو إلا أن رأيت الله عز وجل قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق .

ولا يجوز الطعن في أسامة رضي الله عنه أو تنقصه بسبب أنه قتل ذلك الرجل بعد ما قالها ، فإنه اجتهد في قتله ظاناً أنه لا يزال مشركاً وأنه ما قالها إلا لينجو من القتل كما تقدم من كلامه ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد عذره لتأوله ولم يحمله مسؤولية ذلك الفعل.

وأما قوله رضي الله عنه: " حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم " . يعني: أنه تمنى أن لو حصل منه ذلك قبل الإسلام كان أهون ثم يسلم لأن الإسلام يحو ما قبله وهذا من صدقه وندمه على هذا الخطأ رضي الله عنه .

(١) متفق عليه البخاري (١٤٠٠، ١٤٥٧، ٦٩٢٤) ، ومسلم (٢٠)

(٢) متفق عليه

قال النووي - رحمه الله - عند قوله صلى الله عليه وسلم "أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا": "ومعناه أنك إنما كلفت بالعمل بالظاهر وما ينطق به اللسان وأما القلب فليس لك طريق إلى معرفة ما فيه فأفكر عليه امتناعه من العمل بما ظهر باللسان وقال أفلا شققت عن قلبه لتتظر هل قالها القلب واعتقدتها وكانت فيه أم لم تكن فيه بل جرت على اللسان فحسب يعنى وأنت لست بقادر على هذا فاقصر على اللسان فحسب يعنى ولا تطلب غيره، وقوله: "حتى تمنيت أنى أسلمت يوماً" معناه لم يكن تقدم إسلامي بل ابتدأت الآن الإسلام ليمحو عنى ما تقدم وقال هذا الكلام من عظم ما وقع فيه.. " اهـ^(١)

وقال الخطابي - رحمه الله -: لعل أسامة تأول قوله تعالى: {فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا} الآية [غافر : ٨٥] ولذلك عذره النبي صلى الله عليه وسلم فلم يلزمه دية ولا غيرها. اهـ^(٢)

فمن قال هذه الكلمة العظيمة باطنا وظاهرا نفعته في الدنيا والآخرة ومن قالها ظاهرا فقط ولم يظهر منه ما يناقضها وجب الكف عنه في الدنيا لكنها لا تنفعه يوم القيامة ولذلك لم تنفع فرعون لعنه الله حينما قالها عند الموت لعدم إقراره بها في حياته، وكحال المنافقين إذ قالوها ظاهرا فعصمت دماءهم فكف عنهم النبي صلى الله عليهم وسلم فلم يعاملهم معاملة المشركين.

قال ابن القيم - رحمه الله - : وهي (أي كلمة التوحيد) مفرع أوليائه وأعدائه فإن أعداءه إذا مسهم الضر في البر والبحر فزعوا إلى توحيده وتبرءوا من شركهم ودعوه مخلصين له الدين وأما أوليائه فهي مفرعهم في شوائب الدنيا والآخرة ولهذا كانت دعوات المكروب: لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض رب العرش الكريم، ودعوة ذي النون التي ما دعا بها مكروب إلا فرج الله كربه لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين^(٣)

فإنه سبحانه وتعالى يخلص أوليائه الموحدين من كربات الدنيا والآخرة، بينما يخلص أعداءه من كرب الدنيا فقط بهذه الكلمة العظيمة .

فيجب على كل مؤمن أن يجتهد في شأن التوحيد قولاً وعملاً واعتقاداً ودعوة وصبراً على ذلك ، لا سيما وقد وجد من يزهد في التوحيد ، وهم المتحزبة والمتصوفة الطاعنون في السنة ، إذ يقولون : سنأخذ التوحيد في نصف ساعة ، أو يقولون : التوحيد فهمناه ، وهم غارقون في الشركيات والبدع ، وهذا جهلٌ عظيم وضلال مبين . قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب النجدي - رحمه الله تعالى - : « لا يقول: التوحيد فهمناه إلا جاهل ... » . ومن أقوالهم : (إن أهل السنة شغلوا أنفسهم بالتوحيد والشرك ، يدندنون حول شرك القبور ، ونسوا شرك القصور) .

ومرادهم بذلك تكفير الحكام والخروج عليهم ، وأن الحكام عندهم مشركون شركاً أكبر ، وعند المحاققة فإنهم لم يفهموا الشرك ، ولم يعلموا متى يكون هذا الحاكم كافراً ، ولم يتعلموا شروط التكفير و موانعه ، وما هي التفاصيل في كفر من حكم بغير ما أنزل الله، فغرقوا في الضلالات وأقاموا المظاهرات والانقلابات وحرصوا الشعوب على حكاهم وزعزعوا أمن البلاد، ووقعوا في البدع والمحدثات بسبب جهلهم وإعراضهم عن العلم الشرعي الذي به نجاتهم في الدنيا والآخرة، فما أحوجهم إلى أن يتفقهوا في دين الله حتى يفهموا الدين كما أراد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ومن ثم سيفهمون الواقع الذي يدندنون حوله ، فهذا الذي ننصحهم به، وندعوهم إليه ، فأهل السنة هم الذين فهموا الدين ثم فهموا الواقع من صميمه لأنهم أهل علم ومنهج سليم والله الحمد والمنة .

(١) « شرح النووي على مسلم.

(٢) انظر فتح الباري لابن حجر.

(٣) « إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان - (٢ / ١٣٤)

دعوة القرآن والرسول عليهم السلام إلى التوحيد :

لقد كانت دعوة القرآن الكريم إلى توحيد الله - لأهميته، أعني توحيد الألوهية؛ لأنه هو الذي كان موطن النزاع بين الرسل وأقوامهم - فإن ثلث القرآن أحكام ، وثلثه قصص ، وثلثه توحيد وكلها تدور حول توحيد الله عز وجل ، وإن أول أمر في القرآن الكريم هو الأمر بتوحيد الله، قال تعالى في سورة البقرة : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ٢١]

القرآن كله توحيد :

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى :- "وغالب سور القرآن بل كل سورة في القرآن فهي متضمنة لنوعي التوحيد بل نقول قولاً كلياً إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد شاهدة به داعية إليه فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله فهو التوحيد العلمي الخبري وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع كل ما يعبد من دونه فهو التوحيد الإرادي الطلبي وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته في نهيه وأمره فهي حقوق التوحيد ومكملاته وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة فهو جزاء توحيده وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبي من العذاب فهو خبر عن خروج عن حكم التوحيد ، فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم ف الحمد لله توحيد رب العالمين توحيد الرحمن الرحيم توحيد مالك يوم الدين توحيد إياك نعبد توحيد وإياك نستعين توحيد اهدنا الصراط المستقيم توحيد متضمن لسؤال الهداية إلى طريق أهل التوحيد الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين الذين فارقوا التوحيد ولذلك شهد الله لنفسه بهذا التوحيد وشهد له به ملائكته وأنبيأؤه ورسله قال: {شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم إن الدين عند الله الإسلام} الآية [آل عمران ١٨ : ١٩] اه^(١)

وهكذا دعت إلى هذا الأمر العظيم جميع الرسل قال تعالى : { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } [الأنبياء : ٢٥]

فأول الرسل نوح عليه السلام دعا قومه إلى توحيد الله عزوجل ، وخاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم دعا إلى توحيد الله من أول ما بعثه الله إلى أن توفاه ، فكان يخرج إلى الأسواق ويقول للناس « قولوا لا إله إلا الله تفلحوا »^(٢) واستمر على ذلك ثلاثة عشر عاماً وهو في مكة ثم هاجر إلى المدينة وهو لا يزال يدعو إلى هذه الكلمة العظيمة ثم إلى بقية شرائع الدين ، وتوفي عليه الصلاة والسلام وهو يدعو إلى التوحيد، وفي مرض موته كان يقول - كما في حديث عائشة - رضي الله عنها- : « لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ . قَالَتْ فَلَوْلَا ذَلِكَ أَبْرَزَ قَبْرُهُ غَيْرَ أَنَّهُ خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا . »^(٣) يحذر من الشرك وذرائعه .

ولما أرسل معاذ بن جبل - رضي الله عنه - إلى اليمن قال له : « إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله »^(٤) وفي رواية للبخاري رقم (٧٣٧٢) « إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ أَنْ يُوحِدُوا اللَّهَ تَعَالَى ... » الحديث

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين - (٣ / ٤٥٠ - ٤٤٩ -) .

(٢) رواه أحمد والبيهقي عن ربيعة بن عباد وصححه الألباني

(٣) متفق عليه

(٤) متفق عليه

التوحيد حق الله على العبيد :

توحيد الله فرض واجب على كل عبد، بل لا يكون العبد مسلماً إلا بتحقيق توحيد الله، ويكون ذلك بالأقوال والأفعال والاعتقادات، إذ إن التوحيد من الدين بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قطع الرأس صار الجسد جثة هامدة ، فإذا فقد العبد توحيد لربه فلا دين له ، لأنه فقد أصل الدين الذي يكون به مسلماً .
فالتوحيد هو حق الله على العبيد كما جاء عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ - رضي الله عنه - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- "يَا مُعَاذُ أَنْتَدِرِي مَا حَقَّ لِلَّهِ عَلَى الْعِبَادِ" قَالَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ : "أَنْ يَعْبُدُوهُ ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا أَنْتَدِرِي مَا حَقَّهُمْ عَلَيْهِ" قَالَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ : "أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ." (١)

قال الشيخ عبدالرحمن آل الشيخ قوله: «أن يعبدوه» : ومعنى العبادة هي أن يوحدوه" اهـ (٢)

فأما الحق الذي على الله لعباده الموحدين : فهو حق تفضل ورحمة ولا يستطيع أحد من العباد أن يوجب عليه شيئاً، إلا ما أوجب على نفسه، وأما الحق الذي على العباد لربهم فهو حق واجب.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : (كون المطيع يستحق الجزاء هو استحقاق إنعام وفضل وليس هو استحقاق مقابل كما يستحق المخلوق للمخلوق) (٣) اهـ

ولفضل التوحيد وأهميته حرم الله أجساد الموحدين على النار إما تحريماً كلياً وإما تحريم خلود في النار، وذلك حسب ما يقتضيه الموحدين من الذنوب، فإن اقترف الموحدين من الذنوب فهو تحت المشيئة، إن شاء الله عذبه وإن شاء غفر له ، وإن عذبه فإن ماله إلى الجنة بتوحيده ، وإن كان من أهل التوحيد الكامل حرم الله عليه النار مطلقاً.
فقد جاء في حديث عتبان - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « فإن الله حرم على النار من قال : لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله » (٤) .

قال الشيخ عبدالرحمن آل الشيخ : (ففي الحديث أن الله حرم النار على أهل التوحيد الكامل) اهـ (٥)

فالموحدون هم الناجون يوم القيامة بإذن الله رب العالمين، فقد جاء في حديث البطاقة ، كما في حديث عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "إِنَّ اللَّهَ سَيَخْلُصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُنْشَرُ عَلَيْهِ تِسْعَةٌ وَتَسْعِينَ سَجَلًا كُلُّ سَجَلٍ مِثْلُ مَدِّ الْبَصْرِ ثُمَّ يَقُولُ : أَنْتَ كَرَمٌ مِنْ هَذَا شَيْئًا ؟ أَظْلَمَكَ كَتَبْتَنِي الْحَافِظُونَ ؟ فَيَقُولُ : لَا يَا رَبِّ فَيَقُولُ : أَفْلكَ عذر ؟ فَيَقُولُ : لَا يَا رَبِّ فَيَقُولُ : بلى إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم فتخرج بطاقة فيها : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فيقول : احضر وزنك فيقول : يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فقال : إنك لا تظلم قال : فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا ينقل مع اسم الله شيء." (٦)

فهذه البطاقة التي كان بها نجات ذلك العبد هي بطاقة التوحيد، فإنه كان محققاً لتوحيد الله ولم يشرك بالله شيئاً فهذا هو شرط النجاة ، فقد جاء من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « قال الله تعالى : يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة » (٧)

والقراب: هو الملاء أو ما يقاربه .

(١) متفق عليه

(٢)فتح المجيد (ص : ٤٣)

(٣)انظرفتح المجيد (ص : ٤٣)

(٤) متفق عليه

(٥) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد - (١ / ٤٥)

(٦)رواه الترمذي وغيره وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٧٦)

(٧)رواه الترمذي كتاب الدعوات رقم (٣٥٤٠) وحسنه الألباني.

فتحقيق التوحيد هو شرط المغفرة، وهو شرط ثقيل لا يحققه إلا من وفقه الله تعالى وسدده ، وهو أن لا يشرك بالله شيئاً لا أكبر ولا أصغر فمن وفقه الله لذلك، فهو موعود بتكفير جميع سيئاته.

قال الشيخ عبد الرحمن آل الشيخ : (قوله : «ثم لقيتني لا تُشرك بي شيئاً» شرط ثقيل في الوعد بحصول المغفرة ، وهو السلامة من الشرك كثيره وقليله وصغيره وكبيره ، ولا يسلم من ذلك إلا من سلم الله تعالى ، وذلك هو صاحب القلب السليم كما قال تعالى : ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨: ٨٩] قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في معنى الحديث : "ويعنى لأهل التوحيد المحض الذي لم يشوبه بالشرك ما لا يعنى لمن ليس كذلك فلو لقي الموحد الذي لم يشرك بالله شيئاً ألبته ربه بقراب الأرض خطايا أتاه بقرابها مغفرة ولا يحصل هذا لمن نقص توحيده فإن التوحيد الخالص الذي لا يشوبه شرك لا يبقى معه ذنب لأنه يتضمن من محبة الله وإجلاله وتعظيمه وخوفه ورجائه وحده ما يوجب غسل الذنوب ولو كانت قراب الأرض فالنجاسة عارضة والدافع لها قوى" اهـ

قال الشيخ عبد الرحمن آل الشيخ : "وفي هذا الحديث : كثرة ثواب التوحيد وسعة كرم الله وجوده ورحمته والرد على الخوارج الذين يكفرون المسلم بالذنوب وعلى المعتزلة القائلين بالمنزلة بين المنزلتين وهي الفسوق ويقولون ليس بمؤمن ولا كافر ويخلد في النار والصواب قول أهل السنة : أنه لا يسلب عنه اسم الإيمان ولا يعطاه على الإطلاق بل يقال هو مؤمن عاص أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته وعلى هذا يدل الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة" اهـ^(١)

وقوله : « لا تُشرك بي شيئاً » يتضمن أن يكون موحداً لأن نفي الشرك يقتضي إثبات التوحيد، وقوله "شيئاً" نكرة في سياق النفي يفيد العموم فيعم الشرك الأكبر والأصغر، فمن لم يشرك بالله شيئاً لا شرك أكبر ولا أصغر فاز بالمطلوب ونجا من المرهوب وغفرت له الذنوب بإذن الله علام الغيوب .

قال ابن رجب: " من جاء مع التوحيد بقراب الأرض خطايا لقيه الله بقرابها مغفرة لكن هذا مع مشيئة الله عز وجل، فإن شاء غفر له وإن شاء أخذه بذنوبه ثم كان عاقبته أن لا يخلد في النار بل يخرج منها ثم يدخل الجنة، فإن كمل توحيد العبد وإخلاصه لله تعالى فيه وقام بشروطه بقلبه ولسانه وجوارحه أو بقلبه ولسانه عند الموت أوجب ذلك مغفرة ما سلف من الذنوب كلها ومنعه من دخول النار بالكلية، فمن تحقق بكلمة التوحيد قلبه أخرجت منه كل ما سوى الله محبة وتعظيماً وإجلالاً ومهابة وخشية وتوكلًا وحينئذ تحرق ذنوبه وخطاياها كلها ولو كانت مثل زبد البحر وربما قلبتها حسنات فإن هذا التوحيد هو الإكسير الأعظم فلو وضع منه ذرة على جبال الذنوب والخطايا لقلبها حسنات .

وقال شيخ الإسلام: الشرك نوعان: أكبر وأصغر فمن خلص منهما وجبت له الجنة، ومن مات على الأكبر وجبت له النار، ومن خلص من الأكبر وحصل له بعض الأصغر مع حسنات راجحة على ذنوبه دخل الجنة فإن تلك الحسنات توحيد كثير مع يسير من الشرك الأصغر، ومن خلص من الأكبر ولكن كثر الأصغر حتى رجحت به سيئاته دخل النار، فالشرك يؤاخذ به العبد إذا كان أكبر أو كان كثيراً أصغر والأصغر القليل في جانب الإخلاص الكثير لا يؤاخذ به.. " اهـ^(٢)

إشكال وجوابه:

قد يقول قائل: ما الجمع بين حديث البطاقة وبين حديث أنس رضي الله عنه "يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيره..". الحديث، حيث إن صاحب البطاقة نجا بهذه الكلمة الطيبة من النار فلم يدخلها، والآخر لم ينج من النار وقد قال كلمة التوحيد كما في حديث أنس؟
الجواب: إن هذا يعود إلى شروط لا إله إلا الله من حيث تحقيقها أو الإخلال بها ومن حيث كثرة الذنوب

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد - (١ / ٥٣)

(٢) انظر تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد - (١ / ٧٥)

وقلتها،ومن حيث أن صاحب الكبائر يرجع إلى مشيئة الله تعالى، فإن شاء الله عذبه بعدله ثم يدخله الجنة بتوحيده، وإن شاء غفرله برحمته ثم يدخله الجنة دخولا أوليا فلا تمسه النار.

فمن حقق شروط هذه الكلمة العظيمة وقلت ذنوبه ولم يصر عليها حرمت عليه النار كما في حديث عتيان: "فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله" أي: أنه قالها مخلصاً والإخلاص من شروط لا إله إلا الله، وقد تحرم عليه النار تحريم خلود أو تحريم تأبيد، بمعنى أنه يدخلها بقدر ذنوبه ثم يخرج منها فيحرم على النار خلوده فيها.

وأما صاحب البطاقة فإنه قال تلك الكلمة وقام في قلبه من التعظيم والمحبة والإخلاص وغير ذلك ما جعله يحرق تلك الذنوب كلها..

وأما من قالها لكنه أدخل بشروطها أو كثرت ذنوبه ومات مصراً عليها، فإنه قد يدخل النار تمحيصاً له حتى ينقى من ذنوبه ثم يخرج منها ويدخل الجنة كما في حديث أنس رضي الله عنه، فإنه أعلم من يستحق الجنة ومن يستحق النار ممن قال هذه الكلمة الطيبة، فإنها جاءت بشروط وقيود تقال إلا على من يسرها الله عليه، ولا يسلم إلا من سلمه الله وعافاه، وانظر كلام ابن رجب وشيخ الإسلام الذي تقدم قريباً فيه جواب كافي وافي .

وقال شيخ الإسلام وغيره : في هذا الحديث^(١) ونحوه إنها فيمن قالها ومات عليها كما جاءت مقيدة بقوله : خالصة من قلبه غير شاك فيها بصدق وبقين فإن حقيقة التوحيد انجذاب الروح إلى الله تعالى جملة، فمن شهد أن لا إله إلا الله خالصة من قلبه دخل الجنة لأن الإخلاص هو انجذاب القلب إلى الله تعالى بأن يتوب من الذنوب توبة نصوحاً فإذا مات على تلك الحال نال ذلك فإنه قد تواترت الأحاديث بأنه [يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة وما يزن خردلة وما يزن ذرة] وتواترت بأن كثيراً ممن يقول لا إله إلا الله يدخل النار ثم يخرج منها وتواترت بأن الله حرم على النار أن تأكل أثر السجود من ابن آدم فهؤلاء كانوا يصلون ويسجدون لله وتواترت بأنه يحرم على النار من قال لا إله إلا الله ومن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله لكن جاءت مقيدة بالقيود الثقيل وأكثر من يقولها لا يعرف الإخلاص وأكثر من يقولها إنما يقولها تقليداً أو عادة ولم تخالط حلاوة الإيمان بشاشة قلبه وغالب من يفتن عند الموت وفي القبور أمثال هؤلاء كما في الحديث [سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته]^(٢) وغالب أعمال هؤلاء إنما هي تقليد واقتداء بأمثالهم وهم من أقرب الناس من قوله تعالى : { إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون } [الزخرف : ٢٣]

وحينئذ فلا منافاة بين الأحاديث فإنه إذا قالها بإخلاص وبقين تام لم يكن في هذه الحال مصراً على ذنب أصلاً فإن كمال إخلاصه وبقينه يوجب أن يكون الله أحب إليه من كل شيء فإذا لا يبقى في قلبه إرادة لما حرم الله ولا كراهة لما أمر الله وهذا هو الذي يحرم على النار، وإن كانت له ذنوب قبل ذلك فإن هذا الإيمان وهذا الإخلاص وهذه التوبة وهذه المحبة وهذا اليقين لا تترك له ذنبا إلا محي عنه كما يمحو الليل النهار، فإذا قالها على وجه الكمال المانع من الشرك الأكبر والأصغر فهذا غير مصر على ذنب أصلاً فيغفر له ويحرم على النار، وإن قالها على وجه خلص به من الشرك الأكبر دون الأصغر ولم يأت بعدها بما يناقض ذلك فهذه الحسنه لا يقاومها شيء من السيئات فيرجح بها ميزان الحسنات كما في حديث البطاقة فيحرم على النار ولكن تنقص درجته في الجنة بقدر ذنوبه، وهذا بخلاف من رجحت سيئاته بحسناته ومات مصراً على ذلك فإنه يستوجب النار وإن قال لا إله إلا الله وخلص بها من الشرك الأكبر ولكنه لم يمت على ذلك بل أتى بعدها بسيئات رجحت على حسنة توحيده فإنه في حال قولها كان مخلصاً لكنه أتى بذنوب أو هنت ذلك التوحيد والإخلاص فأضعفته وقويت نار الذنوب حتى أحرقت ذلك، بخلاف المخلص المستيقن فإن حسناته لا تكون إلا راجحة على سيئاته ولا يكون مصراً على سيئات فإن مات على ذلك دخل الجنة .

.. فهؤلاء لم يقولوها بكمال الصدق واليقين بل يأتون بعدها بسيئات تنقض ذلك بل يقولونها من غير يقين وصدق ويحيون على ذلك ويموتون على ذلك ولهم سيئات كثيرة تمنعهم من دخول الجنة فإذا كثرت الذنوب ثقل على اللسان قولها وقسا القلب عن قولها وكره العمل الصالح وثقل عليه سماع القرآن واستبشر بذكر غير الله واطمأن

(١) يريد حديث عتيان في الصحيحين : "إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله".

(٢) متفق عليه عن أسماء رضي الله عنها.

إلى الباطل واستحلى الرفث ومخالطة أهل الغفلة وكره مخالطة أهل الحق فمثل هذا إذا قالها قال بلسانه ما ليس في قلبه وبفيه ما لا يصدقه عمله .

فمن قال : لا إله إلا الله ولم يقم بموجبها بل اكتسب مع ذلك ذنوبا وكان صادقا في قولها موقنا بها لكن له ذنوب أضعفت صدقه ويقينه وانضاف إلى ذلك الشرك الأصغر العملي فرجحت هذه السيئات على هذه الحسنات ومات مصرا على الذنوب، بخلاف من يقولها بيقين وصدق فإنه إما أن لا يكون مصرا على سيئة أصلا ويكون توحيد المتضمن لصدقه ويقينه رجع حسناته والذين يدخلون النار ممن يقولها : إما أنهم لم يقولوها بالصدق واليقين التام المنافيين للسيئات أو لرجحانها أو قالوها واكتسبوا بعد ذلك سيئات رجحت على حسناتهم ثم ضعف لذلك صدقهم ويقينهم ثم لم يقولوها بعد ذلك بصدق ويقين تام لأن الذنوب قد أضعفت ذلك الصدق واليقين من قلوبهم فقولها من مثل هؤلاء لا يقوي على محو السيئات فترجح سيئاتهم على حسناتهم" انتهى ملخصا^(١)

الشفاعة لأهل التوحيد يوم القيامة

جاءت الأدلة من نصوص الكتاب والسنة على أن الشفاعة لا تكون إلا لأهل التوحيد.

قال الله تعالى : ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء : ٢٨]

وقال تعالى : ﴿لَا يَمْكُورُ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ { مريم : ٨٧ }

والعهد هو توحيد الله ، كما ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره عند هذه الآية.

ولا تكون الشفاعة إلا بإذن الله سبحانه وتعالى قال تعالى : ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة : ٢٥٥] والله تعالى لا يأذن إلا لمن ارتضاه ، فرضي قوله وفعله وهو الموحد ، كما جاء من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أَنَّهُ قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ : مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَالَ : " لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوْلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ. »^(٢)

فعلم من ذلك أن الشفاعة تكون لأهل التوحيد والإخلاص وهي منفية عن أهل الشرك لقوله تعالى : ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ (٤٨) [المدثر : ٤٨].

فالموحدون يشفع فيهم الأنبياء والملائكة والصالحون والأفراط ، وإن كانوا من أهل الكبائر فهم تحت المشيئة ، وإن جرى عليهم ما جرى من المحن والعذاب فإن مآلهم إلى الجنة لقوله صلى الله عليه وسلم : « يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مَا يَزِنُ مِنَ الْخَيْرِ ذَرَّةً. »^(٣)

تحقيق التوحيد سبب للخير والبركات والأمن والأمان في الدنيا والآخرة :

قال تعالى مبيناً أن التوحيد سبب للخير والبركات : ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف : ٩٦]

وقال تعالى مخبراً أن التوحيد سبب للأمن والأمان في الدنيا والآخرة : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام : ٨٢] وهذا الأمن يكون على حسب الإيمان ، فمن كان توحيداً وإيمانه

(١) انظر فتح المجيد شرح كتاب التوحيد - (١ / ٤٥)

(٢) رواه البخاري (٩٩)

(٣) رواه البخاري رقم (٧٤١٠) و مسلم كتاب الإيمان (١٩٣) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

كاملاً فله الأمان المطلق، أي يكون له الأمان كاملاً، ومن كان في إيمانه وتوحيده نقص، أو أنه اقتترف بعض المعاصي، فله مطلق الأمان أي أصل الأمان فلا يكون له الأمان كاملاً .

قال المفسر السعدي: { الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا } أي: يخلطوا { إِيْمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ } الأمان من المخاوف والعذاب والشقاء، والهداية إلى الصراط المستقيم، فإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بظلم مطلقاً، لا بشرك، ولا بمعاصي، حصل لهم الأمان التام، والهداية التامة. وإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بالشرك وحده، ولكنهم يعملون السيئات، حصل لهم أصل الهداية، وأصل الأمان، وإن لم يحصل لهم كمالها. ومفهوم الآية الكريمة، أن الذين لم يحصل لهم الأمان، لم يحصل لهم هداية، ولا أمن، بل حظهم الضلال والشقاء" اهـ. (١)

وقال تعالى مخبراً أن التوحيد سبب للتمكين في الأرض والاستخلاف: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [النور: ٥٥]

علم من الآية أن شرط التمكين هو عبادة الله تعالى - أي تحقيق توحيده وعدم الإشراف به شيئاً . وما نزلت المصائب بالمسلمين وحلت النقم وكثرت الفتن وتوالت المحن وحصل الضعف أمام أعداء الإسلام إلا بسبب انتشار الشرك والخرافات وإحداث البدع والمحدثات وكثرة المعاصي في أوساط المسلمين، فإلى الله المشتكى .

والناظر إلى أحوال السلف - رحمهم الله - لما حققوا هذا الأصل العظيم، يجد أن الله فتح على أيديهم مشارق الأرض ومغاربها، وسادوا العرب والعجم وبلغوا السند والهند . فأصل السعادة في الدنيا والآخرة منوط بتوحيد الله عز وجل، فمن أراد السعادة فعليه بتحقيق توحيد العبادة، بالقلب واللسان والجوارح .

ومناسبة ذكر هذا المبحث الذي هو - التوحيد وأهميته - لموضوعنا ظاهرة؛ لأن الشرك ضد التوحيد وبالضد تتبين الأشياء، فإذا وجد التوحيد انتفى الشرك فلا يجتمع شرك وتوحيد في آنٍ واحد - أعني التوحيد الكامل - والشرك يصدر من ثلاثة أشياء من القلب واللسان والجوارح وكذلك التوحيد.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى (ومدار العبادة على خمسة عشر قاعدة من كملها كمل مراتب العبودية ، وبيان ذلك : أن العبادة منقسمة على القلب واللسان والجوارح وعلى كل منها عبودية تخصه ، والأحكام التي للعبودية خمسة واجب ومستحب وحرام ومكروه ومباح وهي لكل واحد من القلب واللسان والجوارح ..) (٢)

فنسأل الله أن يرزقنا قلباً موحدة خاشعة ، وألسنة صادقة ذاكرة ، وجوارح منقاد خاضعة .

(١) تفسير السعدي - (١ / ٢٦٣)

٢- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين - (١ / ١٠٩)

المبحث الثاني : الشرك وخطره

تعريف الشرك :

الشرك لغةً : الشُرْكة مخالطة الشريكين ، يقال : اشتركنا بمعنى تشاركنا وقد اشترك رجلان وتشاركوا وشارك أحدهما الآخر اهـ^(١)

اصطلاحاً : تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله، قال تعالى : {قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ * تَاللَّهِ إِنَّ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * إِذْ نَسَوْنَكُمْ رَبَّ الْعَالَمِينَ } . [الشعراء : ٩٦ : ٩٨] أو هو : عبادة غير الله عزوجل ، أو اتخاذ ند مع الله يسويه به ، قال تعالى : " وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا " [النساء : ٣٦]

وعرفه الشيخ صالح بن فوزان الفوزان - حفظه الله - بقوله : (هو جعل شريك لله تعالى في ربوبيته وألوهيته ، والغالب الإشراف في الألوهية ، كالدعاء والندى لغير الله ، وهو أعظم الظلم ، والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه ، فمن عبد غير الله فقد وضع العبادة في غير موضعها وصرفها لغير مستحقها)^(٢) اهـ بتصرف

أقسام الشرك :

١- شرك أكبر :

قال الشيخ حافظ الحكمي - رحمه الله تعالى - : (وهو اتخاذ العبد من دون الله نداً يساويه بالله رب العالمين ، يحبه كحب الله ويخشاه كخشية الله ، ويلتجئ إليه ويدعوه ويخافه ويرجوه ويرغب إليه ويتوكل عليه ، أو يطيعه في معصية الله ، أو يتبعه على غير مرضاة الله ..)^(٣)

وهذا تعريف جامع للشرك الأكبر ، وقد جاء مبيناً في حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - قال : سألت النبي صلى الله عليه وسلم ، أي الذنب أعظم ؟ قال : « أن تجعل لله نداً وهو خالقك »^(٤)

٢- شرك أصغر :

وهو ما أتى في النصوص أنه شرك ولم يصل إلى حد الشرك الأكبر ، وهو الشرك الذي لا يُخرج من الملة ، ولا يُحل دم صاحبه ، ولا يُخذل في النار ولا تحرمُ الجنَّةُ على صاحبه ، ولا يُحبطُ جميع الأعمال ، ولكن يُحبطُ العمل الذي وقع فيه الشرك الأصغر ، وهو ينقص توحيد فاعله ويخدشه ، بل هو سُلْمٌ إلى الشرك الأكبر ، وهو من أكبر الكبائر .

قال علماء اللجنة الدائمة : (الشرك الأصغر : هو ما نهى عنه الشرع مما هو ذريعة إلى الشرك الأكبر ، ووسيلة للوقوع فيه وجاء تسميته في النصوص شركاً ، لأنه مظنة للانحدار إلى الشرك الأكبر) اهـ^(٥) .

وسمي هذا النوع أصغر ، للمقارنة بينه وبين الأكبر ، فلا يُفهم من ذلك التقليل من خطره أو التهاون به ، بل هو من أكبر الكبائر ، إلا أنه لا يخذل صاحبه في النار ولا يخرج من الملة ، فمن هنا سمي أصغر ، وإلا فقد خافه النبي صلى الله عليه وسلم على أمته بل خافه على صحابته - رضوان الله عنهم .

(١) لسان العرب لابن منظور (٩٩/٧)

(٢) كتاب عقيدة التوحيد للفوزان (ص : ٧٤)

(٣) ٢٠٠ سؤال وجواب / حافظ الحكمي (ص : ٢١)

(٤) متفق عليه ، البخاري (٢٧٢٦) ، مسلم (٨٦)

(٥) فتاوى اللجنة الدائمة رقم (١٦٥٣) ص (٧٤٨) بتصرف

ففي مسند الإمام أحمد - رحمه الله تعالى - أن النبي صلى الله عليه وسلم. قال : « أخوف ما أخاف على أمتي الشرك الأصغر » الحديث^(١)

وجاء أيضاً من حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتذاكر المسيح الدجال فقال : "ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال ؟ فقلنا : بلى يا رسول الله فقال : " الشرك الخفي أن يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل" ^(٢) .

وقد اختلف أهل العلم في هذا النوع من الشرك ، هل يغفره الله أم أنه لا يغفر ، فذهب بعضهم إلى أنه تحت المشيئة إن شاء الله غفر لصاحبه وإن شاء عذبه .

وذهب آخرون ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - إلى أن الشرك الأصغر لا يغفره الله ، لعموم قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء : ١١٦]

ووجه الدلالة : أن الآية تعم الأكبر والأصغر ، وأخذوا العموم من حيث اللغة ، أن النكرة في سياق النفي تفيد العموم ، فالنفي { لَا يَغْفِرُ } والنكرة المصدر المؤول من (أن) والفعل (يُشْرِكُ) تقديره إشراكاً ، أي : إن الله لا يغفر إشراكاً به، فقالوا : إن الله لا يغفر الشرك مطلقاً سواء كان أكبر أو أصغر .
وسواء كان هذا أو ذلك فالواجب اجتناب الشرك بكافة أقسامه وأنواعه .

وإذا كان الشرك الأصغر لا يغفر، فليس معناه أن صاحبه من أهل النار أو أنه لا بد أن يدخل النار، فقد يكون لديه من الحسنات والإخلاص ما ترجح على الشرك الأصغر فينجو، فالحاصل أن صاحب الشرك الأصغر قد ينجو من النار وقد يدخلها حتى إذا نقي خرج منها كما في كلام شيخ الإسلام المتقدم فقد فصل تفصيلاً طيباً نعيده هنا لتثبيت الفائدة:

قال - رحمه الله - : " الشرك نوعان أكبر وأصغر فمن خلص منهما وجبت له الجنة ومن مات على الأكبر وجبت له النار ومن خلص من الأكبر وحصل له بعض الأصغر مع حسنات راجحة على ذنوبه دخل الجنة فإن تلك الحسنات توحيد كثير مع يسير من الشرك الأصغر ومن خلص من الأكبر ولكن كثر الأصغر حتى رجحت به سيئاته دخل النار فالشرك يؤاخذ به العبد إذا كان أكبر أو كان كثيراً أصغر والأصغر القليل في جانب الإخلاص الكثير لا يؤاخذ به.. " ^{اهـ (٣)}

فمن هنا يتبين خطورة الشرك بقسميه ، فليحذر اللبيب من أن يوبق نفسه في الشرك، فإنه مهلكة في الدنيا والآخرة ، فالأمر أخطر مما يتصور، فلا يتساهل بالشرك ولو كان أصغر ، وسيأتي في الفصول القادمة ذكر بعض الأمثلة على الشرك بقسميه الأكبر والأصغر .

وهناك تقسيمات أخرى للشرك، فمنه الشرك الجلي و الخفي ، ومنه القولي والفعلية و الاعتقادي ، وكلها لا تخرج عن هذين القسمين أكبر وأصغر .

(١) رواه أحمد في المسند (٤٢٨/٥، ٤٢٩) وصححه الألباني.

(٢) رواه ابن ماجه (٤٢٠٤) ، والبيهقي في الشعب (٦٨٣٢) وصححه الألباني

(٣) تقدم ذكر المصدر قريباً.

خطر الشرك :

الشرك أعظم الذنوب كما تقدم من حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - في الصحيحين قال : سألت النبي صلى الله عليه وسلم. أي الذنب أعظم ؟ قال : « أن تجعل لله نداً وهو خلقك » قَالَ قُلْتُ لَهُ إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ. الحديث.

وهو أظلم الظلم لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان : ١٣]

وهو أعظم معصية عصي الله بها في الأرض وأعظم خطيئة اقترفها العبد قال الله تبارك وتعالى : ﴿ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة : ٨١]

قال السعدي - رحمه الله - في تفسيره لهذه الآية : « قوله تعالى : ﴿ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾ وهو نكرة في سياق الشرط فيعم الشرك فما دونه ، والمراد به هنا الشرك ، بدليل قوله تعالى : ﴿ وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ ﴾ أي أحاطت بعاملها فلم تدع له منفذاً ، وهذا لا يكون إلا الشرك ، فإن من معه الإيمان لا تحيط به خطيئته » اهـ^(١)

عواقب الشرك وآثاره :

الشرك الأكبر له أخطار جسيمة وعواقب وخيمة وآثار سيئة منها :

١. أنه يخرج صاحبه من ملة الإسلام إلى ملة الشرك والكفر والعياذ بالله .

قال تعالى: "لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثَةٌ تَلَاثَةً وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ" [المائدة : ٧٣]

٢. ومنها: أنه يحبط جميع الأعمال الصالحة ، قال تعالى بعد أن ذكر ثمانية عشر نبيا ورسولا قال عقب ذكرهم

في آيات من سورة الأنعام : ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام : ٨٨]

فإذا كان هذا حال الأنبياء - عليهم السلام - وهم المعصومون المغفور لهم ، فكيف بغيرهم؟! .

قال العلامة السعدي - رحمه الله - فإذا كان هؤلاء الصفة الأخيار، لو أشركوا -وحاشاهم- لحبطت أعمالهم

فغيرهم أولى" اهـ^(٢)

وقال تعالى: {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}

[الزمر : ٦٥]

وهذا عام في جميع الأديان السابقة، قال السعدي رحمه الله: " وذلك لأن الشرك بالله محبط للأعمال، مفسد

للأحوال، ولهذا قال: { وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ } من جميع الأنبياء. { لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ

عَمَلُكَ } هذا مفرد مضاف، يعم كل عمل، ففي نبوة جميع الأنبياء، أن الشرك محبط لجميع الأعمال" اهـ^(٣)

٣. ومنها: أن الشرك الأكبر لا يغفره الله تعالى إلا بالتوبة النصوح ، أما من مات عليه فقد خسر نفسه وأهله يوم

القيامة.

(١) تفسير الكريم الرحمن ، للسعدي (ص : ٥٧)

(٢) - تفسير السعدي (١ / ٢٦٣)

(٣) المصدر السابق - (١ / ٧٢٩)

قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء :

[١١٦]

٤. ومنها: أن الشرك الأكبر يحل دم صاحبه .

قال تعالى : ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِنَّا تَأْبُوا

وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة : ٥]

٥: ومنها: أن الجنة تحرم على المشرك وتجب له النار .

قال تعالى : ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة : ٧٢]

٦: ومنها : أنه لا يُزوج بالموحدة ولا يكون ولياً للمسلمة .

قال تعالى: " وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ" [البقرة : ٢٢١]

وقال تعالى: " الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرْمٌ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ [النور : ٣]

٧: ومنها: أن المشرك يمنع من دخول المسجد الحرام.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ٢٨]

٨: ومنها: أنه إذا مات لا يُصلى عليه ولا يُقبر في مقابر المسلمين ، وإنما يوارى في التراب لنلا يؤذي الناس بنتنه.

فقد ثبت عن عليٍّ - رضي الله عنه - قَالَ قُلْتُ لِلنَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- إِنَّ عَمَكَ الشَّيْخَ الضَّالَّ قَدْ مَاتَ. قَالَ « أَذْهَبَ فَوَارِ أَبَاكَ ثُمَّ لَا تُحَدِّثَنَّ شَيْئًا حَتَّى تَأْتِيَنِي ». فَذَهَبْتُ فَوَارَيْتُهُ وَجِئْتُهُ فَأَمَرَنِي فَأَغْتَسَلْتُ وَدَعَا لِي. (١)

وللشرك عواقب كثيرة وأثار سيئة وردت في نصوص الكتاب والسنة مما هو في جزاء المشركين في الدنيا والآخرة، مما يجعل العبد يخاف منه أشد الخوف ويحذر أشد الحذر.

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : (.. فأخبر سبحانه أنه أرسل رسله وأنزل كُتُبَهُ ليقوم النَّاسُ بالقسط - وهو العدل - ومن أعظم القسط التوحيد ، وهو رأس العدل وقوامه ، وأظلم الظلم الشرك ، كما قال تعالى : ﴿إِنَّ

الشَّرْكَ لظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان : ١٣] والتوحيد أعدل العدل، فما كان أشد منافاةً لهذا المقصود فهو أكبر الكبائر ،

وتفاوتها في درجاتها بحسب منافاتها له فلما كان الشرك بالله منافيا بالذات لهذا المقصود كان من أكبر الكبائر على الإطلاق ، وحرّم الله الجنة على كل مشرك ، وأباح الله سبحانه وتعالى دمه وماله وأهله لأهل التوحيد ، وأن يتخذوهم أرقاء لهم لما تركوا القيام بعبوديته ، وأبى الله سبحانه وتعالى أن يقبل من مشركٍ عملاً ، أو يقبل فيه شفاعاة ، أو يستجيب له دعوة في الآخرة ، أو يقبل فيها عثرة ، أو يقبل له فيها رجاء ،

(١) رواه أبو داود - وغيره وصححه الألباني

فإن المشرك أجهل الجاهلين بالله حيث جعل له من خلقه نداً .. وأن المشرك في الواقع لم يظلم ربه وإنما ظلم نفسه (١)

فيا ويل المشركين، وما هو عذرهم أمام رب العالمين سبحانه وتعالى - وعلى رأسهم السحرة والمشعوذون والكهان والعرافون والمنجمون ومن كان على شاكلتهم ، وأيضاً الذين كثروا سوادهم وتبعوهم على باطلهم وصدقوهم - فما هو المخرج لهم وما هي حجبتهم؟ يوم يختم على أفواههم وتنطق أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون، "يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ" [الشعراء : ٨٨ ، ٨٩].
ومن الناس من يتعلل بالضرورة فيذهب إلى الكهان والعرافين للسؤال أو العلاج!! ، ولم يعلم هذا المسكين أنه ليس هناك ضرورة أعظم من ضرورة الدين ؟ وليس هناك ضرورة أعظم من الحفاظ على مستقبل الآخرة ، والحذر من عذابها ؟

والنبي صلى الله عليه وسلم . يقول كما في حديث أبي الدرداء- رضي الله عنه - : « لا تُشْرِكْ بالله وإن قُطعت وحُرقت » (٢) فكيف يسوغ للعبد أن يشرك بالله بسبب أمراض خفيفة ابتلاه الله بها وهي كفارة له؟ ، وقد جعل الله لها علاجاً شرعياً .

فإن المشرك بالله يتمنى يوم القيامة أن يكون له مثل الأرض ذهباً ليفتدي به من عذاب الله ، كما جاء من حديث أنس - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يقول الله لأهون أهل النار عذاباً : لو كانت لك الدنيا وما فيها ومثلها معها ، أكنت مُفتدياً بها ؟ قال : نعم . فيقول : قد أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تُشرك - أحسبه قال : ولا أدخلك النار - وأبيت إلا الشرك » (٣)

فإن الفداء كان يسيراً لو كان يعقل ، وهو توحيد الله وعدم الإشراف به .

وجاء من حديث جابر- رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من لقي الله لا يُشرك به شيئاً دخل الجنة ، ومن لقيه يُشرك به شيئاً دخل النار » (٤) .

قال القرطبي - رحمه الله تعالى - في قوله : (من لقي الله لا يشرك به شيئاً) : (أي لم يتخذ معه شريكاً في الألوهية ولا في الخلق ولا في العبادة ، ومن المعلوم من الشرع المُجمع عليه أهل السنة ، أن من مات على ذلك فلا بد له من دخول الجنة ، وإن جرت عليه قبل ذلك أنواع العذاب والمحنة ، ومن مات على الشرك لا يدخل الجنة ولا يناله من الله رحمة ، ويُخلد في النار أبد الآباد من غير انقطاع عذاب ولا تصرف أماد) (٥)

فيجب على كل مسلم الحذر من الشرك والخوف منه فقد يقع العبد فيه وهو لا يشعر لخفائه ، كيف لا ؟ وقد خافه النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه وهم أهل التوحيد و أعرف الناس بربهم ، وأعلمهم بالحلال والحرام ، وجاهدوا المشركين، وحذروا من الشرك وأهله، ومع هذا لم يأمن عليهم من الشرك ، فمن باب أولى غيرهم ، لاسيما أهل هذا الزمان الذين انتشر الشرك في أوساطهم وكثر الدعاة إليه .

(١) الداء والدواء لابن القيم (ص : ٦٠)

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (١٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٧٣٣٩)

(٣) متفق عليه البخاري (٦٥٥٧) مسلم كتاب الإيمان (٢٨٠٥)

(٤) رواه مسلم كتاب الإيمان (ص : ٩٤) رقم (٩٣)

(٥) انظر كتاب فتح المجيد للشيخ عبدالرحمن آل الشيخ (ص : ٨٩)

وقد خافه أبونا إبراهيم - عليه السلام - على ذريته ، كما أخبر الله عنه : { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّوا كَثِيرًا مَنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } [إبراهيم : ٣٥ ، ٣٦]

والشرك قد يخفى على كثير من النَّاسِ إلا من بصره الله في دينه ، فقد جاء عن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - قال : « الشرك في أمتي أخفى من دبيب النمل على الصفا »^(١)

وجاء عند الإمام أحمد رحمه الله تعالى من حديث أبي موسى رضي الله عنه قال : خطبنا رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ذات يوم فقال : « أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل » فقال له من شاء أن يقول : وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله ؟ قال : « قولوا : اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئاً نعلمه ، ونستغفرك لما لا نعلمه »^(٢) .

الفروق بين الشرك الأكبر والأصغر:

الفروق بينهما كثيرة منها:

- أن الشرك الأكبر يخرج صاحبه من ملة الإسلام ، بينما الأصغر لا يخرج من الملة إلا أنه أكبر الكبائر، وإنما سمي أصغر للمقارنة بينه وبين الأكبر.
 - الشرك الأكبر يحل دم صاحبه كما تقدم، بينما الأصغر لا يحل دم صاحبه.
 - الشرك الأكبر يخلد صاحبه في جهنم ، بينما الأصغر لا يخلد صاحبه فيها، ولكن يخشى عليه من النار.
 - الشرك الأكبر لا يغفره الله ، بينما الأصغر وقع فيه الخلاف كما تقدم.
 - الشرك الأكبر يحبط جميع الأعمال ، بينما الأصغر يحبط العمل الذي وقع فيه الشرك فقط كيسيير الرياء.
 - صاحب الشرك الأكبر تحرم عليه الجنة، ولا تحرم على صاحب الشرك الأصغر.
- وهناك فروق كثيرة ذكرنا أهمها.

مفهوم الشرك :

الشرك : هو اسم جنس يطلق على كل عمل يصلح أن يكون عبادة وصُرف هذا العمل لغير الله ، ولا يقيد الشرك بعمل معين ، كما يظن البعض أن الشرك محصور بالسجود للصنم ، فإن من الناس من يقع في الشرك القولي أو الاعتقادي أو نحو ذلك فإذا ما نُصح قال : أنا لست مشركاً ، إنما الشرك يكون في السجود للصنم .

فإن هذا القول معلوم الفساد من الدين بالضرورة ؛ لأنه يصادم الأدلة ، وقد أخبر النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - : أن الشرك يكون في المعتقدات ويكون في الأقوال ويكون في الأفعال، فأخبر أن من الشرك الذهاب إلى الكهان والعرافين ، ومنه الذبح لغير الله ، ومنه تعليق التمام ، ومنه اعتقاد أن غير الله ينفع ويضر ، ومنه ألفاظ شركية كالحلف بغير الله ونحو ذلك مما سنذكره في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى ، والمهم أن الشرك ليس محصوراً بعبادة الأصنام فقط بل هو أعم من ذلك .

(١) رواه الحكيم الترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم (٣٧٣٠)

(٢) رواه أحمد (٤٠٣/٤) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب

وأردأ من هذا القول: قول من يقول : إنه لا شرك الآن و إن الشرك انتهى بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا قول الصوفية العمي ، فإن الناظر في أفعالهم ومناهجهم يراهم غارقين في الشركيات والبدع والمنكرات، ويعتقدون المعتقدات الفاسدة، ويبررون أفعالهم بأنه لا شرك في هذا الزمان، ويستدلون بحديث جابر رضي الله عنه قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ « إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيَسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ »^(١).

وليس لهم دلالة في هذا الحديث ، فالرد عليهم من وجهين : رد متصل ورد منفصل :

أولا الرد المتصل: من الحديث نفسه، وهوان المصلين الذين يؤس الشيطان من عبادته هم المصلون الذين ينتفعون بصلاتهم ، وهي الصلاة ذات الخشوع وحضور القلب وتمام الأركان والشروط ، أما غيرهم فقد يحصل منهم الشرك وعبادة الشيطان لا سيما الذين يتركون الصلاة ، وربما يحصل الشرك من بعض المصلين الذين لا يعتنون بالصلاة ولا يقيمونها بشروطها وأركانها وواجباتها ، هذا هو معنى « أيس أن يعبد المصلون » .

وقال ابن رجب - رحمه الله - : ((إن الشيطان يؤس من اجتماع الأمة كلها على الشرك الأكبر)) اهـ

وأشار إلى ذلك ابن كثير عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾ المائدة : ٤٣ .

قال رحمه الله : قوله تعالى: {الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ} قال علي بن أبي طلحة،^(٢) عن ابن عباس: يعني: يبسوا أن يراجعوا دينهم..

وكذا زوي عن عطاء بن أبي رباح، والسدي ومقاتل بن حيان. وعلى هذا المعنى يرد الحديث الثابت في الصحيح: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الشيطان قد يؤس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب، ولكن بالتحريش بينهم". ويحتمل أن يكون المراد: أنهم يبسوا من مشابهة المسلمين، بما تميز به المسلمون من هذه الصفات المخالفة للشرك وأهله..^(٣) اهـ

وذكر ابن القيم - رحمه الله - أن حقيقة الشرك هي : تسوية الخالق بالمخلوق ، والمخلوق بالخالق . اهـ .

وقد تقدم معنى الشرك ، بأنه تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله.

والتسوية قد تكون في الاعتقادات أوفي الأقوال أوفي الأعمال أو في الجميع ، ولا يخفى على عاقل ما يحصل في هذا الزمان من الشركيات ، من سحر وكهانة وذبح لغير الله وتطير وتمائم ، ودعاء لغير الله وعبادة للأوثان ونحو ذلك مما سواها به غير الله بالله ، ولكن هذا عند الصوفية وغيرهم لا يعد شركاً ! فنعوذ بالله من الخذلان .

(١) رواه مسلم كتاب صفة القيامة والجنة والنار رقم (٢٨١٢)

(٢) علي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس رضي اله عنهما.

(٣) تفسير ابن كثير / دار طيبة - (٢٥ / ٣)

أما الرد المنفصل : فمن أدلة أخرى ، منها: حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : « لا تقوم القيامة حتى تضطرب أليات نساء دوس حول ذي الخلصة ، وكانت صنماً تعبدها دوس في الجاهلية بتبالة »^(١)

فإنها سوف تعبد في آخر الزمان كما أخبر بذلك نبينا عليه الصلاة والسلام .

فقد روى ابن حبان عن معمر - في ذي الخلصة - قال : إن عليه الآن بيتاً مبنياً مغلقاً .

ومها: حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول : « لا يذهب الليل والنهار حتى تُعبد اللات والعزى » . فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ كُنْتُ لِأَطْرُقُ حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) أَنَّ ذَلِكَ تَأْمًا قَالَ « إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَوَفَّى كُلَّ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِنْقَالُ حَبَّةٍ خَرَدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَيَبْقَى مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ فَيَرْجَعُونَ إِلَى دِينِ آبَائِهِمْ » .^(٢)

ومنها: حديث ثوبان - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : "لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين و حتى تعبد الأوثان و إنه سيكون في أمتي ثلاثون كذابا كلهم يزعم أنه نبي و أنا خاتم النبيين لا نبي بعدي" ^(٣)

فالناظر في هذه الأدلة يتبين له أن الشرك باقٍ ومستمر إلى قيام الساعة .

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن عند قوله - صلى الله عليه وسلم - : «وحتى تعبد فنام من أمتي الأوثان» :

"ففيه الرد على من قال بخلافه من عباد القبور الجاحدين لما يقع منهم من الشرك بالله بعبادتهم الأوثان وذلك لجهلهم بحقيقة التوحيد وما يناقضه من الشرك والتنديد فالتوحيد هو أعظم مطلوب والشرك هو أعظم الذنوب" اهـ ^(٤)

وهذا هو حال الصوفية القبوريين، وذلك أنهم يقعون في الشرك وعبادة القبور من الذبح والنذر والدعاء لأصحابها، ويزعمون أنهم موحدون، وينكرون أنهم مشركون، بل ويحسبون أنهم يحسنون صنعا .

وذكرت هذا المبحث تمهيداً لما سأذكره من الشركيات وتحذيراً من الشرك والوقوع فيه وتحذيراً من أهله ودعاته ، فنعوذ بالله من أن نشرك به شيئاً نعلمه ، ونستغفره لما لا نعلمه .

(١) متفق عليه: البخاري(٧١١٦)مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة رقم (٢٩٠٦)

(٢)مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة رقم (٢٩٠٧)

(٣) رواه الترمذي وغيره وصححه الألباني

(٤)فتح المجيد شرح كتاب التوحيد - (١ / ٢٦٠)

نشأة الشرك وتاريخه :

الأصل في بني آدم التوحيد ، أما الشرك فهو دخيل عليهم بسبب شياطين الإنس والجن ، و إلا فإنهم مفطورون على توحيد الله ، قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (١٩) ﴿ يونس : ١٩ ﴾ [١٩]

ذكر كثير من المفسرين أن الأصل في بني آدم التوحيد وأن الشرك طارئ ودخيل .

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : أنه لم يكن الشرك أصلاً في الآدميين ، وإنما كان عندهم التوحيد ، أو كما قال رحمة الله عليه .

وقال ابن عباس - رضي الله عنهما- كان بين آدم ونوح عليهما السلام عشرة قرون كلها على التوحيد والإسلام اهـ (١) .

وأول ما حدث الشرك في قوم نوح عليه السلام حينما صوروا صور الصالحين ثم عبدوهم من دون الله، ووقع الشرك في قوم إبراهيم عليه السلام حينما عبدوا الكواكب ، ثم استمر الشرك بعبادة الصالحين والكواكب إلى يومنا هذا .

قال الشيخ بكر أبو زيد في كتابه الإبطال لنظرية الخلط بين الإسلام وغيره : قال في صفحة ٦٠ : (أول وقوع الشرك في قوم نوح الغلو في القبور ، وكادهم الشيطان بتعظيم موتاهم حتى عكفوا على قبورهم ثم كادهم بتصوير تماثيلهم ثم كادهم بعبادتهم وهو أول شرك بالله طرق العالم وهو الشرك الأرضي: اهـ

وقال ص ٦٢ : (وكانت عاد أول من عبدوا الأصنام بعد الطوفان كما فصل الله ذلك في سورة الأعراف . وأول وقوع الشرك في قوم إبراهيم من عبادة الكواكب وهو الشرك السماوي) .

وقال ص ٦٦ : (أول وقوع الشرك في العرب وغيرهم لما كان عمرو بن لحي الخزاعي في رحلته المشنومة إلى الشام رآهم بالبقاء لهم أصنام فجلب مثل ذلك إلى مكة فكان هو أول من غير دين إسماعيل - عليه السلام - وانحرف عن ملة إبراهيم - عليه السلام - فنصب الأوثان في البيت الحرام وسيب السائبة وبحر البحيرة ووصل الوصيلة وحى الحامي. من هنا اتخذت العرب الأصنام "اهـ مختصراً (٢)

قلت: وأول ما نشأ الشرك في قوم موسى - عليه السلام - عند اتخاذهم العجل وأول ما بدأ الشرك في قوم عيسى - عليه السلام - عند إدخال فكرة التثليث وهي عبادة عيسى وأمه - عليهما السلام - مع الله سبحانه وتعالى .

(١) انظر تفسير ابن كثير (٢٢٤/٤)

(٢) انظر كتاب الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره

الفصل الثاني : المبحث الأول : الشرك في الدعاء :

تعريف الدعاء:

لغة : تقول : دعا الرجلُ الرجلَ دَعْوًا ودَعَاءً ، ناداه والاسم دعوة ، دعوت فلانا أي صحت به واستدعيته (١)

اصطلاحاً : عرفه ابن عثيمين - رحمه الله - بأنه نوعان :

- ١- دعاء مسألة : وهو دعاء الطلب ، أي طلب الحاجات ، وهو عبادة ، إذا كان من العبد لربه ، لأنه يتضمن الافتقار لله تعالى واللجوء إليه ، واعتقاد أنه قادر كريم ، واسع الفضل والرحمة .
- ٢- دعاء عبادة : وهو أن يتعبد به المدعو طلباً لثوابه وخوفاً من عقابه - كالصلاة والصيام وبقية العبادات ... ، وهذا لا يصح لغير الله اهـ . (٢)

والنوع الأول دعاء المسألة ، كقول العبد يا الله ارحمني ، اللهم ارزقني ، وغير ذلك من طلب الحاجات ، وهذا يجوز صرفه لمخلوق بشروط : وهي أن يكون المدعو حياً حاضراً قادراً ، وإلا فلا يجوز دعاؤه ، وألا يتضمن هذا الدعاء الذل والخضوع وافتقار القلب ، فإذا اختل شرط من هذه الشروط فصرفه لغير الله شرك .
وهذان القسمان بينهما تضمن والتزام ، فدعاء العبادة يتضمن دعاء المسألة ، ودعاء المسألة يستلزم دعاء العبادة ، ودعاء المسألة عبادة إذا كان من العبد لربه ، ويكون جائزاً إذا كان من المخلوق لمثله بالشروط المتقدمة .

الدعاء هو العبادة :

الدعاء هو العبادة ، وهو أجل العبادات ، فإذا كان عبادة ، فصرفه لغير الله شرك ، وقد أمر الله بدعائه ونهى عن دعاء غيره فقال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (٦٠) غافر : ٦٠

فسمى الله الدعاء عبادة ، وتوعد الذين يستكبرون عن دعائه بالنار ، وثبت عن نبينا - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « الدعاء هو العبادة » (٣) ، وقال - صلى الله عليه وسلم - : « ليس شيء أكرم على الله من الدعاء » (٤)

قال علماء اللجنة الدائمة للإفتاء : (فالدعاء عبادة من العبادات ، والعبادات من حقوق الله جل وعلا المختصة به ، وصرفها إلى غير الله شرك به ، وقد دل الكتاب والسنة والإجماع على تحريم دعاء غير الله) (٥)

حكم دعاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله:

دعاء غير الله شرك أكبر مخرج من الملة سواء كان المدعو إنساناً أو حيواناً أو جاناً أو ملكاً أو نبياً أو ولياً - حياً كان أو ميتاً - أو جماداً - شجراً كان أو حجراً أو صنماً - أو غير ذلك .

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴾ (١٩٧) الأعراف : ١٩٧

(١) لسان العرب لأبن منظور (٢/٣٦٠)

(٢) شرح الثلاثة الأصول لابن عثيمين (ص : ٥٦)

(٣) رواه الترمذي من حديث النعمان بن بشير - رضي الله عنه - ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير .

(٤) رواه الترمذي وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه وحسنه الألباني .

(٥) فتاوى اللجنة الدائمة فتوى رقم (٢٨٧١)

وقال تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ (٦٢) ﴿١﴾ الحج ٦٢ : والاسم الموصول(ما) من ألفاظ العموم، فكل ما دعي من دون الله فهو باطل .

ونسلم من بعض الجهال في زماننا من يدعو الخمسة من دون الله !

فمن هم هؤلاء الخمسة ؟

الجواب : المراد بالخمسة عندهم : هم النبي صلى الله عليه وسلم ، وفاطمة وعلي والحسن والحسين رضي الله عنهم، فهؤلاء تجد غلاة الصوفية والرافضة يدعونهم من دون الله ويعتقدون أنهم يتصرفون في الكون، فيصرفون لهم أنواعا من العبادات كالدعاء والاستغاثه والنذر وغير ذلك مما يختص به الله سبحانه وتعالى، فهؤلاء جمعوا بين شرك الألوهية وشرك الربوبية ، من حيث أنهم اعتقدوا أنهم يتصرفون في الكون وينفعون ويضرون، فهذا شرك الربوبية، وشرك الألوهية من حيث أنهم صرفوا لهم كثيراً من العبادات ، فزادوا على شرك كفار قریش بشرك الربوبية ، لأن كفار قریش كانوا مقرين بتوحيد الربوبية ، ومعتقدين بأن النفع والضرر بيد الله وحده . وكذلك يعتقد الصوفية في الأعوات والأقطاب والأولياء أنهم يتصرفون في الكون، ويغفلون في رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيدعونه من دون الله سبحانه وتعالى ويلتجئون إليه ويلوذون به ويرجونه ، حتى جعلوا له بعض صفات الألوهية عباداً بالله .

قال قائلهم وهو البوصيري صاحب البردة يدعو النبي صلى الله عليه وسلم من دون الله ويلتجئ إليه ويرجوه :

يا أكرم الخلق مالي من ألود به	سواك عند حلول الحادث العمم
إن لم تكن في معادي آخذاً بيدي	فضلاً وإلا فقل يا زلة القدم ^(١)
فإن من جودك الدنيا وضرتها	ومن علومك علم اللوح والقلم

قال بعض أهل العلم معقبا على هذا الكلام : إنه لم يبق لله شيئاً ، فإذا كان من علم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - علم اللوح والقلم فماذا أبقى لله تعالى؟! وإذا كان من جوده صلى الله عليه وسلم الدنيا والآخرة ، فماذا أبقى لله؟!

و(من) للتبعيض بمعنى أن هناك أشياء يعلمها نبينا صلى الله عليه وسلم زائدة عن علوم اللوح والقلم، وأن هناك أشياء يملكها النبي صلى الله عليه وسلم زائدة عن ملك الدنيا والآخرة . وقوله : (وإلا فقل يا زلة القدم) أي إن لم ينجيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأخذ بيده فهو هالك خاسر . وهذا شرك أكبر مخرج من الملة عباداً بالله، حيث جعل النبي صلى الله عليه وسلم شريكا لله في صفات لا تنبغي أن تكون إلا لله عز وجل .

قال الشيخ عبد الرحمن آل الشيخ: " . . وقد اشتهر في نظم البوصيري قوله :

(يا أكرم الخلق ما لي من ألود به ... سواك عند حدوث الحادث العمم)

وما بعده من الأبيات التي مضمونها إخلاص الدعاء واللياذ والرجاء والاعتماد في أضييق الحالات وأعظم الاضطراب لغير الله فناقضوا الرسول صلى الله عليه وسلم بارتكاب ما نهى عنه أعظم مناقضة وشاقوا الله ورسوله أعظم مشاققة وذلك أن الشيطان أظهر لهم هذا الشرك العظيم في قالب محبة النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه وأظهر لهم التوحيد والإخلاص الذي بعثه الله به في قالب تنقيصه، وهؤلاء المشركون هم المنتقصون

(١) ملاحظة: هذا البيت مقدم في البردة على أربعة أبيات.

الناقصون أفرطوا في تعظيمه بما نهاهم عنه أشد النهي وفرطوا في متابعتهم فلم يعباؤا بأقواله وأفعاله ولا رضوا بحكمه ولا سلموا له وإنما يحصل تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم بتعظيم أمره ونهيه والاهتداء بهديه واتباع سنته والدعوة إلى دينه الذي دعا إليه ونصرته وموالاة من عمل به ومعاداة من خالفه فعكس أولئك المشركون ما أراد الله ورسوله علما وعملا وارتكبوا ما نهى عنه ورسوله فإله المستعان" اهـ^(١)

وقال بعض أهل العلم: "مقتضى هذه الآيات إثبات علم الغيب للنبي صلى الله عليه وسلم وأن الدنيا والآخرة جوده وتضمنت الاستغاثة به صلى الله عليه وسلم من أعظم الشدائد ورجاءه لكشفها وهو الأخذ بيده في الآخرة وإنفاذه من عذاب الله ، وهذه الأمور من خصائص الربوبية والألوهية التي ادعتها النصراني في المسيح عليه السلام وإن لم يقل هؤلاء إن محمداً هو الله أو ابن الله ولكن حصلت المشابهة للنصراني في الغلو الذي نهى عنه صلى الله عليه وسلم بقوله : " لا تطروني كما أطرت النصراني ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا عبدالله ورسوله "^(٢) والإطراء هو المبالغة في المدح حتى يؤول الأمر إلى أن يجعل المدح شيئاً من خصائص الربوبية والألوهية . وهذه الألفاظ صريحة في الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم" اهـ^(٣)

أما أهل السنة والجماعة فإنهم ينزلون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منزلته التي أنزله الله إياها، فهو - صلى الله عليه وسلم - كما قال العلامة المجدد محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله - : (عبدٌ لا يعبد ورسولٌ لا يكذب)^(٤) فهم وسط بين الغالين فيه والذاميين له . وهكذا تجد هؤلاء المتصوفة صرفوا هذه العبادة العظيمة - وهي الدعاء - للأولياء والصالحين ولو كانوا يفقهون لدعوا الله لهم واستغفروا لهم ، فإنهم بحاجة إلى ذلك ، هذا إن كان هؤلاء الأولياء - الذين يزعمون - صالحين ، وأما إن كانوا مشركين فلا ينفعهم دعاء الداعين ولا استغفار المستغفرين ولن يملكو لهم من الله شيئاً فكيف يدعونهم من دون الله؟! !!

وعلى تقدير صلاحهم، فإنهم بريئون من هذه الأفعال، وأخبر الله عنهم أنهم يريدون القربة إلى ربهم وخالقهم سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا (٥٧)﴾ [الإسراء: ٥٧]

وهذه الآية نزلت في أناس كانوا يعبدون الجن ، فأسلم الجن وهم لا يزالون يدعونهم من دون الله ، فبين الله لهم حالهم أنهم فقراء لا ينفعون أنفسهم فضلاً عن غيرهم فهم يبتغون القربة إلى الله بالأعمال الصالحة.^(٥) وأخبر الله أنهم يأتون يوم القيامة فيتبرؤون من عابديهم، ويكفرون بعبادتهم ويصيرون لهم أعداء ، فإنهم لا أضل منهم في الدنيا ، ولهم الخزي والعذاب في الآخرة ، قال تعالى : ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥) وَإِذَا حُسِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ (٦)﴾ [الأحقاف : ٥ ، ٦]

وجاء من حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من مات وهو يدعو من دون الله نداءً دخل النار »^(٦)

فمما يندى له الجبين ويحزن له القلب أنك ترى بعض هؤلاء الجهلة من إذا أصابت أحدهم مصيبة أو ألمت به ملمة ، استغاثت بالأموال والغائبين ، فينادي : يا سيدي فلان أغثنى ، أو يقول : يا سيدي فلان لك كذا من الغنم

(١)فتح المجيد شرح كتاب التوحيد - (١ / ٢١٥)

(٢) رواه البخاري عن عمر رضي الله عنه.

(٣) انظر أقوال علماء السنة في قصيدة البردة - (١ / ٨)

(٤) انظر الأصول الثلاثة للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب النجدي

(٥) انظر الصحيح المسند من أسباب النزول للشيخ مقبل رحمه الله عند هذه الآية

(٦) البخاري كتاب التفسير باب (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا) رقم (٤٢٩٧)

والبقر ارزقني الولد ، ونحو ذلك ، وهكذا يربون طلابهم ويدرسونهم على هذه العقائد الفاسدة ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اسْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ (البقرة : ١٧٥)

فالتوحيد عندهم هو : دعاء الأولياء والصالحين والنذر لهم والتقرب إليهم ، والشرك عندهم هو تنقص هؤلاء الأولياء بزعمهم والتحذير من دعائهم والنذر لهم ، كما ذكر ذلك عنهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله في الأصول الستة .

فمن المعلوم من الدين بالضرورة أن الدعاء عبادة لا تكون إلا لله فمن صرفها لغير الله فهو مشرك كافر شركاً أكبر مخرجاً من الملة.

قال تعالى : ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ (١١٧) ﴿المؤمنون : ١١٧﴾

وقال تعالى : ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ﴾ (١٠٦) ﴿يونس : ١٠٦﴾

قال علماء اللجنة الدائمة : (وكذلك دعاء غير الله من الأولياء والصالحين ، للكشف عن ضرر أو شفاء مريض ، أو تأمين طريق مخوف ، شرك أكبر مخرج من ملة الإسلام ، قال تعالى : ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ (١١٧) ﴿المؤمنون : ١١٧﴾

وقالوا أيضاً : (دعاء الأموات والغائبين - من الأنبياء والأولياء وغيرهم وحدهم أو مع الله - شرك أكبر ولو صام وصلى وزكى) اهـ (١)

بيان عجز المدعوين من دون الله أنهم لا يستجيبون لمن دعاهم ولا يسمعون من ناداهم ولا ينصرون من استنصرهم:

إن صاحب الفطرة السليمة والعقيدة الصحيحة يعلم بأن الأشجار والأحجار والجمادات لا تسمع ولا تبصر ولا تتكلم ولا تعقل فضلاً عن كونها تنفع أو تضر ، بل ويعلم أن الموتى لا يسمعون ولا ينفعون ولا يضرون ، وعلى تقدير سماعهم فإنهم لا يجيبون من ناداهم ، ولا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا فضلاً عن غيرهم ، بغض النظر عن صلاحهم أو فسادهم ، فإن كانوا صالحين ، فإنهم مفتقرون إلى الله راجون ثوابه خائفون من عقابه ، مشغولون بأنفسهم ، فكيف يسوغ دعاؤهم من دون الله أو اعتقاد تصرفهم في الكون؟! فإن هذا لا يصدر إلا ممن انتكست فطرته وفسدت عقيدته وركب الشيطان على عاتقه ، فالويل لهم من عذاب الله وعقوبته ، ومن بطشه ونقمته .

وسأنقل هنا جملة من الآيات وأقوال المفسرين حول هذه المسألة التي لا تخفى على ذي لب .

قال تعالى : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ" [الحج : ٧٣ ، ٧٤]

قال المفسر السعدي - رحمه الله - : " هذا مثل ضربه الله لقبح عبادة الأوثان ، وبيان نقصان عقول من عبدها ، وضعف الجميع ، فقال : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ } هذا خطاب للمؤمنين والكفار ، المؤمنون يزدادون علماً وبصيرة ، والكافرون تقوم عليهم الحجة ، { ضَرْبٌ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ } أي : ألقوا إليه أسماعكم ، وتفهموا ما احتوى عليه ، ولا يصادف منكم قلوباً لاهية ، وأسماعاً معرضة ، بل ألقوا إليه القلوب والأسماع ، وهو هذا : { إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ } شمل كل ما يدعى من دون الله ، { لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا } الذي هو من أحقر المخلوقات وأخسها ، فليس في قدرتهم خلق هذا المخلوق الضعيف ، فما فوقه من باب أولى ، { وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ } بل أبلغ من ذلك لو { يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ } وهذا غاية ما يصير من العجز . { ضَعُفَ الطَّالِبُ } الذي هو المعبود من دون الله {

(١) فتاوى اللجنة الدائمة الفتوى الأولى (١٤١/١) رقم (٥٤٧٦) الفتوى الثانية (١٤٢/١) رقم (٦٠٠٩)

وَالْمَطْلُوبُ { الذي هو الذباب، فكل منهما ضعيف، وأضعف منهما، من يتعلق بهذا الضعيف، وينزله منزلة رب العالمين" اهـ. (١)

وقال ابن كثير عند هذه الآية: " لو اجتمع جميع ما تعبدون من الأصنام والأنداد على أن يقدروا على خلق ذباب واحد ما قدروا على ذلك... "

أخرج صاحبها الصحيح، من طريق عُمارة، عن أبي زُرْعَةَ، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال الله عز وجل: "ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي؟ فليخلقوا ذرة، فليخلقوا شعيرة" . ثم قال تعالى أيضا: { وَإِنْ يَسْأَلُكَ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِئُوهُ مِنْهُ } أي: هم عاجزون عن خلق ذباب واحد، بل أبلغ من ذلك عاجزون عن مقاومته والانتصار منه، لو سلبها شيئاً من الذي عليها من الطيب، ثم أرادت أن تستنقذه منه لما قدرت على ذلك. هذا والذباب من أضعف مخلوقات الله وأحقرها ولهذا قال: { ضَعَفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ } .

قال ابن عباس: الطالب: الصنم، والمطلوب: الذباب. واختاره ابن جرير، وهو ظاهر السياق. وقال السدي وغيره: الطالب: العابد، والمطلوب: الصنم" اهـ. (٢)

وقال ابن القيم - رحمه الله -: "فتأمل هذا المثل الذي أمر الناس كلهم باستماعه فمن لم يستمعه فقد عصى أمره كيف تضمن إبطال الشرك وأسبابه بأصح برهان في أوجز عبارة وأحسنها وأحلاها وأسجل على جميع آلهة المشركين أنهم لو اجتمعوا كلهم في صعيد واحد وساعد بعضهم بعضا وعاونه بأبلغ المعاونة لعجزوا عن خلق ذباب واحد ثم بين ضعفهم وعجزهم عن استنقاذ ما يسلبهم الذباب إياه حين يسقط عليهم فأى إله أضعف من هذا الإله المطلوب ومن عابده الطالب نفعه وخيره فهل قدر القوي العزيز حق قدره من أشرك معه آلهة هذا شأنها فأقام سبحانه حجة التوحيد وبين إفك أهل الشرك والإلحاد بأعذب ألفاظ وأحسنها لم يستكرهها غموض ولم يشنها تطويل ولم يعيها تقصير ولم تزر بها زيادة ولا نقص بل بلغت في الحسن والفصاحة والبيان والإيجاز مالا يتوهم متوهم ولا يظن ظان أن يكون أبلغ في معناها منها وتحتها من المعنى الجليل القدر العظيم الشرف البالغ في النفع ما هو أجل من الألفاظ" اهـ. (٣)

وقال تعالى: " لَهُ دَعْوَةٌ الْحَقُّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٍ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دَعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ "[الرعد : ١٤]

قال المفسر ابن كثير - رحمه الله -: { وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ } أي: ومثل الذين يعبدون آلهة غير الله. { كَبَاسِطٍ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ } قال علي بن أبي طالب: كمثل الذي يتناول الماء من طرف البئر بيده، وهو لا يناله أبدا بيده، فكيف يبلغ فاه؟" اهـ. (٤)

وقال المفسر البغوي - رحمه الله - : "أي: إلا كباسط كفيه ليقبض على الماء والقابض على الماء لا يكون في يده شيء، ولا يبلغ إلى فيه منه شيء، كذلك الذي يدعو الأصنام، وهي لا تضر ولا تنفع، لا يكون بيده شيء. وقيل: معناه كالرجل العطشان الذي يرى الماء من بعيد، فهو يشير بكفه إلى الماء، ويدعوه بلسانه، فلا يأتيه أبدا، هذا معنى قول مجاهد.

١ - تفسير السعدي - (١ / ٥٤٦)

٢ - تفسير ابن كثير / دار طيبة - (٥ / ٤٥٤)

٣ - الصواعق المرسلّة - (٢ / ٤٦٦-٤٦٧)

٤ - تفسير ابن كثير - (٤ / ٤٤٥)

ومثله عن علي وعطاء: كالعطشان الجالس على شفير البئر، يمد يده إلى البئر فلا يبلغ قعر البئر إلى الماء، ولا يرتفع إليه الماء، فلا ينفعه بسط الكف إلى الماء ودعاؤه له، ولا هو يبلغ فاه، كذلك الذين يدعون الأصنام لا ينفعهم دعاؤها، وهي لا تقدر على شيء.
وعن ابن عباس: كالعطشان إذا بسط كفيه في الماء لا ينفعه ذلك ما لم يغرف بهما الماء، ولا يبلغ الماء فاه ما دام باسطا كفيه. وهو مثل ضربه لخبية الكفار" اهـ^(١).

وقال تعالى: "يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لِبَيْسٍ الْمَوْلَىٰ وَلِبَيْسٍ الْعَشِيرُ" [الحج: ١٢، ١٣]

قال ابن كثير: {يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ} أي: من الأصنام والأنداد، يستغيث بها ويستنصرها ويستترزقها، وهي لا تنفعه ولا تضره، {ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ} . يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ {أي: ضرره في الدنيا قبل الآخرة أقرب من نفعه فيها، وأما في الآخرة فضرره محقق متيقن" اهـ^(٢).

وقال البغوي: {يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ} إن عصاه ولم يعبد، {وَمَا لَا يَنْفَعُهُ} إن أطاعه وعبد، {ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ} عن الحق والرشد. {يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ} هذه الآية من مشكلات القرآن وفيها أسئلة:

أولها قالوا: قد قال الله في الآية الأولى "يدعو من دون الله ما لا يضره"، وقال هاهنا: "لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ"، فكيف التوفيق بينهما؟

قيل: قوله في الآية الأولى: "يدعو من دون الله ما لا يضره" أي: لا يضره ترك عبادته، وقوله: "لمن ضره أقرب" أي: ضر عبادته" اهـ^(٣).

وقال السعدي {يَدْعُو} هذا الراجع على وجهه {مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ} وهذا صفة كل مدعو ومعبود من دون الله، فإنه لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضراً، {ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ} الذي قد بلغ في البعد إلى حد النهاية، حيث أعرض عن عبادة النافع الضار، الغني المغني، وأقبل على عبادة مخلوق مثله أو دونه، ليس بيده من الأمر شيء بل هو إلى حصول ضد مقصوده أقرب، ولهذا قال: {يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ} فإن ضرره في العقل والبدن والدنيا والآخرة معلوم {لِبَيْسٍ الْمَوْلَى} أي: هذا المعبود {وَلِبَيْسٍ الْعَشِيرُ} أي: القرين الملازم على صحبته، فإن المقصود من المولى والعشير، حصول النفع، ودفع الضرر، فإذا لم يحصل شيء من هذا، فإنه مذموم ملوم" اهـ^(٤).

وقال تعالى: "وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ" [الأحقاف: ٥]

قال المفسر الشوكاني - رحمه الله - : {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ} أي : لا أحد أضل منه ولا أجهل ، فإنه دعا من لا يسمع ، فكيف يطمع في الإجابة فضلاً عن جلب نفع ، أو دفع ضرر؟ فتبين بهذا أنه أجهل الجاهلين وأضل الضالين ، والاستفهام للتقريع والتوبيخ ، وقوله : { إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ } غاية لعدم الاستجابة" اهـ^(٥).

١ - تفسير البغوي - (٤ / ٣٠٦)

٢ - تفسير ابن كثير / (٥ / ٤٠١)

٣ - تفسير البغوي - (٥ / ٣٦٩)

٤ - تفسير السعدي - (١ / ٥٣٤)

٥ - فتح القدير للشوكاني - (٦ / ٤٤٩)

وقال تعالى: **إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** [الأعراف : ١٩٤]

قال المفسر الطبري - رحمه الله - : " يقول جل ثناؤه لهؤلاء المشركين من عبدة الأوثان، موبّخهم على عبادتهم ما لا يضرهم ولا ينفعهم من الأصنام: (إن الذين تدعون) أيها المشركون، آلهة (من دون الله)، وتعبدونها، شركًا منكم وكفرًا بالله (عباد أمثالكم)، يقول: هم أملاك لربكم، كما أنتم له ممالك. فإن كنتم صادقين أنها تضر وتنفع، وأنها تستوجب منكم العبادة لنفعتها إياكم، فليستجيبوا لدعائكم إذا دعوتهم، فإن لم يستجيبوا لكم، لأنها لا تسمع دعاءكم، فأيقنوا بأنها لا تنفع ولا تضر؛ لأن الضر والنفع إنما يكونان ممن إذا سئل سمع مسألة سائله وأعطى وأفضل، ومن إذا شكى إليه من شيء سمع، فضر من استحق العقوبة، ونفع من لا يستوجب الضر" اهـ. (١)

وقال السعدي: "وهذا من نوع التحدي للمشركين العابدين للأوثان، يقول تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ } أي: لا فرق بينكم وبينهم، فلكم عبيد لله مملوكون، فإن كنتم كما تزعمون صادقين في أنها تستحق من العبادة شيئاً { فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ } فإن استجابوا لكم وحصلوا مطلوبكم، وإلا تبين أنكم كاذبون في هذه الدعوى، مفترتون على الله أعظم الفرية" اهـ. (٢)

وقال تعالى: **وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ** [الأعراف : ١٩٧]

قال ابن كثير: { وَلَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ نَصْرًا } أي: لعابديهم { وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ } يعني: ولا لأنفسهم ينصرون ممن أرادهم بسوء، كما كان الخليل، عليه الصلاة والسلام، يكسر أصنام قومه ويهيئها غاية الإهانة، كما أخبر تعالى عنه في قوله: { فَرَأَى عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ } [الصافات: ٩٣] وقال تعالى: { فَجَعَلَهُمْ جُذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ } [الأنبياء: ٥٨] اهـ. (٣)

وقال السعدي: "وهذا أيضا في بيان عدم استحقاق هذه الأصنام التي يعبدونها من دون الله لشيء من العبادة، لأنها ليس لها استطاعة ولا اقتدار في نصر أنفسهم، ولا في نصر عابديها، وليس لها قوة العقل والاستجابة" اهـ. (٤)

وقال تعالى: **{ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ * إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ }** [فاطر: ١٣-١٤]

والقطمير هو اللفافة التي على نواة التمرة، وهي من أصغر الأشياء، ومع هذا فإنهم لا يملكونها.

وبالجملة فإن الذي يدعو غير الله كمثل الساقط من أعلى شاهق ويتشبث بطحلب أو بخيوط العنكبوت فإنها لا تغني عنه شيئاً ولا تزيده إلا ضعفاً، ومثل الذي يدعو الله تبارك وتعالى كمثل الذي يتحصن من عدوه بجبل بحيث لا يستطيع عدوه أن يتوصل إليه وقد حماه الله بحصن حصين وهو الجبل، فانظر الفرق بين المثليين والفرق بين الرجلين، يظهر لك الأمر جلياً، وقد بين الله سبحانه وتعالى ذلك في كتابه بأوضح بيان، وأقام الحجة والبرهان، وضرب الأمثلة الحسان وما يعقلها إلا العالمون.

١ - جامع البيان (تفسير الطبري) - (١٣ / ٣٢١)

٢ - تفسير السعدي - (١ / ٣١٢)

٣ - تفسير ابن كثير / دار طيبة - (٣ / ٥٢٩)

٤ - تفسير السعدي - (١ / ٣١٢)

قال تعالى: "مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ [العنكبوت : ٤١ - ٤٣]"

ولكن حال هؤلاء المشركين كما قال تعالى: {وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ} [فاطر : ٢٢] فهؤلاء شابههم الله بالأموات لأنهم أموات القلوب. وفي قوله تعالى: {وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ} دليل على عدم سماع الموتى للأحياء إلا ما خصه الدليل كما هو مقرر ومعلوم في كتب العقيدة بأدلته وسيأتي قريبا إن شاء الله تعالى .

قال المفسر الطبري: "يقول تعالى ذكره: كما لا يقدر أن يسمع من في القبور كتاب الله فيهديهم به إلى سبيل الرشاد، فذلك لا يقدر أن ينفذ بمواظ الله وبيان حججه من كان ميت القلب من أحياء عبادته، عن معرفة الله، وفهم كتابه وتنزيله، وواضح حججه" اهـ^(١) فهذه الآيات جميعها وأمثالها بما فيها من الوعيد وبيان العجز تنطبق على كل مدعو أو معبود من دون الله، سواء كان إنسانا أو جانا أو جمادا، صالحا أو فاسدا نبيا أو طاغوتا، وأن العابد والمعبود في جهنم جميعا، إلا أن الأنبياء والصالحين الذين عبدتهم المشركون ودعوهم من دون الله متبرئون من عبادتهم لهم، فلا يشملهم الذم، بينما من عبد من غيرهم وهو راض فيشمله الوعيد وهو من حصب جهنم. قال تعالى: "إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ * لَوْ كَانَ هُوَ لِآلِهَةٍ مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ * لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ * إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ * لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ * لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ" [الأنبياء : ٩٨ ، ١٠٣]

قال المفسر ابن كثير: "وقال آخرون: بل نزلت استثناء من المعبودين، وخرج منهم عزيز والمسيح، كما قال حجاج بن محمد الأعمش، عن ابن جريج وعثمان بن عطاء، عن عطاء، عن ابن عباس: { إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ } ، ثم استثنى فقال: { إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ الْحُسْنَى } فيقال : هم الملائكة، وعيسى، ونحو ذلك مما يعبد من دون الله عز وجل. وكذا قال عكرمة، والحسن، وابن جريج" اهـ^(٢) وقال المفسر البغوي في قوله تعالى: {وَأُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ} قيل: الآية عامة في كل من سبقت لهم من الله السعادة. وقال أكثر المفسرين: عني بذلك كل من عبد من دون الله وهو لله طائع ولعبادة من يعبده كاره" اهـ^(٣)

وجاء في سبب نزول هذه الآية ما ذكره ابن إسحاق قال: و جلس الرسول صلى الله عليه و سلم - فيما بلغنا - يوما مع الوليد بن المغيرة في المسجد فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم وفي المجلس غير واحد من رجال قريش ، فتكلم رسول الله صلى الله عليه و سلم فعرض له النضر فكلمه رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى أفحمه ثم تلا عليه و عليهم ؟ : { إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ * لَوْ كَانَ هُوَ لِآلِهَةٍ مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ * لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ } [الأنبياء : ٩٨ - ١٠٠] ثم قام رسول الله صلى الله عليه و سلم وأقبل عبد الله بن الزبير السهمي حتى جلس ، فقال الوليد بن المغيرة له : و الله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب أنفا و ما قعد و قد زعم محمد أنا و ما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم .

فقال عبد الله بن الزبيرى : أما - والله - لو و جدته لخصمته فسلوا محمدا : أكل من يعبد من دون الله حصب جهنم مع من عبده ؟ فنحن نعبد الملائكة و اليهود تعبد عزيزا و النصرارى تعبد عيسى ، فعجب الوليد و من كان

(١) جامع البيان (تفسير الطبري) - (٢٠ / ٤٥٩)

(٢) تفسير ابن كثير / دار طيبة - (٥ / ٣٧٩)

(٣) تفسير البغوي - (٥ / ٣٥٦)

معه في المجلس من قول ابن الزبيرى و رأوا أنه قد احتج و خاصم ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه و سلم . فأنزل الله تعالى : * إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ * لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ { [الأنبياء : ١٠١ - ١٠٢] أي : عيسى ابن مريم و عزيزا و من عبد من الأحيار و الرهبان الذين مضوا على طاعة الله تعالى "اهـ" (١)

إيضاح في معنى عدم سماع الأموات :

قال علماء اللجنة الدائمة : (فالأصل في الأموات أنهم لا يسمعون نداء من ناداهم من النَّاس ، ولا يستجيبون دعاء من دعاهم ولا يتكلمون مع الأحياء من البشر ولو كانوا أنبياء بل انقطع عملهم بموتهم ، لقوله تعالى : { وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ } [آل عمران: ١٤٤] وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث أنس رضي الله عنه : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ، صدقة جارية أو ولد صالح يدعو له أو علم ينتفع به » (٢) اهـ (٣)

وهناك عقيدة فاسدة مصادمة للقرآن الكريم عند الصوفية ، وهي أنهم يعتقدون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يموت ، والله سبحانه وتعالى يقول : ۞ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ۞ الزمر : ٣٠ ، ٣١

وقال تعالى : ۞ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ۞ [آل عمران : ١٤٤] فإننا نعتقد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات - كما أخبر الله تعالى - وانتقل من الحياة الدنيا إلى حياة البرزخ ، وهي حياة لا يعلمها إلا الله ، لا ينفع ولا يضر ولا يسمع صوت إنسان من الأحياء إلا ما خصه الدليل من الصلاة والسلام عليه ، وكذلك غيره من الأموات لا يسمعون نداء من ناداهم من الأحياء .

فإن قال قائل : إن كفار قريش الذين قتلوا يوم بدر قد سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم حينما ناداهم ، وكذلك الميت حين يدفن يسمع قرع نعاليهم إذا ولوا مدبرين ، وكذلك النبي صلى الله عليه وسلم يسمع الذي يصلي عليه .

الجواب :

هذه حالات خاصة جاءت بها الأدلة لا تتجاوز إلى غيرها.

- فأما الدليل على أن الميت يسمع قرع نعاليه بعد الدفن حين يولون عنه مدبرين ولا يسمع شيئا بعد ذلك . ما جاء من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - قَالَ قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- « إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُ أَصْحَابُهُ إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ » الحديث . (٤)

- والدليل على أن قتلى بدر سمعوا نداء النبي صلى الله عليه وسلم إياهم ولم يسمعوا شيئا بعد ذلك ما جاء عن أنس بن مالك أيضا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تَرَكَ قَتْلَىٰ بَدْرٍ ثَلَاثًا ثُمَّ أَتَاهُمْ فَقَامَ عَلَيْهِمْ فَنَادَاهُمْ فَقَالَ « يَا أَبَا جَهْلٍ بِنِ هِشَامٍ يَا أُمَيَّةَ بِنِ خَلْفٍ يَا عُثْبَةَ بِنِ رَبِيعَةَ بِنِ رَبِيعَةَ بِنِ رَبِيعَةَ الْأَيْسَ قَدْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا » . فَسَمِعَ عُمَرُ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَسْمَعُوا وَأَنَّى

(١) انظر صحيح السيرة النبوية للألباني- (١ / ١٩٧)

(٢) رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة (٤٧٨/١ - ٤٧٩) رقم (١٧٢٧)

(٤) متفق عليه

يُجِيبُوا وَقَدْ جَبَّيْنَا قَالِ « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعِ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ وَلَكِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يُجِيبُوا ». ثُمَّ أَمَرَ بِهِمْ فَسَجُّبُوا فَأَلْفُوا فِي قَلْبِ بَدْرِ. (١)

و الدليل على أن صلاة العبد على نبينا - صلى الله عليه وسلم - معروضة عليه وأن الله يرد عليه روحه ليرد عليه السلام ، ما جاء عن أوس بن أوس - رضي الله عنه - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ قُبُضَ وَفِيهِ النَّفْخَةُ وَفِيهِ الصَّعْقَةُ فَأَكْثَرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ ». قَالَ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرْمَتِ يَقُولُونَ بَلِيَّت. فَقَالَ « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَيَّ الْأَرْضِ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ ». (٢)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ ». (٣)

فمن زعم أن غيرهم من الأموات يسمع نداء الأحياء في غير هذه الحالات فعليه بالدليل ، وأنى له ذلك فإن الأدلة جاءت بعدم سماع الأموات للأحياء .

قال علماء اللجنة الدائمة : (.... وأما سماع قتلى الكفار الذين قبروا في القليب يوم بدر نداء رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم وقوله لهم : « هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً فإنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً » وقوله لأصحابه : « ما أنتم بأسمع لما أقول منهم » حينما استنكروا نداء أهل القليب ، فذلك من خصوصياته التي خصه الله بها فاستثنيت من الأصل العام بالدليل ، وهكذا سماع الميت قرع نعال مشيعي جنازته ، مستثنى من هذا الأصل وهكذا قوله صلى الله عليه وسلم: « ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام » مستثنى من هذا الأصل .

وبالله التوفيق. وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم. (٤)هـ

وهذا هو جواب العلامة الوادعي أيضاً في رده على الطحان .

كيف يُعامل من دعا غير الله ؟

قال علماء اللجنة الدائمة : (فمن كان مقراً بلا إله إلا الله وأن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويؤدي الشرائع ، لكنه يدعو مع الله شيئاً آخر ، فهو مشرك ، لا يجوز الصلاة عليه ولا تشييع جنازته إذا مات ولم يتب) (٥)

وقال العلامة الوادعي رحمه الله : (فالذي يدعو أصحاب القبور ويستعين بهم ويتمسح بها ، فإن كان يعتقد أنها تنفع وتضر من دون الله فتعامل معه على أنه مشرك ، ولا تزوجه بابنتك ولا بأختك ، لأن الله عز وجل يقول : ﴿ لَا هُنَّ حُلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحُلُّونَ لَهُنَّ ﴾ [المتحنة : ١٠] فهكذا ينبغي التعامل معه على أنه مشرك ...) (٦)

(١) متفق عليه واللفظ لمسلم.

(٢) رواه أبوداود وغيره وصححه الألباني.

(٣) رواه أبوداود وغيره وصححه الألباني.

(٤) فتاوى اللجنة الدائمة (٤٧٨/١ - ٤٧٩) رقم (١٧٢٧)

(٥) فتاوى اللجنة الدائمة (١٥٤/١) رقم (٩٦١٠) بتصرف

(٦) الأجوبة السديدة في فتاوى العقيدة للشيخ مقبل بن هادي الوادعي (٣٥/١)

قال شيخ الإسلام - رحمه الله - في الرسالة السنوية : فإذا كان على عهد النبي صلى الله عليه و سلم ممن انتسب إلى الإسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة فليعلم أن المنتسب إلى الإسلام والسنة في هذه الأزمان قد يمرق أيضا من الإسلام لأسباب منها : الغلو في بعض المشايخ بل الغلو في علي بن أبي طالب بل الغلو في المسيح فكل من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعا من الإلهية مثل أن يقول : يا سيدي فلان انصرتني أو أغثني أو ارزقني أو أنا في حسبك ونحو هذه الأقوال فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فإن تاب وإلا قتل...^(١)

قوله : (يستتاب فإن تاب وإلا قتل) مأخوذ من قوله تعالى : ﴿فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرْمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضِرُوا لَهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَأِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥)﴾ التوبة : هـ .

فالخلاصة : أن الدعاء عبادة لا تكون إلا لله سبحانه وتعالى وصرافها لغير الله شرك .

والدعاء سلاح المؤمن ينبغي عليه أن يتسلح به ، فإن أصابه شيء لجأ إلى الله سبحانه وتعالى وانكسر قلبه بين يديه ، ولا يلجأ إلى مخلوق مثله لا يستطيع أن ينفع نفسه فضلاً عن غيره .

وما أحسن قول القائل:

فإنه يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يُسأل يغضبُ

بل قد ثبت من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : "إنه من لم يسأل الله يغضب عليه"^(٢)

فمن وفقه الله للدعاء فقد أوتي خيراً كثيراً ، ويكفيه شرفاً أنه في عبادة واتصال مع رب العالمين سبحانه ويؤجر على ذلك، بالإضافة إلى ما يحصل له من خير عاجل أو آجل، فليكثر العبد من الدعاء ، وليعمل بأسباب الاستجابة، وليتحرر أوقاتها كالثالث الأخير من الليل وآخر ساعة من يوم الجمعة وفي السجود والسفر والصيام وبين الأذان والإقامة وعند التهام الجيشين وليدع ربه وهو موقن بالإجابة وليطب مطعمه وغير ذلك مما جاءت به الأدلة، ويتجنب موانع الإجابة يكن مستجاب الدعوة بإذن الله تبارك وتعالى.

وأما قاعدة : "علمه بحالي يعني عن سؤالي"

فإنها قاعدة باطلة ترددها نصوص الكتاب والسنة ، وهذه القاعدة يدندن بها الصوفية وينسبونها إلى إبراهيم الخليل عليه السلام ولم تثبت إليه^(٣) فإن الله تعالى قد أمرنا بالدعاء ووعدنا بالإجابة فقال سبحانه : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر : ٦٠]

وتقدم حديث : "الدعاء هو العبادة" وحديث : "ليس شيء أكرم على الله من الدعاء"

(١) انظر فتح المجيد (ص : ١٨٠ - ١٨١)

(٢) رواه الترمذي وحسنه الألباني.

٣ - قال الألباني لا أصل له، وقال شيخ الإسلام في التوسل والوسيلة: ليس له إسناد معروف وهو باطل.

قال شيخ الإسلام: "والناس قد اختلفوا في الدعاء المستعقب لقضاء الحاجات فزعم قوم من المبطلين ، متفلسفة ومتصوفة ، أنه لا فائدة فيه أصلاً ، فإن المشيئة الإلهية والأسباب العلوية ، إما أن تكون قد اقتضت وجود المطلوب ، وحينئذ فلا حاجة إلى الدعاء ، أو لا تكون اقتضته ، وحينئذ فلا ينفع الدعاء .

وقال قوم ممن تكلم في العلم : بل الدعاء علامة ودلالة على حصول المطلوب ، وجعلوا ارتباطه بالمطلوب ارتباطاً الدليل بالمدلول ، لا ارتباط السبب بالمسبب بمنزلة الخبر الصادق والعلم السابق .

والصواب : ما عليه الجمهور - من أن الدعاء سبب لحصول الخير المطلوب ، أو غيره ، كسائر الأسباب المقدره والمشروعة . وسواء سمي سبباً أو جزءاً من السبب أو شرطاً ، فالمقصود هنا واحد ، فإذا أراد الله بعبد خيراً ألهمه دعاءه والاستعانة به ، وجعل استعانته ودعائه سبباً للخير الذي قضاه له ، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : " إني لا أحمل هم الإجابة ، وإنما أحمل هم الدعاء ، فإذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه " اهـ^(١) .

وقد جعل الله الدعاء من أسباب قضاء الحوائج بل ومن أسباب رد القضاء، كما ثبت من حديث سلمان الفارسي - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لا يرد القضاء إلا الدعاء ، ولا يزيد في العمر إلا البر »^(٢)

والمؤمن في إجابة الدعاء بين ثلاثة أمور كلها خير :

١ . إما أن يعجل الله له دعوته .

٢ . أو يصرف عنه من السوء بمثلها من حيث لا يحتسب .

٣ . أو يدخره له في الآخرة .

فقد جاء عند الإمام أحمد - رحمه الله - من حديث أبي سعيد - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث : إما أن تُعجل له دعوته ، وإما أن يدخرها له في الآخرة ، وإما أن يصرف عنه من السوء بمثلها » قالوا إذا نُكثِرَ ؟ قال : « الله أكثر »^(٣)

فلا يُتساهل بالدعاء أو يُستهان به، وكما قيل :

أتهزأ بالدعاء وتزدريه وما تدري بما صنع الدعاء

سهام الليل لا تخطئ ولكن له أمد وللأمد انقضاء

فالدعاء خفيف على اللسان ، ثقيل في الميزان ، ووقاية للإنسان من مكائد الشيطان ، وهو حبيب إلى الرحمن ، لأنه أمر به ، وكل ما أمر الله به فهو محبوب إليه ، وكل ما يحبه الله فهو عبادة ، فالدعاء هو العبادة فليكثر العبد من الدعاء في الشدة والرخاء .

وينبغي أن يشتمل الدعاء على تواطؤ القلب للسان ليكون أقوى وأبلغ وأرجى في الإجابة ، وذلك بأن يدعو العبد بلسانه مع افتقار القلب وحضوره، فإن الله سبحانه لا يستجيب دعاء من قلب غافل.

١ - اقتضاء الصراط المستقيم - (٢ / ٢٢٨-٢٢٩)

(٢) رواه الترمذي وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب .

(٣) أخرجه أحمد وهو في الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين للشيخ مقبل (٣٤٨/١) رقم (٤١٢) وصححه الألباني .

فقد ثبت عن أبي هريرة- رضي الله عنه - قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: " ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافلٍ لاهٍ"^(١)

(١) رواه الترمذي وغيره وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب .

المبحث الثاني الشرك في الاستغاثة

تعريف الاستغاثة :

لغة : "الاستغاثة مأخوذة من الغوث ، أجاب الله غوثاه ، وحكى ابن الأعرابي : أجاب الله غوثه ، والغوث بالضم الإغاثة ، وغوث الرجل صاح ، واغوثاه" اهـ^(١)

اصطلاحاً : عرفها ابن عثيمين - رحمه الله : (بأنها طلب الغوث وهو الإنقاذ من الشدة والهلاك)^(٢)

الفرق بين الاستغاثة والدعاء :

الاستغاثة هي نوع من أنواع الدعاء إلا أن الدعاء أعم . قال ابن عثيمين رحمه الله : (الاستغاثة دعاء بإزالة الشدة فقط ، بينما الدعاء عام لكونه يجلب منفعة أو يدفع مضرة)^(٣)

أقسام الاستغاثة :

قسمها ابن عثيمين - رحمه الله - إلى أربعة أقسام ، كما يلي :

الأول : الاستغاثة بالله عز وجل وهذا من أفضل الأعمال وأكملها وهو دأب الرسل وأتباعهم ، ودليله قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبْ لَكُمْ أَنِّي مُمِدِّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْسِلِينَ ﴾ ((الأنفال : ٩

الثاني : الاستغاثة بالأموات أو بالأحياء غير الحاضرين القادرين على الإغاثة ، فهذا شرك ، لأنه لا يفعله إلا من يعتقد أن لهؤلاء تصرفاً خفياً في الكون ، فيجعل لهم حظاً من الربوبية ، قال تعالى : ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَّرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (النمل : ٦٢)

الثالث : الاستغاثة بالأحياء العالمين القادرين على الاستغاثة بهم ، قال تعالى في قصة موسى عليه السلام : ﴿ فَاسْتَعَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾ (١٥) القصص : ١٥].

الرابع : الاستغاثة بحي غير قادر ، من غير أن يعتقد أن له قوة خفية ، مثل : أن يستغيث الغريق برجلٍ مشلول ، فهذا لغو وسخرية بمن استغاث به فيمنع منه لهذه العلة (اهـ^(٤)

أما إذا كان الرجل قادراً على أن يغيث أخاه فلا مانع من ذلك ، كأن يكون سباحاً فينقذه من الغرق لأنه لا يحسن السباحة ، فهذه استغاثة جائزة ، بالشروط المتقدمة ، وهي أن يكون حياً حاضراً قادراً ، خرج بذلك الميت والغائب والعاجز فلا تجوز الاستغاثة بهم .

(١) لسان العرب لابن منظور (١٠/١٣٩)

(٢) شرح الثلاثة الأصول لابن عثيمين (ص : ٦٥)

(٣) القول المفيد لابن عثيمين (٢/٢٦١)

(٤) شرح الأصول الثلاثة (ص : ٦٥-٦٦)

قال الشيخ عبدالرحمن آل الشيخ : (.. فيجوز لشخص أن يقول لآخر أنقذني من الغرق ، ولا يجوز أن يقول أنقذني من الموت . فتجوز في الأسباب العادية من الأمور الحسية ، من قتال أو إدراك عدو أو سبع ونحوه ، كقولهم : يا لزيد يا للمسلمين ، بحسب الأسباب الظاهرة بالفعل ، وأما الاستغاثة بالقوة والتأثير ، أو في الأمور المعنوية من الشدائد كالمرض والضيق والفقر وطلب الرزق ونحوه ، فمن خصائص الله لا يُطلب من غيره)^(١) .

تنبيه : طلب الغوث والنداء عن طريق المواصلات بالهواتف والمراسلات السريعة في حكم الحاضر ، أي أنه جائز بالشروط المتقدمة والله أعلم .

حكم الاستغاثة بغير الله من الأحياء والأموات :

الاستغاثة بغير الله شرك أكبر إذا كانت في أمر لا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى .

قال علماء اللجنة الدائمة : (إن الاستغاثة بالأموات ودعاءهم من دون الله ، أو مع الله شرك أكبر مخرج من ملة الإسلام ، سواء كان المستغاث به نبياً أو غير نبي ، وكذلك الاستغاثة بالغائبين ، وهؤلاء لا تصح الصلاة خلفهم لشركهم .

أما من استغاث بالله سبحانه متوسلاً بجاههم أو من طاف حول قبورهم ، دون أن يعتقد فيهم تأثيراً ، وإنما رجاء أن تكون منزلتهم سبباً في استجابة الله له ، فهو مبتدع آثم مرتكب لوسيلة من وسائل الشرك ، ويُخشى عليه أن يكون من ذلك منه ذريعة إلى وقوعه في الشرك الأكبر)^(٢)

وقالوا أيضاً : (من كان يُصلي ويصوم ويأتي بشرائع الإسلام ، إلا أنه يستغيث بالأموات، والغائبين ، والملائكة فهو مشرك ، وإذا نُصح ولم يقبل وأصر على ذلك حتى مات ، فهو مشرك شركاً أكبر مخرجاً من الملة ، فلا يُصلى عليه صلاة الجنازة ولا يُدفن في مقابر المسلمين ولا يُدعى له بالمغفرة ولا يرثه أولاده ولا أبوه ولا إخوته الموجودون ولا نحوهم ممن هو مسلم لاختلفهم في الدين ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: « لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم »^(٣) اهـ^(٤)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : (لا يجوز لأحد أن يستغيث بأحد من المشايخ الغائبين ، ولا الميتين .. وهؤلاء المستغيثون عند قبورهم لما كانوا من جنس عباد الأوثان ، صار الشيطان يُضلهم و يُغويهم كما يُضل عباد الأوثان ، فتتصور الشياطين في صور المُستغاث به .. وقد تقضي الشياطين بعض حاجاتهم وتدفع عنهم بعض ما يكرهون ، ويظن هذا المستغيث أنه الشيخ الذي نفعه ، وإنما هو الشيطان تمثل في صورة هذا الشيخ ، كما تدخل الشياطين في الأصنام وتكلم عابديها وتقضي بعض حوائجهم ...)^(٥)

وهكذا تجد بعض العامة بل وبعض من ينتسب إلى العلم والزهد ، كالصوفية وغيرهم يستغيثون ببعض المخلوقين من الأحياء والميتين الذين لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً ، فضلاً عن غيرهم ، كالبَدوي والجيلاني وابن علوان والرفاعي والعيديروس والهادي ، والعرافين والكهان وغيرهم وربما هؤلاء المستغاث بهم فسقة

(١)فتح المجيد (ص : ١٨٤)

(٢)فتاوى اللجنة الدائمة (١٠٦/١) رقم (٤١٥٤)

(٣)متفق عليه عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما

(٤)فتاوى اللجنة الدائمة (١٠٧/١) رقم (٦٩٧٢)

(٥)انظر أخطاء في العقيدة لعبد الله بن يوسف العجلان (ص : ٧ - ٨)

وأهل بدع وربما مشركون ، لكنه الجهل خيم على كثير من الناس ، فابتعدوا عن العلم فضعف توحيدهم فتعلقوا بغير الله ، وغلوا في الصالحين حتى أعطوهم مرتبة من مراتب الألوهية فوقعوا في الشرك الأكبر ، والعياذ بالله .

ومنهم من يستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال الله عنه : ﴿ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴾ الجن : ٢١ لهذا حاله في حياته ، فكيف من بعد وفاته !!؟ فمن باب أولى أنه لا ينفع ولا يضر ، فلا يجوز الغلو في رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد نهى عن ذلك كما ثبت ذلك من حديث عُمرَ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قال سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنِ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ" (١) .

وكما أنه لا يجوز الغلو فيه ، فكذلك لا يجوز التفريط في حقه وفي سنته ، فالناس في رسول الله صلى الله عليه وسلم في طرفي نقيض ، ما بين غالي وجافي ، فالغالي فيه مفرط ومشرك ، والجافي عنه مقصر ، فمبتدع أو عاصي ، وهدى الله أهل السنة والجماعة فتوسطوا فيه ما بين الطرفين ، فلم يغلوا في رسول الله صلى الله عليه وسلم فيرفعه فوق منزلته ، ولم يقصروا عنه فيتركوا سنته أو يرتكبوا ما نهى عنه ، وإنما لزموا سنته واقتفوا أثره فهداهم الله للحق الذي جاء به .

فمن جانب طاعة النبي صلى الله عليه وسلم وقع في المخالفات والمعاصي . ومن جانب السنة وقع في البدع والمحدثات ومن جانب التوحيد وقع في الشركيات والخرافات .

فترى الصوفية (٢) يستغيثون برسول الله صلى الله عليه وسلم و بمشايخهم ، ويظنون أن هذا هو التوحيد الذي دعت إليه الرسل ويحسبون أنهم موحدون ، وليسوا مشركين ، وحجتهم: أنهم يقولون : لا إله إلا الله أما كفار قريش فلم يقولوها .

فالرد عليهم : أن مشركي قريش علموا معنى لا إله إلا الله ، فأبوا أن يقولوها ؛ لأنهم لم يقبلوها ، وأما هؤلاء جهلوا معناها فلم يعلموا معناها ولم يتعلموها وقالوها ولم يعملوا بمقتضاها ، بل ناقضوها بأفعالهم ، ومشركو قريش كانوا يتخذون الأصنام واسطة ووسيلة تقربهم إلى الله ويعتقدون أنها لا تنفع ولا تضر ، وأما هؤلاء عبدوا أصحاب القبور ودعوهم استقلالاً من دون الله ، وكان مشركو قريش يرجعون إلى الله وقت الشدائد ، أما هؤلاء فإنهم يزدادون تشبهاً بهؤلاء الموتى وقت الشدائد والمصائب ، فصاروا أعظم شركاً منهم في هذا الجانب .

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي - رحمه الله - : "القاعدة الرابعة: أن مشركي زماننا أغلظ شركاً من الأولين ، لأنّ الأوّلين يُشركون في الرخاء ويُخلصون في الشدّة، ومشركو زماننا شركهم دائم؛ في الرخاء والشدّة. والدليل قوله تعالى: {فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ} [العنكبوت: ٦٥] . اهـ (٣)

(١) رواه البخاري .

(٢) هذا ما يحصل من غلاة الصوفية ، وإلا فهناك أصحاب بدع صغرى وعوام منهم ملبس عليهم ، لا يصلون إلى حد الشرك الأكبر وكل بحسبه ، وخصصناهم بالذكر لأن دعاء غير الله غالباً ما يحصل منهم ، وكذلك الرافضة يسرون على هذا المنوال .

(٣) القواعد الأربع - (١ / ٣)

قال علماء اللجنة الدائمة : (وعلى كل حال الذين يدعون غير الله ويستغيثون بهم لا تجوز موالاتهم ولا تصح الصلاة خلفهم ولا تجوز عسرتهم ولا الإقامة بين أظهرهم إلا لمن يدعوهم إلى الحق على بينة وأن تصلح أحوالهم على يديه وإلا وجب عليه هجرهم)^(١) .

وعلى كلٍ فإن هؤلاء المستغاث بهم من أصحاب القبور ، يعلم الله بحالهم ، فلا يدرى أهم صالحون أم فاسقون ، وهل هم من بني آدم أم من الحيوانات ؟ ومهما كان فإنه لا يجوز دعاء أصحاب القبور ولا غيرهم ولا الاستغاثة بهم والتوسل بهم مطلقاً .

قال الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله : (.... وأما هؤلاء الأولياء - رحمهم الله - فيحتمل أنهم وجهاء وأنهم غير وجهاء ، ويحتمل أن يكون هذا الولي مرانياً أو جاهلاً ، ويحتمل أن القبّة ليس فيها أحد ويحتمل أن يكون فيها كلب أو حمار ، فقد حصل أن جماعة ، حفروا قبراً كان الناس يعتقدون فيه ، وشاع بينهم أن هذا الولي ، فإذا به حمار ، ونحن نقول : رحم الله هؤلاء الأولياء ، لكنهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً)^(٢)

وأذكر قصة نحواً مما ذكره الشيخ مقبل رحمه الله .

يذكر أن رجلاً كان لديه حمار يسافر عليه، ويحمل عليه متاعه ، وأثناء سفره مات الحمار في الطريق ، فحزن عليه الرجل ، فدفن هذا الحمار ، وبنى عليه بيتاً صغيراً وأسرجه ، فرأى الناس ذلك الضوء ، ومرت الأيام ، ثم صار الناس يتحدثون أن في ذلك المكان ولياً صالحاً ، فكان الناس من جهلهم يستغيثون بهذا القبر وينذرون له ، وغير ذلك ، و ما في القبّة إلا حمار .^(٣)

فهل من عقول لعباد القبور أم قد أخذها باريها؟؟!!

قال تعالى: " أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ [الحج : ٤٦]

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (١٠٢/١) فتوى رقم (٢٧٨٧) .

(٢) فتاوى في العقيدة للإمام الوادعي (ص : ٥٠) بتصرف .

(٣) هذه القصة سمعنا العوام يتناقلونها .

المبحث الثالث : الشرك في الاستعانة

تعريف الاستعانة :

لغة : عرفها ابن منظور : بأنها من العون ، تعاوننا : أعان بعضنا بعضاً ، والمعونة : الإعانة .^(١)

اصطلاحاً : عرفها السعدي رحمه الله : بأنها الاعتماد على الله في جلب المنافع ودفع المضار مع الثقة به في تحصيل ذلك" اه^(٢) .

وقال ابن كثير- رحمه الله - : يجتمع في الاستعانة أصلان ، وهما الثقة بالله ، والاعتماد عليه. اهـ

وقال ابن القيم - رحمه الله - : "كم من إنسان قد يثق برجل ولا يستعين به لغناه عنه وعدم حاجته إليه ، وقد يستعين به ولا يثق به لحاجته إليه" اهـ .

قلت : أما الاستعانة بالله سبحانه وتعالى فيجتمع فيها الأمران وهما: الثقة به والاعتماد عليه، فلا بد من الأمرين، ولا غنى للعبد عن الاستعانة به طرفة عين ، مع العمل بالأسباب دون الاعتماد عليها ، فهي بهذا المعنى عبادة لا تكون إلا لله سبحانه وتعالى، وقد قرنها الله بعبادته ، فقال : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ① [الفاحة : هـ]

وكل ما جاء في اللغة بمعنى الطلب فهو من الدعاء ، والدعاء هو العبادة ، فعلى هذا من استعان بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فهو مشرك .

أقسام الاستعانة :

قال ابن عثيمين : الاستعانة أنواع :

الأول: الاستعانة بالله وهي: الاستعانة المتضمنة لكامل الذل من العبد لربه، وتفويض الأمر إليه، واعتقاد كفايته وهذه لا تكون إلا لله تعالى ودليلها قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ووجه الاختصاص أن الله تعالى قدم المعمول ﴿إِيَّاكَ﴾ وقاعدة اللغة التي نزل بها القرآن أن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر والاختصاص وعلى هذا يكون صرف هذا النوع لغير الله تعالى شركاً مخرجاً عن الملة.

الثاني: الاستعانة بالمخلوق على أمر يقدر عليه فهذه على حسب المستعان عليه فإن كانت على بر فهي جائزة للمستعين مشروعة للمعين لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [سورة المائدة، الآية: ٢].

وإن كانت على إثم فهي حرام على المستعين والمعين لقوله تعالى ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [سورة المائدة الآية: ٢]

(١) لسان العرب لابن منظور (٤٨٤/٩).

(٢) تفسير السعدي - (١ / ٣٩)

وإن كانت على مباح فهي جائزة للمستعين والمعين لكن المعين قد يثاب على ذلك ثواب الإحسان إلى الغير ومن ثم تكون في حقه مشروعة لقوله تعالى: {وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [سورة البقرة، الآية: ١٩٥]

الثالث: الاستعانة بمخلوق حي حاضر غير قادر فهذه لغو لا طائل تحتها مثل أن يستعين بشخص ضعيف على حمل شيء ثقيل.

الرابع: الاستعانة بالأموال مطلقاً أو بالأحياء على أمر غائب لا يقدر على مباشرته فهذا شرك لأنه لا يقع إلا من شخص يعتقد أن لهؤلاء تصرفاً خفياً في الكون.

الخامس: الاستعانة بالأعمال والأحوال المحبوبة إلى الله تعالى وهذه مشروعة بأمر الله تعالى في قوله: {اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ} [سورة البقرة، الآية: ١٥٣]. اهـ^(١)

وقال السعدي رحمه الله في قوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة ٥]: (فتقديم العبادة على الاستعانة ، من باب تقديم العام على الخاص ، واهتماماً بتقديم حقه على حق عبده ، والعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله و يرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ، والاستعانة هي الاعتماد على الله تعالى في جلب المنافع ودفع المضار ، مع الثقة به في تحصيل ذلك ، وعبادة الله والاستعانة به هما الوسيلة للسعادة الأبدية والنجاة من جميع الشرور في الدنيا والآخرة)^(٢)

شروط الاستعانة الجائزة :

تجوز الاستعانة بمخلوق بشروط ثلاثة من باب العمل بالأسباب لا الاعتماد عليها :-

١. أن يكون حياً ، خرج الميت .
٢. أن يكون حاضراً ، أو في حكم الحاضر - كالاتصال والمراسلات السريعة - ، خرج الغائب فلا يُستعان به ولو كان قادراً .
٣. أن يكون قادراً خرج العاجز فلا يُستعان به ولو كان حياً .

الفرق بين الاستعانة الجائزة والشركية :

يتلخص مما تقدم أنه يجوز الاستعانة بالحي الحاضر القادر ، أما الاستعانة بميت أو بغائب أو بعاجز فإنها تكون استعانة شركية.

قال علماء اللجنة الدائمة : (يجوز الاستعانة بالإنسان الحي فيما يقدر عليه في حدود الأسباب العادية ، مثل بذل مال أو شفاععة عند ذي سلطان ، أو إنقاذ مكروه وغير ذلك من الوسائل التي هي في طاقة البشر ، فالاستعانة بالحي الحاضر فيما يقدر عليه جائزة كمن استعان بشخص فطلب منه أن يقرضه نقوداً أو استعان به في يده أو جاهه عند سلطان ، لجلب حق أو دفع ظلم ، أما الاستعانة بالميت فشرك ، وكذلك بالحي الغائب شرك ، لأنهم لا يقدر على تحقيق ما طلب منهم ، لعدم الأدلة .. ، والآيات في هذا المعنى كثيرة والله المستعان ...)^(٣)

(١) شرح الثلاثة الأصول / لابن عثيمين (ص : ٦٢- ٦٣)

(٢) تفسير السعدي (ص : ٣٦)

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة (١٦٢/١) رقم الفتوى (٤٣٣).

حكم الاستعانة بغير الله :

الاستعانة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله - سبحانه وتعالى - شرك أكبر مخرج من ملة الإسلام .

قال علماء اللجنة الدائمة : - (الاستعانة بغير الله في شفاء مريض أو إنزال الغيث أو إطالة العمر وأمثال هذه مما هو في اختصاص الله - سبحانه وتعالى - نوع من الشرك الأكبر الذي يُخرج صاحبه من ملة الإسلام ، وكذلك الاستعانة بالأموال أو الغائبين عن نظر من استعان بهم من ملائكة أو جن أو إنس في جلب نفع أو دفع ضرر نوع من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله إلا لمن تاب منه ، لأن هذا النوع في الاستعانة قربة وعبادة ، وهي لا تجوز إلا لله خالصة لوجهه الكريم ...) (١)

حكم الاستعانة بساحر لإخراج السحر:

لا يجوز الذهاب إلى السحرة والكهنة مطلقاً لإخراج السحر ولا لغيره، إلا لمن أراد أن ينصحهم أو يفضحهم فيجوز الذهاب إليهم لهذا الغرض، أما الذهاب إليهم لفك السحر فإنهم يأمرون المريض بالشرك بالله كالذبح لغير الله ونحو ذلك تقرباً إلى الشياطين، وهذا شرك بالله، فإنهم لا يبطلون السحر إلا بعد أن يوبقوا العبد في الشراكيات ، وقد صح عن ابن مسعود رضي الله عنه - موقوفاً عليه أنه قال: "من أتى عرافاً أو ساحراً أو كاهناً فسأله فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم" (٢) .

وأما القاعدة المنتشرة بين العوام وهي: "لا يفك السحر إلا الذي ركبته" فليست على إطلاقها فإن السحر ينفك بالرقية الشرعية بإذن الله تعالى ، فمن ابتلي بذلك فعليه بالرقية الشرعية والرجوع إلى الله بالدعاء وقراءة القرآن والاستقامة على دين الله والمحافظة على الأذكار الشرعية ونحو ذلك فبإذن الله يبطل السحر، أما السحرة والعرافون وإن كان لهم الاستطاعة في فك السحر وذلك عن طريق الشياطين فلا يجوز الذهاب إليهم فإن الواجب التحذير منهم، بل يجب على أولياء الأمور إقامة الحدود عليهم وتخليص الناس من شرهم والله المستعان.

قال العلامة ابن باز - رحمه الله - : (لا يجوز الاستعانة بالسحرة في شيء من الأمور بل الواجب قتلهم والقضاء عليهم من جهة الدولة إذا ثبت عليهم تعاطي السحر من طريق المحاكم الشرعية ، ومن أُصيب بالسحر فعليه بتقوى الله سبحانه وتعالى وسؤال الشفاء والعافية من كل سوء ، والتعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ثلاث مرات صباحاً ومساءً وبقية الأذكار الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم...) (٣) .

وسياتي بيان ذلك بالتفصيل إن شاء الله تعالى في باب السحر.

حكم الاستعانة بالجن :

قال علماء اللجنة الدائمة: "لا تجوز الاستعانة بالجن مطلقاً ؛ لأنهم عالم غائب عنا ، وقد قال تعالى : { وَأنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يُعُودُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا } الجن: ٦] ، وهذا على سبيل الإنكار للاستعانة بعموم

(١) المصدر السابق (١٧٢/١) رقم (٢٢٥١)

(٢) رواه البزار وأبو يعلى وقال الألباني صحيح موقوف.

(٣) مجموعة فتاوى ومقالات متنوعة (١٤٣/٧) ابن باز بتصرف .

الجن ، ولأجل سد ذريعة الشرك بالله عز وجل .وبالله التوفيق ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم" اهـ .^(١)

وقالوا أيضا: (من الشرك في العبادات الاستعانة بالجن واللجوء إليهم في قضاء الحاجات من الإضرار بأحد أو نفعه ، لأنه نوع من أنواع الاستمتاع بالجنى بإجابة سؤالهم وقضاء حوائجهم في نظير استمتاع الجني بتعظيم الإنسي له ، ولجوؤه إليه واستعانتة به في تحقيق رغبته ، قال تعالى : ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَنَا لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٩﴾ الأنعام : ١٢٩]

وقال تعالى : ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ الجن : ٦] ، فالاستعانة بالجنى في إنزال ضرر بغيره ، واستعانتة به في حفظه من شر ما يخاف شره كله شرك ، ومن كان هذا شأنه فلا صلاة له ولا صيام ، لقوله تعالى : ﴿لَئِنِ اشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ الزمر : ٦٥] ، ومن عرف عنه ذلك لا يصلى عليه ولا تتبع جنازته ولا يدفن في مقابر المسلمين) اهـ^(٢) .

وهذا الاستمتاع يحصل من السحرة و الكهان والعرافين ومن كان على شاكلتهم مع الجن ، فيكون استمتاع الجني بالإنسي بأن يصرف له أنواعا من العبادات ، كالسجود والذبح والنذر والدعاء وغير ذلك ، ويكون استمتاع الإنسي بالجنى بأن يأمر الإنسي الجني بتنفيذ ما يريده من الإضرار بأحد أو غير ذلك ، وسيأتي تفصيل ذلك في باب الكهانة والعرافة إن شاء الله تعالى .

فليحذر المسلم من الذهاب إليهم لأجل مريضه من أهله وأولاده على حساب دينه ، فإنه قد يشفي الله هذا المريض على يد هذا المشعوذ فتنة له ، لكن ربما ذهب رأس ماله، ثم إن الأهل والأولاد لن ينفعوا العبد شيئا يوم القيامة، قال تعالى: ﴿لَنْ نَنْفَعَكُمْ أَرْحَامَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ [الممتحنة : ٣] وقال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٨﴾ الشعراء : ٨٨ ، ٨٩] وهذا لم يسلم قلبه من الشرك فقد صار قلبه مريضا ومعلقا بغير الله والعياذ بالله .

قال الإمام السعدي - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَنَا لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ [الأنعام : ١٢٨]: أي تمتع كل من الإنسي والجني بصاحبه وانتفع به فالجني بطاعة الإنسي له وعبادته وتعظيمه واستعانتة به ، والإنسي يستمتع بنيل أغراضه ، وبلوغه بسبب الجني بعض شهواته ، فإن الإنسي يعبد الجني فيخدمه الجني ويحصل منه بعض الحوائج الدنيوية .. ولهذا حكم عليهم بحكمه العادل الذي لا يجوز فيه فقال : ﴿النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا ﴿٣﴾﴾ اهـ^(٣) .

حكم الاستعانة بالجن لإخراج السحر أو التمام:

سأل شخص علماء اللجنة الدائمة، هل يجوز لي أن أستعين بجني لأجل إخراج السحر، أو أمره أن يبحث عن التمام المخفية ؟

فأجابوا: "لا يجوز الاستعانة بالجن والغائبين ؛ لأن هذا من الشرك بالله عز وجل ؛ لأن الاستعانة عبادة لا يجوز صرفها لغير الله لا من الجن ولا من الإنس ولا من الملائكة ولا غيرهم ، إلا مع القادر الحي الحاضر من الإنس فيما يقدر عليه ، كالأستعانة بالإنسان الحي القادر في الزراعة والبناء وقتال الأعداء . أما الجن فحكم حاضرهم

(١) فتاوى اللجنة الدائمة - المجموعة الثانية - (١ / ٢٢٠) .

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (١٦٢/١) رقم الفتوى (٤٣٣)

(٣) تيسير الكريم الرحمن / عبدالرحمن بن ناصر السعدي (ص : ٢٧٣)

كغائبهم لا تجوز الاستعانة بهم في شيء من الأشياء ؛ لقول الله عزوجل : { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } { الفاتحة: ٥} ، وقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : (وإذا استعنت فاستعن بالله) (١) .

وبالله التوفيق ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم " اهـ" (٢) .

فالكهان والعرافون والسحرة ومن كان على شاكلتهم مشركون بالله لأنهم ادعوا علم الغيب الذي هو من خصائص الله سبحانه وتعالى ، ومن ذهب إليهم وصدقهم فهو كافر مثلهم ، وسيأتي تفاصيل ذلك في الفصل الخامس إن شاء الله .

هل الجن يعلمون الغيب؟

علم الغيب صفة خاصة بالله عزو وجل وهي من صفات الألوهية التي اختص بها، قال تعالى: { قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ } [النمل : ٦٥]

فلم يطلع على الغيب ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا من شاء الله أن يعلمه منهم قال تعالى: { عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا } [الجن : ٢٦ ، ٢٧]

فإن بعض الناس يظن أن الجن يعلمون الغيب فيهرولون إليهم ، وإلا فهم خلق من خلق الله لا يعلمون الغيب ولا يملكون النفع والضر لأفسهم فضلا عن غيرهم، فإنهم مفتقرون إلى الله عز وجل، نواصيهم بيده يتصرف فيهم كيفما يشاء ، منهم الصالحون ومنهم الفاسقون ، ومنهم الكافرون كما أخبر الله عنهم في سورة الجن، قال تعالى: { وَأَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا } [الجن : ١١] وقال تعالى: { وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِمَّا الْفَاسِقُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا * وَأَمَّا الْفَاسِقُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا } [الجن : ١٤ ، ١٥]

و بين حالهم في سورة سبأ مع سليمان - عليه السلام - أنهم لا يعلمون الغيب فقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾ سبأ : ١٤]

فإن قال قائل: إنهم يحدثون بالأمر فيقع كما أخبروا؟

فالجواب على ذلك: أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أخبر عنهم أنهم يخطفون الكلمة من الحق فيخلطون معها مائة كذبة ثم نهى عن تصديقهم ، كما جاء عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: سَأَلَ أَنَسُ رَسُوْلَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنِ الْكُفَّانِ فَقَالَ لَهُمْ رَسُوْلُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- « لَيْسُوا بِشَيْءٍ ». قَالُوا يَا رَسُوْلَ اللَّهِ فَإِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ أَحْيَانًا الشَّيْءَ يَكُونُ حَقًّا. قَالَ رَسُوْلُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- « تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنَ الْجِنِّ يَخْطِفُهَا الْجِنُّ فَيَقْرُؤُهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ قَرَّ الدَّجَاجَةِ فَيَخْلُطُونَ فِيهَا أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ كَذْبَةٍ ». (٣)

(١) تقدم تخريجه.

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة - المجموعة الثانية - (١ / ١٩٨-١٩٩)

(٣) متفق عليه

و عن معاوية بن الحكم رضي الله عنه قال : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أُمُورًا كُنَّا نَصْنَعُهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ كُنَّا نَأْتِي الْكُهَّانَ . قَالَ « فَلَا تَأْتُوا الْكُهَّانَ » .^(١)

وجاء عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : "من أتى كاهنا أو عرافا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه و سلم"^(٢)

(١) رواه مسلم

(٢) رواه أحمد وغيره وصححه الألباني.

المبحث الرابع : الشرك في الاستعانة

تعريف الاستعانة :

لغة: مأخوذ من عوذ : عاذ به يُعوذُ عَوْذًا وَعِيَاذًا وَمَعَاذًا لاذ فيه ولجأ إليه واعتصم ومعاذَ الله أي عياداً بالله قال الله عز وجل: { قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ } [يوسف : ٧٩] أي نعوذ بالله معاذاً أن نأخذ غير الجاني بجنايته "ه" (١) .

اصطلاحاً : هي الالتجاء والاعتصام ، فالعائد قد هرب إلى ربه والتجأ إليه مما يخافه عموماً وخصوصاً .

قال ابن القيم - رحمه الله - : « وما يقوم في القلب من الالتجاء والاعتصام والانطراح بين يدي الرب والافتقار إليه والتذلل له ، أمر لا تُحيط به العبارة » اهـ (٢) .

فإذا كانت الاستعانة مشتملة على أعمال القلب فلا يجوز صرفها إلا لله سبحانه وتعالى ، وهي عبادة لأنها بمعنى الطلب ، والطلب نوع من أنواع الدعاء ، والدعاء عبادة كما تقدم .

وعرفها ابن كثير - رحمه الله - بقوله : « والاستعانة هي الالتجاء إلى الله والالتصاق بجنابه من شر كل ذي شر ، والعيادة تكون لدفع الشر ، واللياذ يكون لطلب جلب الخير كما قال المتنبي :

يا من ألوذ به فيما أومله ... ومن أعوذ به مما أحاذره

لا يجبر الناس عظما أنت كاسره ... ولا يهيضون عظما أنت جابره » اهـ (٣)

و الاستعانة في كلام العرب بمعنى التحرز .

قال ابن القيم - رحمه الله - : (فيها قولان : إما الستر ، أو من المجاورة والالتصاق) اهـ ، وكلا المعنيين صحيح .

وقال بعض أهل العلم: هي الحماية من المكروه .

الفرق بين الاستعانة والاستعانة :

الاستعانة أعم من الاستعانة من حيث كون الاستعانة لدفع ضرر أو جلب نفع ، بينما الاستعانة تكون لدفع ضرر فقط

(١) ابن منظور لسان العرب (٤٦٤/٩)

(٢) بدائع الفوائد - (٤٢٧ / ٢)

(٣) تفسير ابن كثير / دار طيبة - (١١٤ / ١)

الاستعاذة عبادة :

أمر الله في كتابه بالاستعاذة به وحث عليها ، والأمر في اللغة يقتضي الوجوب ، وكل ما أمر الله به فهو عبادة مما يحبه الله ويرضاه ، وكل ما يحبه الله ففعله قربة إليه يؤجر عليه العبد، والاستعاذة بالله تتضمن افتقار القلب إلى الله والاعتصام به، وهذا من أعظم العبادات وأجلها.

قال تعالى : ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [فصلت : ٣٦]

قال المفسر السعدي : "لما ذكر تعالى ما يقابل به العدو من الإنس، وهو مقابلة إساءته بالإحسان، ذكر ما يدفع به العدو الجني، وهو الاستعاذة بالله، والاحتماء من شره فقال: { وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ } أي: أي وقت من الأوقات، أحسست بشيء من نزغات الشيطان، أي: من وساوسه وتزيينه للشر، وتكسيه عن الخير، وإصابة ببعض الذنوب، وإطاعة له ببعض ما يأمر به { فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ } أي: أسأله، مفتقراً إليه، أن يعيدك ويعصمك منه، { إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } فإنه يسمع قولك وتضرعك، ويعلم حالك واضطرارك إلى عصمته وحمايته" اهـ. (١)

والاستعاذة تكون عامة من شركل ذي شر، من جميع المخلوقات، من شياطين الإنس والجن والدواب.

قال تعالى: { قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ } [الفلق ١- ٥]

وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ [الآيات] الناس : ١]

قال السعدي في تفسير سورة الفلق : أي: { قل } متعوذاً { أَعُوذُ } أي: الجأ وألوذ، واعتصم { بِرَبِّ الْفَلَقِ } أي: فالق الحب والنوى، وفالق الإصباح.

{ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ } وهذا يشمل جميع ما خلق الله، من إنس، وجن، وحيوانات، فيستعاذ بخالقها، من الشر الذي فيها، ثم خص بعد ما عم، فقال: { وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ } أي: من شر ما يكون في الليل، حين يغشى الناس، وتنتشر فيه كثير من الأرواح الشريرة، والحيوانات المؤذية.

{ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ } أي: ومن شر السواحر، اللاتي يستعن على سحرهن بالنفث في العقد، التي يعقدنها على السحر.

{ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ } والحاسد، هو الذي يحب زوال النعمة عن المحسود فيسعى في زوالها بما يقدر عليه من الأسباب، فاحتيج إلى الاستعاذة بالله من شره، وإبطال كيده، ويدخل في الحاسد العاين، لأنه لا تصدر العين إلا من حاسد شرير الطبع، خبيث النفس، فهذه السورة، تضمنت الاستعاذة من جميع أنواع الشرور، عموماً وخصوصاً" اهـ. (٢)

والاستعاذة تكون عند حصول مكروه ، أو توقعه ، فإن كان الشر حاصلًا فيطلب رفعه، وإن كان معدوماً فيطلب دفعه وبقاؤه على العدم.

(١) تفسير السعدي - (١ / ٧٥٠)

(٢) تفسير السعدي.

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : "والشر المستعاذ منه نوعان أحدهما موجود يطلب رفعه والثاني معدوم يطلب بقاؤه على العدم وأن لا يوجد كما أن الخير المطلق نوعان أحدهما موجود فيطلب دوامه وثباته وأن لا يسلبه والثاني معدوم فيطلب وجوده وحصوله.. اهـ (١) ."

ويؤيد هذا ما أخرجه الإمام مسلم - رحمه الله تعالى - من حديث خولة بنت حكيم - رضي الله عنها- قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من نزل منزلاً فقال : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرحل من منزله » (٢)

فيشرع الاستعاذة بأسماء الله وصفاته ، فالاستعاذة بأسمائه سبحانه مثل أعوذ بالله من كذا ، أو أعوذ برب الفلق ونحوه ، والاستعاذة بصفاته : مثل أعوذ بعزة الله ، أعوذ بقدرة الله ونحو ذلك مما جاءت به الأدلة .

وقال شيخ الإسلام - رحمه الله - عند شرح حديث خولة : (وقد نص الأئمة كأحمد وغيره على أنه لا تجوز الاستعاذة بمخلوق ، وهذا مما استدلوا به على أن كلام الله ليس بمخلوق ، قالوا : لأنه ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أستعاذ بكلمات الله ، وأمر بذلك ، ولهذا نهى العلماء عن التعازيم والتعاويذ التي لا يُعرف معناها خشية أن يكون فيها شرك) اهـ (٣) .

ويُشرع للمؤمن أن يُعوذَ بأبناءه بكلمات الله التامات من العين ، ومن الجن ، وشر الحاسدين ، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يُعوذُ الحسن والحسين رضي الله عنهما ، لما جاء من حديث ابن عباس ، رضي الله عنهما ، قال : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَيَقُولُ : "إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَأَمَّةٍ" (٤) .

والتمام في كلمات الله يتضمن أمرين : الصدق في الإخبار ، والعدل في الأحكام ، قال تعالى : ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۗ لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ الأنعام : ١١٥]

أقسام الاستعاذة :

- ١- استعاذة عبادة.
- ٢- استعاذة شركية.
- ٣- استعاذة جائزة.

وقد فصلها ابن عثيمين رحمه الله، كمايلي :

الأول : الاستعاذة بالله تعالى ، وهي المتضمنة لكمال الافتقار إليه والاعتصام ، واعتقاد كفايته وتام حمايته من كل شيء حاضر أو مستقبل صغير أو كبير بشر أو غير بشر .

الثاني : الاستعاذة بصفة من صفاته ، ككلامه وعظمته وعزته ، ونحو ذلك ، كما في الحديث الذي سبق .

الثالث : الاستعاذة بالأموال أو بالأحياء غير الحاضرين غير القادرين على العون ، وهذا شرك .

الرابع : الاستعاذة الجائزة ، وهي الاستعاذة بما يمكن العوذ به من المخلوقين من البشر والأماكن وغير ذلك ، فهذا جائز ، ودليله قوله صلى الله عليه وسلم - في ذكر الفتن - : « .. من تشرف لها تستشرفه ومن وجد ملجأ أو

(١) بدائع الفوائد - (٢ / ٤٣٤)

(٢) مسلم كتاب الذكر والدعاء (٢٧٠٨)

(٣) فتح المجيد / عبدالرحمن آل الشيخ (ص : ١٧٧)

(٤) صحيح البخاري - (٤ / ١٧٩)

معاذاً فليعد به»^(١) وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه أن امرأة من بني مخزوم سرقت ، فأُتي بها النبي صلى الله عليه وسلم فعادت بأم سلمة رضي الله عنها - أي التجأت بها - ولكن إن استعاذ من شر ظلم وجب إيواؤه وإعادته بقدر الإمكان ، وإن استعاذ ليتوصل إلى فعل محظور أو الهرب من الواجب حرم إيواؤه" اهـ^(٢) .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « إنها ستكون فتنٌ القاعدُ فيها خيرٌ من القائم ، والقائم خيرٌ من الماشي ، والماشي خيرٌ من الساعي من تشرف لها تستشرفه ومن وجد ملجأً أو معاذاً فليعد به »^(٣) .
فقد وقع ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من الفتن المدلهمة المظلمة المتتابعة التي عصفت بكثير من الناس ، إلا من رحم الله ، لكنه صلى الله عليه وسلم قد دلنا وأرشدنا إلى المخرج عند حصول هذه الفتن بقوله : « ومن وجد ملجأً أو معاذاً فليعد به » فصار الابتعاد عن الفتن واجباً ، وكذلك من وجد مخرجاً من الفتن وجب عليه أن يعود به لقوله صلى الله عليه وسلم « فليعد به » والفعل "فليعد": فعل مضارع جاء دخلت عليه لام الأمر، والأمر يقتضي الوجوب، كما هو معلوم من اللغة .

وأقول : خير مخرج وأحسن ملجأً وأفضل معاذ من الفتن هي مجالس أهل السنه ومراكز العلم والتعليم ، فهي حصن حصين من فتن الدنيا والدين بإذن الله رب العالمين ، بخلاف مجالس أهل البدع ، فإنها مبنية على الفتن وقد أسست على البدع من أول يوم ، وهم أول من يشعلون الفتن لأنهم دعائهم ، فكيف يسوغ الالتجاء إليهم من الفتن ، إلا كقول القائل :
المستجير بعمرٍو عند كربته ... كالمستجير من الرمضاء بالنار

أما مجالس أهل السنة فإنها مبنية على التقوى والبعد عن الفتن من أساسها والله الحمد والمنة ، فنصح المسلمین بالجوء إليها، وملازمتها ، والأخذ عن أهلها والرجوع إلى علمائها فإنها حرز من الفتن لمن ثبتته الله سبحانه وتعالى ، وكم من فتنة حذروا منها قبل مجيئها وابتعدوا عنها وعرفوا الناس بأسبابها، بينما غيرهم لم يشعروا بها إلا وقد اکتوتوا بنارها، فالعلماء الربانيون المتجردون للحق والدليل ، البعيدون عن التعصب والتقليد، يعرفون الفتنة وهي مقبلة بينما غيرهم لم يعرفها إلا وهي مدبرة.

فمن تشرف للفتن فإنها تستشرفه كما أخبر بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم ، ومن فتح قلبه للفتن فإنها تتابع عليه وتملأ قلبه حتى يصير قلباً مفتوناً منكوساً أسود مربداً كالكوز مجخياً لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا إلا ما أشرب من هواءه وكم من شخص كان يُشار إليه بالبنان فصار مفتوناً والعياذ بالله ، كما جاء من حديث حذيفة - رضي الله عنه - قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ « تُعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُوْدًا عُوْدًا فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا نُكِبَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِبَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءٌ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أَبْيَضٍ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْآخِرُ أَسْوَدُ مُرْبَدًّا كَالْكُوزِ مُجْخِيًّا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أَشْرَبَ مِنْ هَوَاهُ »^(٤)

فالقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ، لكن يجب العمل بالأسباب ، من الابتعاد عن الفتن والحذر منها والاستعاذة بالله منها ، ودعاء الله بالعصمة منها، فإن قلب الإنسان ليس بيده وقد كان الصادق المصدوق سيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم يكثر من الدعاء بالثبات فكان من دعائه « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك »^(٥) وكان يأمر أصحابه بالاستعاذة من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، فقد جاء من حديث زيد بن ثابت - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ « تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الْفِتْنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ». قَالُوا نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْفِتْنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ "الحديث"^(٦)

(١) البخاري كتاب الفتن (١٩٠٦) مسلم (٢٨٨٦) كتاب الفتن

(٢) شرح الثلاثة الأصول / ابن عثيمين (ص: ٦٤ - ٦٥) بتصرف

(٣) تقدم تخريجه

(٤) رواه مسلم .

(٥) رواه الترمذي (٣٥١٧) وصححه الألباني .

(٦) رواه مسلم

فنسأل الله أن يثبتنا على دينه وعلى سنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأن يعصمنا من الفتن .

ومن كان قادراً على إعادة أخيه فيجب عليه ذلك لقوله صلى الله عليه وسلم : « ومن استعاذ بالله فأعيذوه »^(١) . قال علماء اللجنة الدائمة : ((... وتجب إعادة من استعاذ بالله ، تعظيماً له جل شأنه ، فقد أخرج أبو داود والنسائي بسند صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من سأل بالله فأعطوه ، ومن استعاذ بالله فأعيذوه ... » الحديث ، وهذا إذا كان المستعيز لا يلزمه ما استعاذ منه ، أما إن كان يلزمه ما استعاذ منه كالدين ، وحق الزوج والقصاص ، ونحو ذلك لم تجب إعادته ، والواجب عليه أداء الحق الذي عليه إلا أن يسمح خصمه عن حقه ، جمعاً بين الأدلة))^(٢) .

الاستعاذة بالجن وأصحاب القبور :

قال ابن عثيمين - رحمه الله - : ((الاستعاذة بالجن وأصحاب القبور شرك بالله ، قال تعالى : ① وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ② ومعنى قوله : ① يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ ② أي يلتجئون إليهم مما يحاذرونه ، يظنون أنهم يُعِيدُونَهُمْ ولكن زادوهم رهقا أي خوفاً وذعراً ، وكانت العرب في الجاهلية إذا نزلوا في وادٍ ، نادوا بأعلى أصواتهم : أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه ... وهذه الآية تدل على أن الاستعاذة بالجن حرام ، لأنها لا تفيد المستعيز بل تزيده رهقاً فعوقب بنقيض قصده ، وهذا ظاهر فتكون الواو في قوله : ① فَزَادُوهُمْ ② ضمير الجن ، والهاء ضمير الإنس .. وقيل إن الإنس زادوا الجن رهقا أي استكباراً وعتواً ، ولكن الصحيح الأول.))^(٣)

وكذلك الاستعاذة والالتجاء بالأموات وأصحاب القبور ، أو بالغائبين من الأحياء الذين يُعتقد تصرفهم في الكون ، شرك أكبر مخرج من الملة ؛ لأن الاستعاذة عبادة كما تقدم، لا تكون إلا بالله سبحانه وتعالى ، ولا تجوز بميت مهما كان صلاحه .

قال ابن عثيمين : ((وفي الحديث الذي رواه مسلم عن خولة بنت حكيم رضي الله عنها ، أن الاستعاذة لا تكون إلا بالله أو بأسمائه وصفاته ومن صرفها لغير الله فقد أشرك ، فمن ذلك الاستعاذة بأصحاب القبور ، فإنهم لا ينفعون ولا يضررون ، فالاستعاذة بهم شرك أكبر ، سواء كان عند قبورهم أو بعيداً عنهم))^(٤) .

وسواء تُلَفِظ بالاستعاذة أو اعتقدها بقلبه فالحكم واحد .

فالمؤمن يستعيز بالله وحده من شر كل ذي شر ، من شرور الجن والإنس لأن نواصيهم بيده ، أما المخلوق الضعيف فإنه لا يملك من الأمر شيئاً فكيف يستعاذ به؟!

ويشرع الاستعاذة عند تلاوة القرآن الكريم لنلا يحول الشيطان بينه وبين تدبر القرآن الكريم: قال تعالى : { فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ } (النحل: ٩٨) .

ويشرع الاستعاذة عند الجماع فإن الاستعاذة بالله وتسميته ، تمنع ضرر الشيطان للولد، لما جاء عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- « لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ قَالَ بِاسْمِ اللَّهِ اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ فِي ذَلِكَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا »^(١) .

(١) رواه أبو داود ، والنسائي ، وصححه الإمام الوادعي في الصحيح المسند (٥١٤) .

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (١٧٨/١) رقم الفتوى (٦٧٩٩) .

(٣) القول المفيد / ابن عثيمين (ص : ٢٥١) .

(٤) المصدر السابق .

وشرعت الاستعاذة بالله في كثير من العبادات والأذكار والأحوال والرقى ونحو ذلك.

وليكن المستعيز مستحضرا عظمة الله والافتقار إليه عند الاستعاذة، وكل هذا من باب العمل بالأسباب الشرعية أما إذا فعل العبد السبب ولم يحصل المسبب فليس الخلل في السبب ولكن لوجود مانع في العبد نفسه .

فوائد الاستعاذة بالله تعالى :

١- أعظم فائدة منها ، أنها عبادة يُؤجر العبد عليها ، ويكون ذلك على حسب ما يقوم في القلب من أنواع العبادات ، كاللجوء والخوف والمحبة والتذلل وغير ذلك .

٢- أن الله يخلص الإنسان بها من كثير من الشرور والمصائب والكربات.

٣- أن الله يخلص الإنسان بها من الشيطان ومكائده، وتطرده عنه لئلا يحول بينه وبين قراءته و صلواته وذلك بوسوسته، فإن الشيطان هو ألد أعداء الإنسان، فلا مفر للإنسان منه إلا بالالتجاء إلى الله والاستعاذة به منه.

قال تعالى : ﴿وَمَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ فصلت : ٣٦].

وعن عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ - رضي الله عنه - أنه أتى النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَلَاتِي وَقِرَاءَتِي يَلْبِسُهَا عَلَيَّ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خَنْزَبٌ فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْهُ وَانْقُلْ عَلَى يَسَارِكَ ثَلَاثًا ». قَالَ فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَهُ اللَّهُ عَنِّي (٢).

٣- أنها تطفئ غضب الإنسان الذي هو ركن من أركان الكفر ، كما ذكر ذلك ابن القيم (٣) : ودليل هذا ما رواه الشيخان من حديث سليمان بن سرد- رضي الله عنه - قال : كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم ورجلان يستبان ، واحدهما قد احمر وجهه وانتفخت أوداجه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد ، لو قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ذهب عنه ما يجد » (٤) ... الحديث .

وهناك فوائد كثيرة تترتب على الاستعاذة ، وهكذا القول في الدعاء والاستعانة والاستغاثة .

(١) متفق عليه واللفظ لمسلم

(٢) رواه مسلم

(٣) الفوائد - (١ / ١٥٧)

(٤) البخاري (٢٤٢/٦) ومسلم (٢٦١٠) .

الفصل الثالث المبحث الأول : التطير :

تعريف التطير :

عرفه ابن عثيمين بقوله :

في اللغة : مصدر تطير ، وأصله مأخوذ من الطير ، لأن العرب يتشاءمون أو يتفعلون بالطيور على الطريقة المعروفة عندهم ، بزجر الطير ، ثم ينظر هل يذهب يميناً أو شمالاً وما أشبه ذلك ، فإن ذهب إلى الجهة التي فيها التيامن أقدم ، أو فيها التشاؤم أحجم .

اصطلاحاً : فهي التشاؤم بمرئي أو مسموع أو معلوم :

بمرئي : مثل لو رأى طيراً ، فتشاءم لكونه موحشاً .

أو مسموع : مثل أن يسمع أحداً يقول : يا خسران ، فيتشاءم .

أو معلوم : مثل أن يتشاءم ببعض الأيام والشهور .

واعلم أن التطير ينافي التوحيد من وجهين :

الأول : أن المتطير قطع توكله على الله ، أو اعتمد على غير الله .

الثاني : أنه تعلق بأمر لا حقيقة له ، بل هو وهم وتخيل ، فأى رابطة بين هذا الأمر وبين ما يحصل له ، وهذا لا شك أنه يخل بالتوحيد ، لأن التوحيد عبادة واستعانة .

والتطير لا يخلو من حالين :

الأول : أن يحجم ويستجيب لهذه الطيرة ويدع العمل ، وهذا من أعظم التطير والتشاؤم .

الثاني : أن يمضي لكن في قلق وهم وغم ، يخشى من تأثير المتطير به وهذا أهون ، وكلا الأمرين نقص في التوحيد ، بل انطلق إلى ما تريد بانسراح صدر وتيسير واعتماد على الله عز وجل ولا تسيئ الظن بالله - عز وجل -^(١)

وأما لو تطير العبد ، ودفعه ولم يلتفت إليه ، فإنه لا يضره كما سيأتي في قول ابن مسعود رضي الله عنه : ((.. وما منا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل)) أي ما منا إنسان إلا ويقع في قلبه شيء من التردد ، وذلك من وساوس الشيطان ، لكن إن توكلنا على الله أذهب عنا .

والتطير من صفات المشركين أهل الجاهلية ومن صفات القوم المكذبين لرسولهم ، فقد كان آل فرعون إذا أصابتهم المصيبة تطيروا وتشاءموا بموسى عليه السلام ومن معه ، فرد الله عليهم بقوله : ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف : ١٣١]

(١)فتح المجيد مع القول المفيد (ص : ٥٣٢، ٥٣٣).

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : ((طائرهم ما قضي عليهم وقدر لهم)) وفي رواية ((شؤمهم عند الله ومن قبله ، أي إنما جاءهم الشؤم من قبله بكفرهم وتكذيبهم بآياته ورسوله)) اهـ .

وقال تعالى : ﴿ قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ [يس : ١٩] . أي بسببكم .

ففي الآية الأولى دلالة أن المقدر لهذا الشيء هو الله ، والثانية تبين سببه وهو أنه منهم" اهـ (١) .

الأحاديث التي تبين حكم الطيرة وتبطلها :

- جاء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر » زاد مسلم « ولا غول » (٢) .

- وعن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً « الطيرة شرك ، الطيرة شرك وما منا إلا ، ولكن الله يذهب بالتوكل » (٣) .

- وجاء من حديث أنس - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا عدوى ولا طيرة ، ويعجبني الفأل » قالوا وما الفأل ؟ قال : « الكلمة الطيبة » (٤) .

ومعنى قوله : « لا عدوى » أي لا عدوى تُعدي بنفسها ، وإنما تعدي بتقدير الله .

ففي هذه الأحاديث الحذر من الطيرة والتشاؤم ، وأنها تنافي التوحيد والتوكل، وأنها من الشرك .

ومن هذه الطيرة التشاؤم بالصور الدميمة والأصوات الغريبة كما لو رأى رجلاً دميمة الخلق ، كالأعور أو الأعرج ، أو الأقرع ، أو رأى حيواناً ذات صفات معينة أو أحوال نادرة أو أصوات مزعجة ، قال : اليوم نحس لاخير فيه ، و منهم من يتشاءم بالأيام والشهور و بعض الساعات حتى لا يكاد بعضهم يقدم على الزواج في بعض الشهور تشاؤماً ، فيتحرى بعض الأيام للزفاف ، والنظر في الساعة المناسبة لخروج العروسة من بيت أبيها ودخولها بيت زوجها : زعماً منهم أن هناك ساعات مشئومة وساعات طيبة ، وهذا هو ما كان عليه أهل الجاهلية حدو القذة بالقذة ، فقد كانوا يتشاءمون بشهر شوال وصفر ويوم السبت ويوم الأربعاء ونحو ذلك .

ذكر الشيخ عثمان بن عبدالعزيز التميمي - رحمه الله - قال : قال العلامة ابن راشد المالكي : ((أصل تطير الناس من يوم الأربعاء ، ما جاء أنه أول الأيام النجسات التي أهلك الله فيها عاداً ، وأصل تطيرهم من يوم السبت أن بني إسرائيل لما عدوا فيه مسخهم الله قردة وخنازير .

وروي : ((أن يوم الأربعاء يوم نحس مستمر)) في حديث لا يصح (٥)

وأما تشاؤم أهل الجاهلية في شهر شوال ، فقد قيل : إن أصل ذلك طاعون وقع في شهر شوال في سنة من السنين ، فمات فيه كثير من العرائس ، فنتشاءموا بذلك ، ولهذا قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : ((ما تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا في شوال فمن أحظى عنده مني)) (١) اهـ (٢)

(١) المصدر السابق (ص : ٥٣٤) .

(٢) البخاري (٥٧٥٣) و مسلم (٢٢٢٠) .

(٣) رواه أبو داود (٣٩١٠) وابن ماجه (٣٥٣٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٩٦٠) وهو في الصحيح المسند للشيخ مقبل الوادعي .

(٤) البخاري (٥٧٥٦) و مسلم (٢٢٢٤) ،

(٥) أخرجه الطبراني والبيهقي ومداره على إبراهيم بن أبي حبه قال الذهبي في الميزان : (٢٩/١) قال البخاري : منكر الحديث . اهـ

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب النجدي - رحمهم الله تعالى - : ((وإنما جعل الطيرة من الشرك ، لأنهم كانوا يعتقدون أن التطير يجلب لهم الأمن أو يدفع عنهم ضرراً ، وإذا عملوا بموجبه فإنهم شركوه مع الله)) اهـ^(٣) .

الهامة :

تقدم في الحديث السابق قول النبي صلى الله عليه وسلم : « ولا هامة » يُحذر من التشاؤم بالهوام ، وينفي تأثير ذلك ، فما هي الهامة؟

قال ابن عثيمين : الهامة ، بتخفيف الميم فسرت بتفسيرين :

الأول : أنها طير معروف يشبه البومة ، أو هي البومة تزعم العرب : أنه إذا قُتل القاتل صارت عظامه هامة ، تطير وتصرخ حتى يُؤخذ بثأره ، وربما اعتقد بعضهم أنها روحه .

الثاني : أن بعض العرب يقولون : الهامة هي الطير المعروف ، لكنهم يتشاءمون به ، فإذا وقعت على بيت أحدهم ونعقت ، قالوا : إنها تنعق به ليموت ، ويعتقدون أن هذا دليل قرب أجله ، وهذا كله بلا شك عقيدة باطلة^(٤) .

قلت: و التفسير الثاني ، هو عين ما يعتقد بعض أهل زماننا في هذا الطير ، والله المستعان.

وكل هذه البدع والخرافات والشركيات التي تحصل أو جُلها ، له أصل قديم إما من اليهود ومن النصارى أو من العرب أهل الجاهلية ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

قال الشيخ عثمان بن عبد العزيز التميمي : ((إن العرب كانت تعتقد أن روح القاتل الذي لم يُؤخذ بثأره تطير هامة فتزقو عند قبره ، وتقول : اسقوني اسقوني من دم قاتلي، فإذا أخذ بثأره طارت ، قال ذو الأصبع العدوانى يُخاطب ابن عم يقال له عمرو :

يا عمرو إلا تدع شتمي ومنقصتي أضربك حتى تقول الهامة اسقوني

وتطير العامة اليوم من صوت الهامة - وهي البومة - ميراث ذلك الرأي ، ويسمى أيضاً الذي يجيبك من الجبال وغيرها ، إذا تكلمت - صدى الصوت - اهـ^(٥) وسيأتي معنى الصدى قريباً .

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله « قال الأعرابي : كانوا يتشاءمون بها ، إذا وقعت على بيت أحدهم يقول : نعت إلى نفسي أو أحداً من أهل داري (أي أنها أعلمته بموته أو بموت أحدٍ من أهل بيته) - وقال أبو عبيد : كانوا يزعمون أن عظام الميت تصير هامة ، فتطير فيسمون ذلك الطائر الصدى ، وبه جزم ابن رجب .

(١) مسلم كتاب النكاح (١٠٣٩/٢) .

(٢) كتاب فتح الحميد / عثمان بن عبدالعزيز التميمي (٣/١٣٠٤، ١٣٠٥) .

(٣) تفسير العزيز الحميد / سليمان بن عبدالله النجدي (ص : ٤٣٨) .

(٤) فتح المجيد مع القول المفيد (ص : ٥٣٨) .

(٥) فتح الحميد عثمان عبدالعزيز التميمي (٣/١٢١٨) .

قال : وهذا شبيه اعتقاد أهل التناسخ ، أن أرواح الموتى تنتقل إلى أجساد الحيوانات من غير بعث أو نشور ، وكل هذه اعتقادات باطلة جاء الإسلام بإبطالها ، ولكن الذي جاءت به الشريعة أن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تأكل من ثمار الجنة وتشرب من أنهارها إلى أن يردها الله في أجسادها « اهـ^(١) .

ومن العجيب أن هذه البومة غالباً ما تمكث في المقابر – فتنة وابتلاء - ، فمن هنا حصل التشاؤم منها على المعنى المتقدم ، وإلا فهي طير ضعيف لا يملك من الأمر شيئاً ولا يعلم غيباً ولا يجلب نفعاً ولا يدفع ضرراً وهكذا سائر المخلوقات.

ومن ذلك أن بعض الناس إذا سمع صوت البوم أو صوت طائر آخر ، يقول خيراً إن شاء الله! وهذا من الجهل، وإلا فإن صوت الطير لا يدل على خير ولا على شر ولم يجعله الله علامة على حصول خير ولا على حصول شر.

قال ابن عثيمين :..ولهذا أنكر بعض السلف على من إذا سمع البومة تنعق قال : خير إن شاء الله ، فلا يقال : خير ولا شر .

قال عكرمة : كنا جلوساً عند ابن عباس ، فمر طائر يصيح ، فقال رجل من القوم : خير خير ، فقال ابن عباس رضي الله عنهما لا خير ولا شر ، فبادره بالإنكار عليه ، لئلا يعتقد تأثيره في الخير والشر" اهـ^(٢) .

الصفَر :

تقدم في حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : [ولا صفر] يحذر من التشاؤم بصفر وينفي تأثيره.

والمقصود به ما ذكر من أنه دابة في البطن ، أو أنه شهر صفر ، فكانوا يتشاءمون به كما سيأتي ، وأكثر ما يتشاءم الناس في زماننا هذا بشهر صفر وهو الراجح في معنى الحديث والله أعلم .

قال ابن عثيمين – رحمه الله - : [إن شهر صفر كانت العرب يتشاءمون به لاسيما في النكاح ، وقيل إنه داء في البطن يصيب الإبل وينتقل من بعير إلى آخر ، وعلى هذا فيكون عطفه على العدوى من باب عطف العام على الخاص .. والأقرب أن صفر يعني الشهر ، وأن المراد نفي كونه مشئوماً – أي لا شؤم فيه – وهو كغيره من الأزمان يقدر فيه الخير ويقدر فيه الشر ... وبعض الناس إذا انتهى من شيء من صفر آخر ذلك يقول : انتهى صفر الخير ، وهذا من باب مداواة البدعة بالبدعة والجهل بالجهل ، فهو ليس شهر خير ولا شهر شر ، أما شهر رمضان ، وقولنا : إنه شهر خير ، فالمراد بالخير العبادة ، وقولهم : رجب المعظم بناءً على أنه من الأشهر الحرم ، ولهذا أنكر بعض السلف على من إذا سمع البومة تنعق قال : خير إن شاء الله ، فلا يقال : خير ولا شر .

قال عكرمة : كنا جلوساً عند ابن عباس ، فمر طائر يصيح ، فقال رجل من القوم : خير خير ، فقال ابن عباس رضي الله عنهما لا خير ولا شر ، فبادره بالإنكار عليه ، لئلا يعتقد تأثيره في الخير والشر .

وبعض الناس قد يفتح المصحف لطلب التفاؤل ، فإذا نظر ذكر النار تشاءم ، وإذا نظر ذكر الجنة ، قال هذا فأل طيب ، فهذا مثل عمل الجاهلية الذين يستقسمون بالأزلام فالحاصل أننا نقول : لا تجعل على بالك مثل هذه

(١) تيسير العزيز الحميد / سليمان بن عبد الله (ص : ٤٣٠)

(٢) فتح المجيد مع القول المفيد (ص : ٥٣٨ - ٥٤٠)

الأمر إطلاقاً ، فالأسباب المعلومة الظاهرة تقي أسباب الشر ، وأما الأسباب التي لم يجعلها الشرع سبباً بل نفاها ، فلا يجوز لك أن تتعلق بها بل احمد الله على العافية وقل ربنا عليك توكلنا" اهـ^(١) .

وقال الشيخ عثمان بن عبدالعزيز التميمي : " قال أبو عبيدة عن روبة بن العجاج : أنه سئل عن الصفر ؟ قال : هي الحية تكون في البطن تُصيب الماشية والناس ، قال : وهي أعدى من الجرب عند العرب ، وهي الصفرَاء ، ويقولون : إذا تحركت في البطن جاع الإنسان ، فهي تؤذيه ويحدث له المرض المسمى بالاستسقاء فيما يزعمون .
قال أعشى باهلة :

لا يتأرى لما في القدر يرقبه ولا يعرض على شرسوفة الصفر

ويجوز أن يكون المراد هذا والأول جميعاً – يعني التشاؤم بشهر صفر – وأن الصفرين باطلان لا أصل لهما ، وهذا الظاهر من كلام العرب" اهـ^(٢)

قلت: ولا يزال التشاؤم بشهر صفر حاصلاً بين المسلمين بسبب دعاة الشرك والضلالة ، من المنجمين والمرملين وغيرهم - قطع الله دابرهم - فليحذر المسلم على دينه وعقيدته من هؤلاء فإنهم دعاة على أبواب جهنم ، من أجابهم قذفوه فيها ، وليعلم المسلم أن الزمان بيد الله يقبله كيف يشاء ، يقدر فيه الخير والشر إذ لا علاقة للشهر بذلك ، وقد صار بعض العامة يسمي شهر صفر بشهر الطفر – يعني قلة الأموال والفقر – ويسمون الأعيان التي يتشاءمون بها ب(صفر) كبيت أو أرضية أو نحو ذلك ، والبعض يعتقد أن في شهر صفر يحصل الموت أو المرض أو نحو ذلك وهذا كله من الجهل والعياذ بالله .

الغول :

تقدم في حديث أبي هريرة رضي الله عنه في رواية مسلم « ولا غُول » فنفى النبي صلى الله عليه وسلم - تأثيرها .

قال ابن عثيمين : (الغول) : [جمع غَوْلَة أو غَوْلَة ، ونحن نسميها بالعامية (الهولة) لأنها تهول الإنسان ، والعرب كانوا إذا سافروا أو ذهبوا يميناً أو شمالاً ، تلونت لهم الشياطين بألوان مفزعة مخيفة ، فتدخل في قلوبهم الخوف والرعب ، فتجدهم يكتئبون ويتحسرون عن الذهاب على هذا الوجه الذي أرادوه .. وهذا الذي نفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم هو تأثيرها ، فلا تهتمكم لأنها خوفتكم فلا تلتفتوا إليها ، وليس المقصود بالنفي نفي الوجود ، وأكثر ما يبئلى الإنسان بهذه الأمور إذا كان قلبه معلقاً بها ، أما إن كان معتمداً على الله غير مبالٍ بها فلا تضره ولا تمنعه عن جهة قصده] اهـ^(٣)

وقال الشيخ عثمان بن عبد العزيز التميمي : [وقال السهيلي : الغول التي تتراءى بالليل والسعالي التي تتراءى بالنهار من الجن ، وقد أبطل رسول الله صلى الله عليه وسلم حكم الغول فقال « لا غول » فأبطل به ما كانت الجاهلية تنقله من أخبارها وخرافاتها ، وقال الجوهرى : هي السعالي ، والجمع أغوال أو غيلان ، فكل ما اغتال الإنسان فأهلكه فهو غول ، والتغول التلون .. وقال جمهور العلماء : كانت العرب تزعم أن الغيلان في

(١)المصدر السابق (ص : ٥٣٨- ٥٤٠)

(٢)فتح الحميد / عثمان بن عبد العزيز التميمي (٢٢١/٣)

(٣)المصدر السابق (ص : ٥٤١)

الفلوات ، وهي من جنس الشيطان تتراءى للناس ، وتتغول تغولاً – تتلون تلوناً – فتضلهم عن الطريق وتهلكهم ، فأبطل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الفعل ، لا وجودها ولهذا قال : « ولا غول » أي لا تستطيع أن تضل أحداً [اهـ^(١)]

وهذا يوجد في هذا الزمان عند بعض الناس يقولون : هناك أماكن مخيفة مثل الأماكن التي حصل فيها قتل أو نحوه ، فيخافون من هذه الأماكن ، مثل الجبال التي ليس فيها سكن وكذلك الغابات والخربات يظنون أن فيها جنًا تؤذي المارة فيخافون أن تهلكهم أو تضرّ بهم لا سيما في أوقات الليل ، فيحجمون عن المرور من تلك الأماكن ، فنهى النبي صلى الله عليه وسلم أمته أن يعلقوا قلوبهم بهذه الأمور وحثهم على التوكل على الله والالتجاء إليه ، فإنه لا يصيب الإنسان إلا ما كتب الله له ، فالواجب على المؤمن أن يحقق توكله على الله سبحانه وتعالى ، وليعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه وكل ما هو مكتوب في اللوح المحفوظ واقع لا محالة ، ولا مانع من العمل بالأسباب الشرعية النافعة، والابتعاد عن الأسباب الضارة، ولا مانع من اتخاذ الصحبة وأخذ الحيلة وأخذ السلاح وقراءة الأذكار وكل هذا من باب العمل بالأسباب الشرعية دون الاعتماد عليها.

قال شيخ الإسلام: [الاعتماد على السبب شرك وترك السبب قدح في الشريعة] أو كما قال رحمه الله . وقال الشيخ عثمان التميمي: "والحق أنه من وثق بالله وأيقن أن قضاءه ماضٍ ، لم يقدح في توكله تعاطيه للأسباب اتباعاً للكتاب والسنة ، وقد عمل النبي صلى الله عليه وسلم بالأسباب وقال للذي يسأل : أو أعقل ناقتي أو أتوكل ؟ قال : « اعقلها وتوكل » (٢) اهـ^(٣)]

فالحاصل أنه لا يجوز التطير بهذه الأمور ولا بغيرها ولا تصدر من موحد كامل توحيده أو قوي إيمانه فإن ما معه من الإيمان والتوحيد يدفع ذلك كله ، فيجب على العبد أن يرضى بما قدر الله ولا يتطير بشيء من هذه المخلوقات الضعيفة، فمن ابتلي بذلك فلا يلتفت إليها وعليه أن يكثر من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، التي هي كنز من كنوز الجنة ، والتي معناها ، أنه لا تحول للعبد من حال إلى حال إلا بمعونة من الله، ولا تحول له من المعاصي والشر إلا بعصمة من الله ، ولا قوة له على فعل شيء إلا بالله ، ولا قوة له على فعل الطاعات والخير إلا بتوفيق من الله ثم يمضي لما أراد .

وهناك ما يغني عن التطير ، فإن الشرع لا ينهى عن شيء إلا ودل على خير منه ، ولهذا سمي القرآن الكريم مثاني ، لأنه يذكر الصفة ومقابلها ، يذكر الخير والشر ، ويذكر الجنة والنار ، ويذكر المؤمنين والمنافقين والمسلمين والكافرين ، فحذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من التطير ودلنا على الاستخارة ، وذلك إذا التمس على العبد أمر فلم يتبين له هل الخير في فعله أم في تركه فيصلح ركعتين من غير الفريضة ، ويدعو بعدها بدعاء الاستخارة، فيأذن الله يهدي إلى الخير ويصرف عن الشر .

ودعاء الاستخارة هو ماجاء في حديث جابر بن عبد الله ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ يَقُولُ: " إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ ثُمَّ لِيَقُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ ، وَلَا أَقْدِرُ وَتَعْلَمُ ، وَلَا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي ، أَوْ قَالَ عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَأَقْدِرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي ، أَوْ قَالَ فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْني عَنْهُ وَأَقْدِرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ أَرْضِنِي قَالَ : وَيُسَمَّى حَاجَتَهُ^(٤) .

(١)فتح الحميد / عثمان بن عبدالعزيز التميمي (٣ / ١٢٣٠ - ١٢٣١)

(٢)الترمذي (٦٦٨/٤) وقال الألباني في صحيح الترمذي (٣٠٩/٢) حسن من حديث أنس رضي الله عنه

(٣)فتح الحميد / عثمان بن عبدالعزيز التميمي (٣ / ١٢٣٨) بتصرف

(٤)إرواه البخاري.

التفاؤل :

قوله صلى الله عليه وسلم: « ويعجبني الفأل » فقد فسر الفأل بالكلمة الطيبة .
والفرق بين الفأل والطيرة ، أن التفاؤل حسن ظن برب العالمين ، والتطير سوء ظن بالله سبحانه وتعالى ، ونظير ذلك الرقية الشرعية و الشركية، فالشرعية مشروعة والشركية ممنوعة.

فليس من التطير أن يتفاعل العبد باسم حسن ، فقد تفاعل النبي -صلى الله عليه وسلم- بسهيل بن عمرو رضي الله عنه في صلح الحديبية ، حينما قدم سهيل رضي الله عنه فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- : « ما أرى الأمر إلا قد سهل »^(١) فتم الصلح بين النبي -صلى الله عليه وسلم- والمشركين بقدوم سهيل بن عمرو .
وروى الترمذي عن أنس رضي الله عنه أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان إذا خرج لحاجته ، يحب أن يسمع يا راشد يا نجيح .^(٢)

وجاء عن بُرَيْدَةَ - رضي الله عنه - أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- كَانَ لَا يَتَطَيَّرُ مِنْ شَيْءٍ إِذَا بَعَثَ عَامِلًا سَأَلَ عَنْ اسْمِهِ فَإِذَا أُعْجِبَهُ اسْمُهُ فَرِحَ بِهِ وَرَأَى بِشَرِّ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ وَإِنْ كَرِهَ اسْمَهُ رَأَى كَرَاهِيَةَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ وَإِذَا دَخَلَ قَرْيَةً سَأَلَ عَنْ اسْمِهَا فَإِنْ أُعْجِبَهُ اسْمُهَا فَرِحَ بِهَا وَرَأَى بِشَرِّ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ وَإِنْ كَرِهَ اسْمَهَا رَأَى كَرَاهِيَةَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ .^(٣) ، وهذا فيه استعمال الفأل .

قال الشيخ سليمان بن عبد الله : " قال أبو السعادات : الفأل مهموز فيما يسر ويسوء والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء وربما استعملت فيما يسر يقال : تفاعلت بكذا وتفاولت على التحقيق والقلب وقد أولع الناس بترك الهمزة تخفيفاً وإنما أحب الفأل لأن الناس إذا أملوا فائدة الله ورجوا عائذته عند كل سبب ضعيف أو قوى فهم على خير وإذا قطعوا آمالهم ورجاءهم من الله تعالى كان ذلك من الشر وأما الطيرة فإن فيها سوء الظن بالله وتوقع البلاء والتفاؤل : أن يكون رجل مريض فيسمع آخر يقول : يا سالم أو يكون طالب ضالة فيسمع آخر يقول : يا واجد فيقع في ظنه أنه يبرأ من مرضه ويجد ضالته ومنه الحديث : [قيل يا رسول الله ما الفأل ؟ قال : الكلمة الطيبة] اهـ^(٤)

وقال ابن القيم عند حديث أنس - رضي الله عنه - : فابتدأهم بإزالة الشبهة وإبطال الطيرة، وذلك قوله : « لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل ... » لئلا يتوهم عليه في إعجابه بالفأل الصالح ، وليس في الإعجاب بالفأل الصالح ومحبته شيء من الشرك ، بل ذلك إبانة عن مقتضى الطبيعة وموجب الفطرة الإنسانية التي تميل إلى ما يوافقها مما ينفعها .. وبالجملة يحب كل كمال وخير وما يفضي إليهما ، والله سبحانه جعل في غرائز الناس الإعجاب بسماع الاسم الحسن ومحبته ، وميل النفوس إليه ، فيجعل فيها الارتياح والاستبشار والسرور ، فاسم السلام ، والفلاح ، والنجاح ، والفوز ، والتهنئة ، والبشرى ، والظفر ، والغنى ، والريح ، والعز ، وأمثال ذلك ، إذا قرعت هذه الأسماء الأسماع استبشرت بها النفوس وارتاحت وانشرح لها الصدور وقوي بها القلب ، وإذا سمعت ضدها أوجب لها ضد هذه الحال وأورث لها خوفاً وطيرة وانقباضاً عما قصدت له وعزمت عليه ، فأورث لها ضراً في الدنيا ونقصاً في الإيمان ومقارفة للشرك" اهـ^(٥)
وسئل بعض الحكماء فقيل له : مالكم تكرهون الطيرة وتحبون الفأل ؟ فقال : لأن في الفأل عاجل البشرى وإن قصر الأجل ، ونكره الطيرة لما يلزم قلوبنا من الوجل" اهـ^(٦)

(١) صحيح البخاري (٢٧٣١- ١٧٣٢)

(٢) رواد الترمذي وصححه العلامة الألباني في الروض (٨٦)

(٣) رواد أبو داود وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٧٦٢)

(٤) تفسير العزيز الحميد / سليمان بن عبد العزيز (ص: ٤٣٤) وانظر فتح المجيد شرح كتاب التوحيد - (١ / ٢٩٨)

(٥) مفتاح دار السعادة/ ابن القيم (ص: ٥٩٢)

(٦) انظر فتح الحميد / عثمان بن عبد العزيز التميمي (١٢٤٥/٣)

إشكال والإجابة عليه :

قد يقول قائل : نهى النبي - صلى الله عليه وسلم- عن الطيرة في غير ما حديث ، وجاءت أحاديث فيها أشياء فيها شؤم ، فكيف الجمع بين هذه الأحاديث ؟
الإجابة : أما الأحاديث التي فيها النهي عن الطيرة فقد تقدمت ، وأما الأحاديث الأخرى فمنها حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال : « إن يكن الشؤم في شيء ففي المرأة والدار »^(١) وهو في الصحيحين .

وللعلماء في ذلك توجيهات منها :

قال ابن القيم : فأخبره صلى الله عليه وسلم بالمشؤم أنه يكون في هذه الثلاثة ليس فيه إثبات الطيرة التي نفاها وإنما غايته أن الله سبحانه قد يخلق منها أعيانا مشؤمة على من قاربها وسكنها وأعيانا مباركة لا يلحق من قاربها منها شؤم ولا شر وهذا كما يعطى سبحانه الوالدين ولدا مباركا يريان الخير على وجهه ويعطى غيرهما ولدا مشؤوما ندلا يريان الشر على وجهه وكذلك ما يعطاه العبد ولاية أو غيرها فكذلك الدار والمرأة والفرس والله سبحانه خالق الخير والشر والسعود والنحوس فيخلق بعض هذه الأعيان سعودا مباركة ويقضى سعادة من قارنها وحصول اليمن له والبركة ويخلق بعض ذلك نحوسا ينتحس بها من قارنها وكل ذلك بقضائه وقدره كما خلق سائر الأسباب وربطها بمسبباتها المتضادة والمختلفة فكما خلق المسك وغيره من حامل الأرواح الطيبة ولذذ بها من قارنها من الناس وخلق ضدها وجعلها سببا لإيذاء من قارنها من الناس والفرق بين هذين النوعين يدرك بالحس فكذلك في الديار والنساء والخيل فهذا لون والطيرة الشركية لون آخر . اهـ^(٢).

وقال - رحمه الله - : "وقالت طائفة أخرى الشؤم في هذه الثلاثة إنما يلحق من تشاءم بها وتطير بها فيكون شؤمها عليه ومن توكل على الله ولم يتشاءم ولم يتطير لم تكن مشؤمة عليه قالوا ويدل عليه حديث أنس "الطيرة على من تطير"^(٣) وقد يجعل الله سبحانه تطير العبد وتشاؤمه سببا لحلول المكروه به كما يجعل الثقة والتوكل عليه وإفراده بالخوف والرجاء من أعظم الأسباب التي يدفع بها الشر المتطير به وسر هذا أن الطيرة إنما تتضمن الشرك بالله تعالى والخوف من غيره، وعدم التوكل عليه والثقة به كان صاحبها غرضا لسهام الشر والبلاء فيتسرع نفوذها فيه لأنه لم يتدرع من التوحيد والتوكل بجنة واقية وكل من خاف شيئا غير الله سلط عليه كما أن من أحب مع الله غيره عذب به ومن رجا مع الله غيره خذل من جهته وهذه أمور تجربتها تكفي عن أدلتها والنفس لا بد أن تتطير ولكن المؤمن القوي الإيمان يدفع موجب تطيره بالتوكل على الله فان من توكل على الله وحده كفاه من غيره قال تعالى : { فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ } [النحل : ٩٨ - ١٠٠] ولهذا قال ابن مسعود : "وما منا إلا" يعني من يقارب التطير ولكن الله يذهب بالتوكل ..

قالوا فالشؤم الذي في الدار والمرأة والفرس قد يكون مخصوصا بمن تشاءم بها وتطير وأما من توكل على الله وخافه وحده ولم يتطير ولم يتشاءم فإن الفرس والمرأة والدار لا يكون شؤما في حقه" اهـ^(٤)

وقال الشيخ عثمان بن عبد العزيز : [وقالت طائفة من أهل العلم : إن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يجزم بالشؤم في هذه الثلاثة الأشياء ، بل علق على الشرط فقال -صلى الله عليه وسلم- : « إن يكن الشؤم في شيء ... » وفي رواية « لا شؤم فإن يكن ففي ثلاثة ... » الحديث ، ولا يلزم من صدق الشرط صدق كل واحد من

(١)متفق عليه البخاري (٢٨٥٨) ومسلم (٢٢٢٥)

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة - (٢ / ٢٥٧)

(٣)حسن:حسنه الألباني في الصحيحة عند حديث رقم:(٧٨٩).

(٤)المصدر السابق (٢ / ٢٥٦)

مفردها^(١) فقد يصدق التلازم بين المستحيلين ، قالوا : ولعل الوهم وقع من تلك ، وهو أن الراوي غلط ، وقال : « إن الشؤم في الثلاثة » وإنما الحديث « إن كان الشؤم في شيء ففي ثلاثة » .
وقالت طائفة أخرى : [إضافة رسول الله صلى الله عليه وسلم الشؤم في هذه الثلاثة من باب أنه قد يحصل الشؤم مقارناً لها وعندها ، لاهي في نفسها موجب الشؤم ، وقد تكون الدار قد قضى الله تعالى أن يموت فيها خلق كثير من عباده ، كما يقدر ذلك في البلد الذي ينزل به الطاعون ، والمكان الذي يكثر الوباء به .. فالدار التي يهلك فيها أكثر ساكنيها توصف بالشؤم بهذا الاعتبار ، لأن الله خصها بكثرة من قبض فيها ، فمن كتب الله عليه الموت في تلك الدار ، حركه إليها .. قالوا : إذا كان هذا في الدور والبقاع ، جاز مثله في الخيل والنساء ، فتكون المرأة قد قدر الله أن تتزوج عدداً من الرجال ويموتون معها ، فلا بد من إنفاذ قضائه وقدره ، فتوصف المرأة بالشؤم لذلك ، وكذلك الفرس ولو لم يكن لشيء من ذلك فعل وتأثير .
وقالت طائفة : إن الله قد قدر فيها على قوم دون قوم ، فخاطبهم النبي -صلى الله عليه وسلم- لما استقر عندهم منه من إبطال الطيرة وإنكار العدوى ، ولذلك لم يستفهموه عن معنى ما أراه .
وبالجملة فإن إخباره -صلى الله عليه وسلم- بالشؤم في هذه الثلاثة ، ليس فيه إثبات الطيرة التي نفهمها ، وإنما غايته أن الله سبحانه وتعالى قد يخلق منها أعياناً مشئومة على من قاربها وسكنها ، وأعياناً مباركة لا يلحق من قاربها وسكنها شؤم ولا شر ، كما يعطي سبحانه الوالدين ولداً مباركاً يريان الخير على وجهه .. [أهـ^(٢) .

وقال شيخنا يحيى بن علي الحجوري - حفظه الله - [الشؤم في المرأة سوء خلقها ، ويزيد الشؤم إذا كانت تفعل الفواحش ، والشؤم في الدار في ضيقها وسوء جيرانها فصاحبها يتعب فيها وربما فضل أنه يبيعها بأبخس الأثمان ، وهكذا البيت الذي لا يقرأ فيه القرآن وسكنه الجن ، فإنه مشئوم ، لأنهم سيؤذون صاحب البيت وأولاده ، بخلاف إذا كان قوي الإيمان ، ويكثر من قراءة القرآن في البيت ، فإن الجن سيفرون منه ، كما كانوا يفرون من عمر- رضي الله عنه - يسلك فجاً ويسلك الشيطان فجاً آخر غير فجه ، والشؤم في الدابة صعوبتها وصعوبة ركوبها ، فربما ركضت هذا وأتلفت هذا وغير ذلك، وهكذا السيارة إذا كانت خرابانة - أي كثيرة الأعطال - فإنها مشئومة على صاحبها تتعبه كل يوم] اهـ بمعناه^(٣) .

أمثلة من الطيرة العصرية:

- من التطير أن يقول إنسان لآخر : لا تتزوج بفلانة فإنها مدبرة ومشئومة ، و ستدخل عليك بالمصائب والشور ، ولا تسكن بيت كذا فإنه شؤم ، ولا تزرع أرض كذا فإنها شؤم ، سيموت أولادك فيها أو بسببها ونحو ذلك ، كل هذا ينافي الإيمان بأقدار الله ويقدم في التوحيد ، فلا بد للمسلم أن يستسلم لما قدره الله له وعليه ، ويمضي لما أراد والله المستعان .

- ومن التشاؤم ما يحصل من بعض العامة ، أنهم يتشاءمون بالصالحين والدعاة إلى الله ، فيقولون : من حين رأيناها ما رأينا خيراً ، يقولون : كنا نعمل كذا وكذا والمطر ينزل والخير موجود، ولما جاء هؤلاء قحط المطر وحصلت الشدة وغير ذلك ، وهم كانوا - في الحقيقة - غارقين في المعاصي والاختلاط والتبرج و الشركيات والله سبحانه وتعالى يبتليهم بالخير لأنهم على جهل ، ولا يوجد من يوجههم ولما جاء الدعاة وطلبة العلم ونصحوهم وأقاموا عليهم الحجة ابتلاهم الله ببعض المصائب ، من قحط ومرض وغيره بسبب عنادهم وذنوبهم التي

(١) وهذا كقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكُتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ الآية [يونس : ٩٤] ليس معناه أن النبي ﷺ كان في شك مما أنزل إليه ، لأن ما بعد (إن) الشرطية لا يشترط تحققه .

(٢) انظر كتاب فتح الحميد/ عثمان بن عبدالعزيز التميمي (١٢٥٧/٣-١٢٦٢) بتصرف

(٣) نقلا من أحد الدروس التي كان يلقيها علينا في دماج .

حذروهم منها فأصروا عليها ، فمن هنا تشاءموا بهم واعتقدوهم سبباً لذلك ، وإلا فهم في الحقيقة رحمة للناس ، فإن وجود السنني السلفي الداعية في بلد ما ، كالغيث لها ، فكيف يُتشاءم به؟! وهذا التشاؤم هو نظير تشاؤم الأقوام المكذبين لرسلهم كما تقدم ، فكان وجه الشبه بينهم هو التشاؤم بالصالحين ، إلا أن أولئك كفار وهؤلاء مسلمون، ولا يجوز التشبه بالمشركين ولا يجوز التشاؤم مطلقاً وهو من الشرك كما تقدم.

- ومن التشاؤم الذي يحصل عند بعض العامة، تشاؤمهم بعواء الكلب ، وهو صوت غريب يصيح به أحياناً، فإذا ما سمعوا هذا الصوت وقع في قلوبهم أنه سيحصل شيء من المصائب – وهذا موجود في بعض المناطق، وكل هذا من الطيرة الشركية التي تنافي التوكل على الله ، والإيمان بالأقدار .

- ومن التشاؤم تغيير الأسماء تطيراً لمرض يحصل أو غير ذلك ، فإذا مرض إنسان غيروا اسمه، أو يذهبون إلى مشعوذ ، فيقول لهم : غيروا اسمه ، أما التسمية بالأسماء الحسنة من أول الأمر تفاؤلاً فلا بأس به ، كما تقدم لكن لا يكون تغييره عند حصول مرض أو بأخذ قول المشعوذ ولو كان الاسم حسناً فليس هذا من التفاؤل بل هو من التشاؤم ، وقد اتضح الفرق بين الفأل والطيرة وضرب الأمثال على ذلك .

وإليك زيادة بيان في الفرق بين التفاؤل والطيرة من حيث التسمية بالأسماء تفاؤلاً وتطيراً من كلام ابن القيم – رحمه الله :-

الفرق بين التفاؤل والتطير في الأسماء :

قال ابن القيم بعد أن ذكر شيئاً عن التطير : [فأين هذا – يعني التطير – من الفأل الصالح السار للقلوب المؤيد للأمال الفاتح باب الرجاء المسكن للخوف الرابط للجأش الباعث على الاستعانة بالله والتوكل عليه والاستبشار المقوي لأمله السار لنفسه ، فهذا ضد الطيرة ، فالفأل يفضي بصاحبه إلى الطاعة والتوحيد ، والطيرة تقضي بصاحبها إلى المعصية والشرك فلهذا استحباب النبي صلى الله عليه وسلم الفأل وأبطل الطيرة" اهـ]^(١)

وقال أيضاً : [سئل بعض الحكماء فليل له : ما بالكم تكرهون الطيرة وتحبون الفأل؟ فقال : لنا في الفأل عاجل البشرى وإن قصر الأمل ، ونكره الطيرة لما يلزم قلوبنا من الوجع ، وهذا الفرق حسن جداً ، وأحسن منه ما قاله ابن الرومي في ذلك (الفأل لسان الزمان والطيرة عنوان الحدثان) وقد كانت العرب تقلب الأسماء تطيراً وتفاؤلاً ، فيسمون اللديغ سليماً ، باسم السلامة ، وتطيراً من اسم السقم ، ويسمون العطشان ناهلاً – أي سينهل ، والنهل الشرب – تفاؤلاً باسم الري ، ويسمون الفلاة مفازة – أي منجاة – تفاؤلاً بالفوز والنجاة ، ولم يسموها مهلكة لأجل الطيرة ، وكانت لهم مذاهب في تسمية أولادهم ، فمنهم من سموه بأسماء تفاؤلاً بالظفر على أعدائهم ، نحو غالب وغلاب ومالك وظالم وعمار ومنازل ومقاتل ومعارك ومسهر ومؤرق ومصباح وطارق ، ومنهم من تفاعل بالسلامة ، كتسمية سالم وثابت ونحوه ، ومنهم من تفاعل بنيل الحظوظ والسعادة ، كسعد وسعيد وأسعد ومسعود وسعدى وغانم ونحو ذلك ، ومنهم من قصد التسمية بأسماء السباع ترهيباً لأعدائهم ، نحو أسد وليث وذئب وضرغام وشبل ونحوها ، ومنهم من قصد التسمية بما غلظ وخشن من الأجسام تفاؤلاً بالقوة ، كحجر وصخر وفهر وجندل ، ومنهم من كان يخرج من منزله وامرأته تمخض ، فيسمي ما تلده باسم أول ما يلقاه كأنه ما كان من سبع أو ثعلب أو ضب أو كلب أو ظبي أو حشيش أو غيره ، وكان القوم على ذلك إلى أن جاء الله بالإسلام ومحمد رسوله صلى الله عليه وسلم ففرق بين الهدى والضلالة والغي والرشاد وبين الحسن والقبيح والمحسوب والمكروه والضرار والنافع والحق والباطل ففكره الطيرة وأبطلها واستحب الفأل وحمده ، فقال : « لا عدوى ولا طيرة وخيرها الفأل ... » الحديث [اهـ]^(٢)

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم (٢/٢٧٧)

(٢) المصدر السابق (٢/٢٧٥-٢٧٦)

والخلاصة : أن التثاؤم بالمسموعات أو المرئيات أو المعلومات شرك ، وقد يكون شركاً أكبر إذا اعتقد أن ذلك الشيء المتشاءم منه يؤثر بنفسه استقلالاً ، ويكون التثاؤم شركاً أصغر إذا كان يعتقد أن ذلك الشيء المتشاءم منه سبب لحصول الشر ، وليس هو المؤثر بنفسه ، بخلاف التفاؤل كما تقدم بيانه .

المبحث الثاني : التنجيم .

تعريف التنجيم :

يقال: نجم تنجيماً، أي: نظر في النجوم. (١)

قال شيخ الإسلام : التنجيم هو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية . اهـ (٢)

ومعناه أن المنجم يترصد الحوادث التي تحصل في الأرض من موت وفقر ومرض وغيرها من المصائب ، وينسبها إلى النجوم بأنها هي الفاعلة والمؤثرة ، أو أنها هي السبب لحدوث هذه المصائب ، فالأول شرك أكبر والثاني شرك أصغر كما سيأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى .

قال ابن عثيمين : [التنجيم مصدر نجم - بتشديد الجيم - أي تعلم علم النجوم ، أو اعتقد تأثير النجوم] .

وعلم النجم ينقسم إلى قسمين :

١- علم التأثير .

٢- علم التسيير .

فالأول : علم التأثير وينقسم إلى ثلاثة أقسام :

أ- أن يعتقد أن هذه النجوم مؤثرة فاعلة ، بمعنى أنها هي التي تخلق الحوادث والشور ، وهذا شرك أكبر

..

ب- أن يجعلها سبباً يدعي بها علم الغيب ، فيستدل بحركاتها وتنقلاتها وتغيراتها على أنه سيكون كذا وكذا ، مثل أن يقول : هذا الإنسان ستكون حياته سعيدة ، لأنه ولد في النجم الفلاني ، وهذا الإنسان سيكون شقيماً لأنه ولد في النجم الفلاني ، فهذا اتخذ علم التنجيم وسيلة لادعاء علم الغيب وهذا كفر مخرج من الملة .

ج- أن يعتقد سبباً لحدوث الخير والشر ، أي أنه إذا وقع شيء نسبه إلى النجوم ولا ينسب شيئاً إلا بعد وقوعه ، فهذا شرك أصغر .

الثاني: علم التسيير وهذا ينقسم إلى قسمين :-

أ- أن يستدل بسيرها على المصالح الدينية ، فهذا مطلوب ، وإذا كانت تعين على مصالح دينية واجبة كان تعلمها واجباً ، كما لو أراد أن يستدل بالنجوم على جهة القبلة ، فالنجم الفلاني يكون ثلث الليل قبلة ، والنجم الفلاني يكون ربع الليل قبلة ، فهذا فيه فائدة عظيمة .

وقال في موضع آخر :

(١) انظر لسان العرب - (١٢ / ٥٦٨)

(٢) انظر تيسير العزيز الحميد (٣٧٨ / ١)

علم التسيير، وهو ما يستدل به على الجهات والأوقات؛ فهذا جائز، وقد يكون واجبا أحيانا، كما قال الفقهاء: إذا دخل وقت الصلاة يجب على الإنسان أن يتعلم علامات القبلة من النجوم والشمس والقمر، قال تعالى: { وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَاراً وَسُبُلأً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } . [النحل آية : ١٥].

. فلما ذكر الله العلامات الأرضية انتقل إلى العلامات السماوية؛ فقال تعالى: { وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ } [النحل آية : ١٦] فالاستدلال بهذه النجوم على الأزمان لا بأس به، مثل أن يقال: إذا طلع النجم الفلاني دخل وقت السيل ودخل وقت الربيع، وكذلك على الأماكن؛ كالقبلة، والشمال، والجنوب.

ب- أن يستدل بسيرها على المصالح الدنيوية فهذا لا بأس به وهو نوعان :

الأول: أن يستدل بها على الجهات ، كعرفة أن القطب يقع في الشمال ونحو ذلك قال تعالى : ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [سورة النحل: ١٦].

الثاني: أن يستدل بها على الفصول : وهو ما يعرف بتعلم منازل القمر ، وهذا كرهه بعض السلف وأباحه آخرون ، والذين كرهوه قالوا : يخشى إذا قيل: طلع النجم الفلاني فهو وقت الشتاء أو الصيف : أن بعض العامة يعتقد أنه هو الذي يأتي بالبرد أو بالحر أو بالرياح ، والصحيح عدم الكراهة [١]هـ.

قلت: ومن اعتقد أن النجوم سبب لحصول البرد والحر والمطر والرياح ونحو ذلك فقد وقع في التنجيم المحرم وهو من الشرك الأصغر.

حكم التنجيم :

جاء من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما- قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد »^(٢)

وجاء من حديث أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاثة لا يدخلون الجنة مدمن خمر ، وقاطع رحم ، ومصدق بالسحر »^(٣)

قال العلامة العثيمين - رحمه الله - : في قوله « ومصدق بالسحر » : " فعلم التنجيم نوع من السحر فمن صدق به صدق بنوع من السحر ، فمن اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر ، و المصدق به هو المصدق بما يخبر به المنجمون ، فإذا قال المنجم : سيحدث كذا وكذا ، وصدق به فإنه لا يدخل الجنة ، لأنه صدق بعلم الغيب لغير الله ، قال تعالى : ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل : ٥٦]هـ^(٤).

وقال الخطابي - رحمه الله - : (و علم النجوم المنهي عنه ، ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي ستقع في مستقبل الزمان ، كأوقات هبوب الرياح و نزول المطر وتغير الأسعار وما في معناها من الأمور التي

(١) انظر كتاب فتح المجيد مع القول المفيد / الشيخ عبدالرحمن آل الشيخ ، الشيخ ابن عثيمين (ص: ٥٥٢)

(٢) رواه أبو داوود وهو في الصحيح المسند للشيخ مقبل الوداعي ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٠٧٤)

(٣) رواه أحمد وابن حبان في صحيحيهما وحسنه الألباني في الصحيحة (٦٧٨)

(٤) فتح المجيد مع القول المفيد(ص: ٥٥٩)

يزعمون أنها تدرك معرفتها بمسير الكواكب في مجاريها وفي اجتماعها وتفرقها ، يدعون أن لها تأثيراً على السفليات ، وهذا منهم تحكم على الغيب وتعاطي لعلم قد استأثر الله به لا يعلم الغيب سواه (اهـ^(١)) .

وقال البخاري : في صحيحه : (قال قتادة : خلق الله هذه النجوم لثلاث ، زينة للسماء ورجوماً للشياطين وعلامات يُهتدى بها ، فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه ، وتكلف ما لا علم له به) اهـ^(٢) .

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله عن أثر قتادة: "وأخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والخطيب في كتاب النجوم قال: إن الله إنما جعل هذه النجوم لثلاث خصال جعلها زينة للسماء وجعلها يهتدى بها وجعلها رجوماً للشياطين فمن تعاطى فيها غير ذلك فقد قال برأيه وأخطأ حظه وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به وإن ناساً جهلة بأمر الله قد أحدثوا في هذه النجوم كهانة، من أعرس بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا ومن سافر بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا، ولعمري ما من نجم إلا يولد به الأحمر والأسود والطويل والقصير والحسن والذميم وما علم هذه النجوم وهذه الدابة وهذا الطائر بشيء من هذا الغيب ولو أن أحداً علم الغيب لعلمه آدم الذي خلقه الله بيده وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شيء" اهـ^(٣) .

قوله : (لثلاث) أي لثلاث حكم .

قوله : (زينة للسماء) كما قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ ﴿٥﴾﴾ [الملك : ٥] .

قوله : (رجوماً للشياطين) ؛ لأنهم كانوا يسترقون السمع ، قال تعالى : ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا ﴿٩﴾﴾ [الجن : ٩] .

قوله : (علامات يُهتدى بها) يؤخذ من قوله تعالى : ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل : ١٦] .

التنجيم في الجرائد والمجلات:

يوجد ضرب من هذا العلم الخبيث ، وهو التنجيم في بعض الجرائد والمجلات وبعض الكتب ، فيأتون بخرافات ليعلقوا الناس بغير الله ، ، على سبيل المثال يكتبون فيها: من كان برجه الميزان فهو سعيد ، ومن كان برجه الحمل فهو شقي، ونحو ذلك مما لم ينزل الله به من سلطان ، فمن قرأ في هذه المجلات ونحوها أو صدقها فإنه ينطبق عليه حكم المصدق بالتنجيم وحكم الذهاب إلى الكهنة والعرافين وسؤالهم أو تصديقهم، فليحذر المسلم من هذه المجلات ، فإنه لا يجوز القراءة فيها ولا اقتناؤها ولا شراؤها إلا لإحراقها وتخليص المسلمين من شرها ، فإنه من قرأ فيها وصدق بما فيها فحكمه كمن سأل كاهناً فصدق ، وهو أنه يكفر بما أنزل على محمد صلى الله

(١) انظر المصدر السابق (ص: ٥٥٣)

(٢) علقه البخاري رقم (٢٠٥٩) وأخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وغيرهم .

(٣) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد - (١ / ٣٨٨)

عليه وسلم ، قياساً على حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد »^(١) .

ومن قرأ فيها للتسلية فقط ولم يصدق، وليس له مقصد شرعي كالإنكار والرد على من كتب ذلك، فحكمه كمن سأل كاهناً، وهو أنه لن تقبل له صلاة أربعين يوماً قياساً على حديث جاء عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم - رضي الله عنهن - أنه قال : « من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة »^(٢)

والكهان والعرافون والمنجمون يسلكون مسلكاً واحداً، والعلة واحدة وهي ادعاء علم الغيب و الشرك بالله رب العالمين .

قال الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ : "وما يدخل في التنجيم في هذا العصر بوضوح - مع غفلة الناس عنه- ما يكثر في المجالات مما يسمونه البروج ، فيخصصون صفحة أو أقل منها في الجرائد ، ويجعلون عليها رسم بروج السنة برج الأسد ، والعقرب ، والثور ، إلى آخره ، ويجعلون أمام كل برج ما سيحصل فيه ، فإذا كان الرجل أو المرأة مولوداً في ذلك البرج يقول : سيحصل لك في هذا الشهر كذا وكذا وكذا ، وهذا هو التنجيم الذي هو التأثير ، والاستدلال بالنجوم والبروج على التأثير في الأرض وعلى ما سيحصل في الأرض ، وهو نوع من الكهانة ، ووجوده في المجالات والجرائد على ذلك النحو وجود للكهانة فيها ، فهذا يجب إنكاره إنكاراً للشركيات ولادعاء معرفة الغيب والسحر وللتنجيم ؛ لأن التنجيم من السحر كما ذكرنا ، ويجب إنكاره على كل صعيد ، ويجب أيضاً على كل مسلم أن لا يدخله بيته ، وأن لا يقرأه ، ولا يطلع عليه ؛ لأن الاطلاع على تلك البروج وما فيها- ولو لمجرد المعرفة- يدخل في النهي من جهة أنه أتى الكاهن غير منكر عليه .

وإذا قرأ هذه الصفحة وهو يعلم برجه الذي ولد فيه ، أو يعلم البرج الذي يناسبه ، وقرأ ما فيه ، فكأنه سأل كاهناً ، فلاتقبل له صلاة أربعين يوماً ، فإن صدق بما في تلك البروج فقد كفر بما أنزل على محمد ، وهذا يدل على غربة التوحيد بين أهله ، وغربة فهم حقيقة هذا الكتاب- كتاب التوحيد- حتى عند أهل الفطرة وأهل هذه الدعوة ، فإنه يجب إنكار ذلك على كل صعيد وأن لا يؤثم المرء نفسه ، ولا من في بيته بإدخال شيء من الجرائد التي فيها ذلك في البيوت ؛ لأن هذا معناه إدخال للكهنة إلى البيوت ، وهذا- والعياذ بالله- من الكبائر ، فواجب إنكار ذلك وتمزيقه والسعي فيه بكل سبيل حتى يدحر أولئك ؛ لأن أهل التنجيم وأهل البروج هم من الكهنة ، والتنجيم له معاهد معمورة في لبنان وفي غيرها ، يتعلم فيها الناس حركة النجوم ، وما سيحصل بحسابات معروفة ، وجداول معينة ، ويخبرون بأنه من كان من أهل البرج الفلاني فإنه سيحصل له كذا وكذا ، عن طريق تعلم وهمي يغرهم به رؤوسهم وكهانهم ، فالواجب على طلبة العلم أن يسعوا في تبصير الناس بحقيقة ذلك في كلماتهم ، وبعد الصلوات ، وفي خطب الجمعة ؛ لأن هذا مما كثر البلاء به ، والإنكار فيه قليل ، والتنبيه عليه ضعيف والله المستعان"^(٣)هـ

(١)رواه أحمد وغيره وصححه الألباني .

(٢) مسلم كتاب السلام رقم (٢٢٣٠) .

(٣)التمهيد لشرح كتاب التوحيد - (١ / ٤٨٩)

التنجيم في الجوات:

ومما يدخل في التنجيم في هذا العصر بوضوح - مع غفلة الناس عنه- ما يحصل في الجوات عبر الرسائل النصية والتواصل الاجتماعي والشبكات مما يسمونه بالبروج ، فيخصصون رسائل من هذا الضرب ليفسدوا على الناس عقائدهم ويلقوهم بخير الله ويبعدوهم عن دينهم وهم في قعر بيوتهم، وهذا أعم وشره أطم حيث يتمكن المنجمون من إيصال الشرك والكفر إلى المنازل وهم في بيوتهم، فيحصل أن الشركات المعنية بهذه الخطوط أو نحوها ترسل رسائل هذا نصها [إذا أردت أن تعرف برجك أرسل كذا على الرقم كذا ، وإذا كان برجك كذا فأنت كذا] ونحو ذلك ، فلينتبه المسلم لنفسه حتى لا يكون ممن كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم أو ممن لم تقبل صلاته أربعين يوماً بلمسة زر والعياذ بالله ، فهذه الجوات نعمة يجب شكر الله عليها بصرفها واستعمالها في طاعته ، وإلا صارت نقمة على صاحبها، وسيسأل عنها كما قال تعالى : ﴿ثُمَّ لِنُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر : ٨]

نسأل الله أن يصلح أحوالنا والمسلمين وأن يُبصِّرنا وإياهم في الدين .

وقال الشيخ عبدالعزيز التميمي : التنجيم قسمان :-

الأول: حسابي وقد نص الله في القرآن بأن مسير الشمس والقمر معلوم بالحساب ، حيث قال تعالى : ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن : ٥]

قال المفسرون : يجريان بحساب معلوم مقدر في بروجها ومنازلها وبه تختلف الفصول والأوقات والليل والنهار ، وبه تُعرف الشهور والسنون وأوقات الحج والصوم والصلاة ، وغير ذلك من آجال البيوع والتعليقات وجميع المعاملات والمفروضات والمسنونات والمستحبات ، وكذلك معرفة القبلة ، فلا يوقف على معرفة تلك الأوقات والجهات إلا من جهة الحساب ^(١).. وقد قال تعالى : ﴿وَلِنَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ عَفْصَانَاهُ تَفْصِيلاً﴾ [الإسراء : ١٢] .

الثاني : عرفه ابن ساعد الأنصاري : بعلم الاستدلال بالشكلات الفلكية على الحوادث السفلية ، وهو المراد عند الإطلاق وعلمه حرام ، وقد يكون كفوفاً إذا اعتقد صاحبه تأثير النجوم بذاتها ..

وقال ابن الجوزي : (واعلم أن علم النجوم على ضربين : أحدهما مباح وتعلمه فضيلة ، وهو العلم بأسماء الكواكب ومطالعها ومساقطها وسيرها في منازلها و الاهتداء في القبلة .

والثاني : محظور وهو ما يدعيه المنجمون من الأحكام ، وقد صار أهل زماننا لا يسافرون ولا يلبسون ثوباً ولا يعملون عملاً إلا بقول المنجم) اهـ ^(٢) .

وما أشبه الليلة بالبارحة ، فالمنجمون موجودون والتنجيم حاصل في زماننا ويعتمد عليه البعض من المسلمين ، بل إنه مدون ومنشور في الصحف والمجلات ، فلا يكاد يتزوج الرجل إلا ويذهب إلى المنجم ، يتخير يوماً أو

(١) حكاة ابن جريج عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة وابن زيد وابن الجوزي (١٠٦/٨) وعزاه للجمهور وابن كثير في تفسيره (٢٧٠/٤) .

(٢) انظر كتاب فتح الحميد / عثمان بن عبدالعزيز التميمي (١٢٧٧/٣) .

شهرًا أو ساعةً مناسبةً أو طيبة بزعمهم ، وكذلك المسافرين ، والناس بين مستقل ومستكثر ، إلا من رحم الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وذكر الشيخ عثمان بن عبدالعزيز أيضاً في كتابه فتح الحميد : أن ذا النون المصري قال : رأيت في بعض براري مصر كتابة فوجدتها :

تدبر في النجوم ولست تدري ورب النجم يفعل ما يشاء

وقد أحسن الخليل ابن أحمد حين قال :

خبراً عني المنجم أني كافرٌ بالذي قضته الكواكب

عالم بأن ما يكون وما كا ن قضاء من المهيمن واجب^(١)

قال منجم لعلي - رضي الله عنه - لما أراد قتال الخوارج يوم النهروان - فيما قال المبرد - : أتقاتل والقمر في العقب ؟ قال : فأين قمرهم؟ وقال أيضاً : لمنجم يوماً لا تسر في هذه الساعة ، فقال : ما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم منجم و ولا للناس بعده ، فمن صدقك في قولك فلا آمن أن يكون ممن اتخذ من دون الله نداً ، اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك ، فسار ونصر نصراً مؤيداً ، وذلك يوم مشهور ، ثم أقبل على المنجم فقال : والله لئن بلغني أنك تنظر في النجوم وتعمل منها لأخذنك في الحبس ما بقيت وما بقيت لأحرمتك العطاء مادام لي سلطان" اهـ^(٢)

(١)المصدر السابق .

(٢)أشار إلى هذه القصة باختصار الطبري في تاريخه (١٢٧٧/٣) وابن كثير في البداية والنهاية .

المبحث الثالث :**من الشرك الاستسقاء بالأنواء والنجوم****تعريف النوء :**

عرفه ابن منظور : " بأنه النجم الذي يكون به، وسمي نوءاً لأنه إذا سقط الساقط منه بالمغرب ناء الطالع بالمشرق ينوء نوءاً ، أي نهض وطلع ، وذلك النهوض هو النوء ، فسمي النجم به" اهـ^(١)

حكم الاستسقاء بالأنواء :

روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث زيد بن خالد الجهني - رضي الله عنه - قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية إثر سماء كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس فقال : « هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم ، قال : « أصبح من عبادي مؤمن بي وكافرٌ بي ، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته ، فذلك مؤمنٌ بي كافرٌ بالكواكب ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافرٌ بي مؤمنٌ بالكواكب » اهـ^(٢) .

قال ابن عثيمين : (فمن قالها بلسانه وبقلبه - أي مطرنا بفضل الله وبرحمته - والفضل : هو العطاء والزيادة ، والرحمة : صفة من صفات الله يكون بها الإحسان والإنعام إلى الخلق - « فذلك مؤمنٌ بي » لأنه نسب المطر إلى الله « وأما من قال مطرنا بنوء كذا » - الباء للسببية - صار كافرًا بالله ، لأنه أنكر نعمة الله ونسبه إلى سبب لم يجعله الله سبباً ، فتعلقت نفسه بهذا السبب ، ونسي نعمة الله ، وهذا الكفر لا يخرج من الملة ، وأما إذا نسب المطر إلى النوء نسبة إيجاد ، كأن يقول : أنزل علينا المطر نوء كذا كان كافرًا مخرجاً من الملة) اهـ^(٣) .

والاستسقاء بالنجوم نوع من التنجيم ، والمنجم كافر كما تقد في مبحث التنجيم .

وجاء من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ألم تروا إلى ما قال ربكم ؟ قال : ما أنعمت على عبادي من نعمة إلا أصبحوا بها كافرين ، يقولون الكواكب والكواكب » اهـ^(٤) .

وجاء من حديث أبي مالك الأشعري - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن : الفخر بالأحساب ، والطعن في الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة .. » اهـ^(٥) الحديث

وقال تعالى : ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ [الواقعة : ٨٢] .

قال ابن القيم : (أي وتجعلون حظكم من هذا الرزق الذي به حياتكم التكذيب به - يعني القرآن - وقال الحسن : تجعلون حظكم وتصديقكم في القرآن أنكم ، تكذبون ، قال : خسر عبد لا يكون حظه من القرآن إلا التكذيب) اهـ^(١) .

(١) انظر لسان العرب / لابن منظور (٣١٦-٣١٥/٤) .

(٢) البخاري (٨٤٦) مسلم كتاب الإيمان (٧١) .

(٣) القول المفيد / ابن عثيمين (٧٢) .

(٤) مسلم كتاب الإيمان (٧٢) .

(٥) مسلم كتاب الجنائز (٩٣٤)

وقال الشيخ عثمان بن عبدالعزيز التميمي :- (لما ذكر الشيخ محمد بن عبدالوهاب باب التنجيم أعقبه بباب الاستسقاء ليعلم أن ما أودعه الله تعالى من عادات عند سقوط النجوم أو طلوعها مع الفجر من الأنواء إنما هو عن أمره وتكوينه ، إذ هو خالق الأسباب والمسببات ، وكل حركة أو سكون إنما تصدر عن أمره وقضائه جل وعلا فكانت العرب إذا سقط نجم أو طلع آخر قالوا : لا بد من رياح ومطر فينسيبون كل غيم وريح إلى ذلك النجم الساقط فيرجون السقيا من ذلك النوء فيقولون إذا مطروا : مطرنا بنوء الثريا أو الدبران أو المجدح أو بالسمك ونحوها من النجوم" اهـ^(٢)

وهذا نحو ما يحصل في زماننا عند بعض الناس حيث يجعلون هذه النجوم سبباً لنزول الأمطار وفي غيرها ييأسون من نزول المطر ، ومن هذه النجوم على سبيل المثال سهيل أو النجم الأول أو الثاني أو الرابع أو الكيمة وهي مكونة من سبعة نجوم و أمثال ذلك . وكل نجم بحسبه حيث يعتقدون أن المطر يتفاوت نزوله من نجمٍ إلى آخر .

ويجعلون أهمها نجم سهيل، فإذا ذهب وقت هذا النجم ولم ينزل مطر يئس بعض الناس وقنطوا من رحمة الله - إلا من رحم الله -، وذلك أن الله ينزل الأمطار في هذه الأوقات غالباً لحكمة يعلمها سبحانه ، فيعتقد بعض الناس أن هذه النجوم هي السبب ، لكن الله سبحانه وتعالى ينزل الأمطار في هذه الأوقات وفي غيرها حسب ما تقتضيه حكمته وبحسب مصالح العباد رحمةً بهم، فلا علاقة لهذه النجوم بالأمطار ، وقد ينزل الله الأمطار في وقت قد يئس الناس من نزوله فيه حال قنوطهم ، فينزل المطر بأمر الله في غير هذه الأوقات التي يعتقدونها سبباً لنزول المطر .

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [الشورى: ٢٨].

قال ابن عثيمين - رحمه الله - : "والأنواء: هي منازل القمر، وهي ثمان وعشرون منزلة، كل منزلة لها نجم تدور بمدار السنة. وهذه النجوم بعضها يسمى النجوم الشمالية، وهي لأيام الصيف، وبعضها يسمى النجوم الجنوبية، وهي لأيام الشتاء، وأجرى الله العادة أن المطر في وسط الجزيرة العربية يكون أيام الشتاء، أما أيام الصيف؛ فلا مطر .

فالعرب كانوا يتشاءمون بالأنواء، ويتفاءلون بها؛ فبعض النجوم يقولون: هذا نجم نحس لا خير فيه، وبعضها بالعكس يتفاءلون به فيقولون: هذا نجم سعود وخير، ولهذا إذا أمطروا قالوا: مطرنا بنوء كذا، ولا يقولون: مطرنا بفضل الله ورحمته، ولا شك أن هذا غاية الجهل.

ألسنا أدركنا هذا النوء بعينه في سنة يكون فيه مطر وفي سنة أخرى لا يكون فيه مطر؟ ونجد السنوات تمر بدون مطر مع وجود النجوم الموسمية التي كانت كثيراً ما يكون في زمنها الأمطار. اهـ^(٣)

(١) انظر فتح المجيد (ص: ٣٤٥) .

(٢) فتح الحميد (١٣١٣/٣-١٣١٤) .

(٣) القول المفيد (١/٥٦٨) .

أقسام الشرك في الاستسقاء بالأنواء :

قال العلامة العثيمين - رحمه الله :-

١- شرك أكبر وله صورتان :

الأولى : أن يدعو الأنواء بالسقيا : كأن يقول يا نوء كذا اسقنا فهذا شرك أكبر لأنه دعاء لغير الله وهو شرك أكبر في الألوهية.

الثانية : أن ينسب حصول الأمطار إلى هذه الأنواء على أنها هي الفاعلة بنفسها أي أنها هي التي أنزلت المطر وأيضاً هذا شرك أكبر في الربوبية .

٢- شرك أصغر :

وهو أن يجعل هذه الأنواء سبباً مع اعتقاده بأن الله هو الفاعل الخالق الموجد لهذا المطر لأن كل من جعل سبباً لم يجعله الله سبباً لا بوحيه ولا بقدره فهو مشرك شركاً أصغر اهـ^(١) .

وقال الشيخ عثمان بن عبدالعزيز التميمي : " قال النووي : قال العلماء : إن قال مسلم : مطرنا بنوء كذا مريداً بأن النوء هو الموجد الفعال للمحدث للمطر صار مرتداً إذا شك وحكي الإجماع على ذلك . و إن قال مريداً أنه علامة لنزول المطر ونزول الغيث وأن نزوله بفعل الله وخلقه لم يكفر واختلفوا في كراهته والمختار أنه مكروه لأنه من ألفاظ الكفار وهو ظاهر الحديث ونص عليه الشافعي والصحيح عند الإمام أحمد تحريم هذا اللفظ مطلقاً وعلى هذا (الباء) للاستعانة في الأول وفي الثاني للظرفية والمصاحبة ومن هذا الاعتماد على قول المنجمين والرجوع إليهم فإن ذلك شديد التحريم عند العلماء رحمهم الله وقد قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [الشورى : ٢٨] فهو الذي يحمده ويشكر على إنزاله . اهـ^(٢)

ويرى ابن عثيمين : أنه لا بأس أن يقول مطرنا في نوء كذا على أن (في) تكون ظرفية، أي: مطرنا في وقت هذا النوء.

ويقسم - رحمه الله - نسبة المطر إلى النوء إلى ثلاثة أقسام :-

١- نسبة إيجاد وهو شرك أكبر .

٢- نسبة سبب وهو شرك أصغر .

٣- نسبة وقت وهذا جائز .^(٣)

(١) المصدر السابق (ص: ٣٥٦) .

(٢) كتاب فتح الحميد (١٣٣١/٣-١٣٣٢) .

(٣) انظر فتح المجيد مع القول المفيد (ص: ٥٧٢) .

إشكال وجوابه:

قد يقول قائل: لا يعلم متى ينزل المطر إلا الله، فكيف يعلم الفلكيون أحياناً بنزول المطر من خلال أحوال الطقس ؟

الجواب: لا محذور في ذلك وإنما هي دراسات وحسابات حول أحوال الطقس من رياح وأمطار وغيوم وليس هذا من علم الغيب وإنما مجرد توقعات من خلال هذه الدراسات كما تقدم، فقد يحصل ما يتوقعونه وقد لا يحصل ، أما نزول المطر لا يعلم متى نزوله وفي أي مكان ينزل إلا الله سبحانه وتعالى .

فقد جاء من حديث عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَفَاتِيحُ الْعَيْبِ خَمْسٌ {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} .»^(١) .

فلا يعتمد على توقعات أحوال الطقس التي تذاق وإن وقع كما أخبروا به .

فعلى سبيل المثال : جرت العادة على أن الله ينزل المطر في وقت الخريف لكن لا يعتقد لهذا الوقت تأثيراً أو سبباً فقد ينزل المطر في الخريف وقد لا ينزل وهكذا الطقس .

قال العلامة ابن عثيمين : (في عصرنا الحاضر يعلق المطر بالضغط الجوي والمنخفض الجوي، وهذا وإن كان قد يكون سبباً حقيقياً، ولكن لا يفتح هذا الباب للناس، بل الواجب أن يقال: هذا من رحمة الله، هذا من فضله ونعمه، قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ} [النور : ٤٣] وقال تعالى: {اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ} [الروم : ٤٨]. فتعلق المطر بالمنخفضات الجوية من الأمور الجاهلية التي تصرف الإنسان عن تعلقه بربه.

فذهبت أنواع الجاهلية، وجاءت المنخفضات الجوية، وما أشبه ذلك من الأقوال التي تصرف الإنسان عن ربه - سبحانه وتعالى - . نعم، المنخفضات الجوية قد تكون سبباً لنزول المطر، لكن ليست هي المؤثر بنفسها، فتنبه (٢) اهـ

وكما تقدم أن كل ذلك بتقدير الله عز وجل وهو الذي جعل لكل شيء سبباً وللمسألة مزيد بيان في باب الكهانة إن شاء الله تعالى .

(١) البخاري (٤٣٥١/٩٩٢) .

(٢) انظر القول المفيد (١/٥٦٨-٥٦٩) .

إشكال آخر جوابه:

قد يقول قائل: إنزال المطر مختص بالله جل وعلا فكيف يستطيعون إنزال المطر من السحاب بما يسمى بالمطر الصناعي؟

الجواب : هذا غير صحيح، فإنهم لا ينزلون المطر؛ لأن إنزال المطر من خصائص الله ، فالسحابة لا تنزل المطر إلا بأمر الله وعلى بلد إرادته الله وعلى حسب ما تقتضيه حكمة الله قال تعالى : ﴿أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ﴾ [الواقعة : ٦٩]

ففي الآية سؤال استنكاري كقوله تعالى : ﴿أَعَلَّهُ مَعَ اللَّهِ﴾ استفهام إنكاري إبطالي أي ما بعد الاستفهام غير واقع ولا حاصل.

و غاية ما عندهم أنهم يبخرون ماءً ثم ينزل ذلك البخار ماءً قليلاً سرعان ما ينفد، فكم عساهم يبخرون فإذا كان كذلك فإنهم لم يصنعوا شيئاً .

المبحث الرابع : الشرك في الأيمان (الحلف)

تعريف اليمين :

لغة: القسم والجمع أيمن وأيمان، قيل إنما سميت بذلك لأنهم كانوا إذا تحالفوا ضرب كل امرئ منهم بيمينه على يمين صاحبه .. واليمين يمين الإنسان وغيره اهـ^(١)

اصطلاحاً: عرفه العلامة ابن عثيمين - رحمه الله - بقوله : هو تأكيد الشيء بذكر معظم بصيغة مخصوصة بالباء والتاء والواو اهـ^(٢)

وقال البغوي - رحمه الله - : واليمين إنما تنعقد بأحد أسماء الله أو صفة من صفاته كعزة الله ونحوها وإباحة ذلك مجمع عليه اهـ

وأجمعوا أيضاً على تحريم الحلف بغير الله وهو من أكبر الكبائر بل هو شرك، وقد يكون مخرجاً من الملة كما سيأتي .

وبما أن اليمين مشتمل على التعظيم فإن التعظيم عبادة لا تكون إلا لله تعالى، فإذا صرف اليمين لغير الله صار شركاً .

أقسام اليمين :

١- اليمين الشرعية : وهي أن يحلف العبد بأحد أسماء الله أو بصفة من صفاته ، بأحد أحرف القسم الثلاثة وهي الواو والباء والتاء .

قال الشيخ عبدالله العجلان :- [اليمين الشرعي هي اليمين بالله وحده وصفاته ، أن تقول والله وبالله وتالله لأفعلن كذا أو لا أفعل كذا] اهـ^(٣)

٢- اليمين المحرمة : وهي الحلف بالله كذباً أو فجوراً أو استخفافاً بأن يُكثر من اليمين. ويدخل تحت هذا القسم اليمين الشركية وهي أعظمها وسيأتي لها قسم خاص، أما اليمين الغموس فهي اليمين كذباً وهي التي تغمس صاحبها في الإثم لما جاء من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الكبائر الإشراف بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس »^(٤) .

(١) مختار الصحاح (ص: ٧٤٥) ، فتح الباري (١١/ ٩٢٩) .

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد - (٢ / ٢١٣)

(٣) أخطاء في العقيدة (ص: ٣٧) .

(٤) البخاري (١١/ ٤٨٢-٤٨٣) .

أما اليمين الفاجرة فهي التي يأخذ بها صاحبها حق غيره ظلماً ، وهي أيضاً من اليمين الغموس ، فقد ثبت من حديث ابن مسعود- رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من حلف على يمين هو فيها فاجر يقتطع بها مال امرئ مسلم ، لقي الله وهو عليه غضبان »^(١).

والإكثار من الأيمان فيه استخفاف واستهانة باليمين ، والإكثار منها من صفات المنافقين ، لما جاء من حديث سلمان - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، أشيمط زان وعائل مستكبر ورجل جعل الله بضاعته لا يشتري إلا بيمينه ولا يبيع إلا بيمينه »^(٢)

قال العلامة ابن عثيمين في شرحه لهذا الحديث : (قوله: "جعل الله بضاعته"، ومعناها: أنه كلما اشترى حلف، وكلما باع حلف طلباً للكسب، واستحق هذه العقوبة؛ لأنه إن كان صادقاً؛ فكثرة أيمانه تشعر باستخفافه واستهانتة باليمين ومخالفته قوله تعالى: {وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ} ١ وإن كان كاذباً جمع بين أربعة أمور محذورة:

١- استهانتة باليمين ومخالفته أمر الله بحفظ اليمين.

٢- كذبه.

٣- أكله المال بالباطل.

٤- أن يمينه يمين غموس) اهـ^(٣)

وقال الشيخ عبدالرحمن آل الشيخ : " قوله : (ورجل جعل الله بضاعته) بنصب الاسم الشريف أي الحلف به جعله بضاعته لملازمته له وغلبته عليه وهذه أعمال تدل على أن صاحبها إن كان موحداً فتوحده ضعيف وأعماله ضعيفة بحسب ما قام بقلبه وظهر على لسانه وعمله من تلك المعاصي العظيمة على قلة الداعي إليها نسأل الله السلامة والعافية نعوذ بالله من كل عمل لا يحبه ربنا ولا يرضاه" اهـ^(٤)

فيجب على العبد إذا حلف أن يكون صادقاً وصريحاً في حلفه وليبتعد عن التحايل في اليمين ، فالبعض يحلف لشخص على شيء وفي نيته شيء و مغزى آخر، أو يأتي بألفاظ مشتبهة لا يميز بينها المستحلف فيظن أنه قد أمضى يمينه وخرج مما عليه ،وقد جاء عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-

« أَلَيْمِينُ عَلَى نِيَّةِ الْمُسْتَحْلِفِ ». وفي رواية : « يَمِينُكَ عَلَى مَا يُصَدِّقُكَ عَلَيْهِ صَاحِبُكَ ». وَقَالَ عَمْرُو « يُصَدِّقُكَ بِهِ صَاحِبُكَ ». «^(٥)

فإن الحلف يكون على ما أراد المُستحلف لا على ما أراد الحالف ونواه.

(١)متفق عليه ، البخاري (٢٣٥٧) ، مسلم (١٣٨).

(٢)رواه الطبراني وصححه الألباني (٣٠٧٢) وأصله في مسلم (١٠٦) .

(٣)القول المفيد على كتاب التوحيد - (٢ / ٤٦٢)

(٤)فتح المجيد شرح كتاب التوحيد - (١ / ٤٧٧)

(٥)مسلم كتاب الأيمان (١٦٥٣) .

وهناك أفعال يشترطها المستحلف أثناء اليمين وهي محدثة :

منها : أن يلزموا الحالف بوضع كفه في المصحف، أو يحلف وهو متوضئ ، أو بين المسمورة والمنقورة^(١) ونحو هذه الأفعال التي لا أصل لها في الشرع، إذ لم يعملها السلف الصالح - رضوان الله عليهم - فإن خير الهدى هدى النبي - صلى الله عليه وسلم - ، ومنهج السلف الصالح.

٣- اليمين الشركية : وهي أن يحلف الرجل بغير الله أو بشيء مع الله كأن يحلف بالأمانة أو بالنبي أو بالكعبة أو بالدين أو بالملائكة أو بالأولياء والصالحين أو بالأبائ أو بالشرف أو بملة غير الإسلام أو بالأشجار أو بالأحجار أو بالطواغيت ونحو ذلك .

وحكم هذه الأيمان على حسب ما يقوم في القلب من التعظيم، فقد يكون شركاً أكبر وقد يكون أصغر كما يلي:

أقسام اليمين الشركية :-

قال العلامة ابن عثيمين : (واليمين الشركية فيها نوعان من الشرك) :

١- شرك أكبر : وهو أن يعتقد الحالف بأن المُقَسَم به بمنزلة الله في العظمة .

٢- شرك أصغر : وهو أن لا يعتقد أن المُقَسَم به بمنزلة الله في العظمة اهـ^(٢)

والقسم الثاني هو الأكثر انتشاراً من الأول وهو الأصل في اليمين الشركية إلا أن يقترن بتعظيم المحلوف به كتعظيم الله أو أشد فيصير شركاً أكبر .

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : (قال العلماء : السر في النهي عن الحلف بغير الله أن الحلف بالشيء يقتضي تعظيمه والعظمة في الحقيقة إنما هي لله وحده ، .. وقال الماوردي لا يجوز لأحد أن يُحَلِّف أحداً بغير الله لا بطلاق ولا عتاق ولا نذر ، وإذا حَلَّف الحاكم أحداً بشيءٍ من ذلك وجب عزله لجهله اهـ^(٣) .

ومن علامات الشرك الأكبر في اليمين أن الشخص إذا ما طُلب منه اليمين بالله حلف ولا يبالي ، سواء كان صادقاً أو كاذباً ، وإذا طُلب منه أن يحلف بشيخه أو بمن يعظمه أو بالأمانة تلكاً وتلعثم وأحجم عن اليمين .

ومما ينبغي أن ننبه عليه أنه قد يحصل اليمين الشركي من خلال التوسل الممنوع^(٤) من حيث أنه يصير يميناً وإن كان الأصل في التوسل الممنوع أنه محدث وبدعة لكن قد يجتمع فيه محذوران ، وهما الشرك والبدعة .

(١) المسمورة والمنقورة صخرتان في عمودين في المسجد الكبير في صنعاء .

(٢) القول المفيد (٢/٤٧٧) .

(٣) فتح الباري - ابن حجر - (١١ / ٥٣١ - ٥٣٢)

(٤) التوسل قسمان : مشروع وممنوع.

فأما المشروع: فهو التوسل بأسماء الله وصفاته: كأن يقول يا رحيم ارحمنا يا رزاق ارزقنا ودليله قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]

- أو بصفة من صفاته كأن يقول: اللهم برحمتك ارحمني ودليله قوله تعالى: ﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [يونس: ٨٦]

- أو يدعو الله بعمل صالح أخلص فيه الله كما حصل لأصحاب الغار ودليله من القرآن قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا

ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣]

قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية وأما التوسل بالنبي -صلى الله عليه وسلم- في الدعاء كأن يقول : الداعي بحق نبيك فهذا محذور من وجهين :

الأول : أنه قسم بغير الله ، وهذا شرك .

الثاني : اعتقاده أن لأحد على الله حقا ، وليس لأحد حق على الله إلا ما أحقه الله على نفسه . اهـ^(١)

وأما قول بعضهم (لعمر كذا - أو لعمر كذا ونحو ذلك) إن قصد بها اليمين فهو حلف بغير الله لا يجوز ، وإن لم يقصد يمينا كما يفعل بعض الشعراء فلا بأس به والله أعلم .

مظاهر شركية منتشرة في الإيمان :

الحلف بغير الله من أكبر الكبائر التي توبق الإنسان وهومن الشرك بالله كما تقدم فقد جاء من حديث عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم- قال : « من حلف بغير الله فقد أشرك »^(٢) .

فلا يجوز للإنسان أن يحلف إلا بالله أو ليصمت لما جاء من حديث عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - و جاء عن عمر - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم- قال: « من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت »^(٣)

- فمن الإيمان الشركية الحلف بالأمانة ، وهي الأكثر انتشاراً بين الناس ، لا سيما التجار فقد جعلوها بضاعتهم ، وقد جاء في ذلك حديث صحيح صريح ، وفيه وعيد شديد في حق من حلف بالأمانة، فعن بريدة رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من حلف بالأمانة فليس منا »^(٤) .

- ومن الإيمان الشركية الحلف بملة غير الإسلام ومن صيغها ما يتلفظ به بعض العوام بقوله : هو يهودي أو نصراني ليفعلن كذا، وهذا لا يجوز لأنه حلف بغير الله ، وتعظيم غير ملة الإسلام، وإساءة إلى الدين وقد أكرم الله المسلم بالإسلام ، وأبعد اليهودي والنصراني بالطرده من رحمته ، ومن صيغها أن بعضهم يقسم بالملة اليهودية أو النصرانية أنه سيفعل كذا نعوذ بالله من ذلك .

- ومنه التوسل بدعاء الرجل الصالح بشرط أن يكون حياً حاضراً وهو أن يطلب رجل من آخر أن يدعو الله له فقد كانوا يتوسلون بدعاء النبي - صلى الله عليه وسلم- فلما مات تركوا ذلك وتوسلوا بدعاء عمه العباس رضي الله عنه كما جاء في حديث أنس أن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، كان إذا فحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب ، فقال : اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِبَيْبِنَا فَتَسْقِينَا وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا قَالَ فَيُسْقَوْنَ. رواه البخاري.

وأما التوسل الممنوع فهو التوسل إلى الله بالأنبياء والأولياء والصالحين ، فجعل النبي أو الولي وسيلة للشفاء أو الرزق ممنوع ، كأن يقول اللهم اشفني أو ارزقني بجاه النبي أو الولي فلان فهذا التوسل ممنوع بل هو توسل مبتدع لا أصل له في الشرع لأنهم يتخذونه وسائط بينهم وبين الله سبحانه وتعالى ، فالمسلم يرفع حاجته إلى الله تعالى مباشرة، فإنه سبحانه لا يحتاج إلى واسطة فإنه يعلم السر وأخفى وقد وسع سمعه الأصوات قال تعالى : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦] وهذا العمل فيه شبه بأفعال المشركين إذ جعلوا أصنامهم وسائط بينهم وبين الله سبحانه وتعالى كما قال تعالى عنهم : ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣] وانظر فتاوى اللجنة الدائمة (١٥٠٨/١) رقم (٣٦٢٧) .

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص: ٢٦٣) .

(٢) رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١٠٦٧/٢) .

(٣) البخاري كتاب الإيمان والنذور (٨/٤) .

(٤) رواه أبو داود وصححه الألباني والشيخ مقبل في الصحيح المسند (١٨٤/١) .

فقد روى الإمام مسلم من حديث ثابت بن الضحاك - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « من حلف على يمين بملة غير الإسلام كاذباً فهو كما قال »^(١)

فمن قال هو يهودي أنه فعل كذا ، وهو كاذب، فيخشى عليه من الكفر ، وإن كان صادقاً فلن يعود إلى الإسلام سالمًا بمعنى أنه خدش في توحيده .

فقد جاء من حديث بريدة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من حلف وقال إني بريء من الإسلام فإن كان كاذباً فهو كما قال وإن كان صادقاً فلن يرجع إلى الإسلام سالمًا »^(٢).

- ومن شرك الأيمان الحلف بالأبء، فقد جاء من حديث عبدالرحمن بن سمرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لا تحلفوا بالطواغيت ولا بأبائكم »^(٣) ، ففيه النهي عن الحلف بالأبء، والنهي في اللغة يقتضي التحريم وأما كونه شركاً فمن أحاديث أخرى قد تقدم بعضها .

- ومن الأيمان الشركية الحلف بالكعبة، لما جاء من حديث قتيلة - رضي الله عنه - أن يهودياً أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : إنكم تشركون تقولون ما شاء الله وشئت ، وتقولون والكعبة ، فأمرهم النبي - صلى الله عليه وسلم - : « إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا : ورب الكعبة وأن يقولوا : ما شاء الله ثم شئت »^(٤) .

والأدلة في تحريم الحلف بغير الله كثيرة فيجب اجتنابها وحفظ اللسان من الألفاظ والأيمان الشركية كما قال تعالى : ﴿ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ﴾ [المائدة: ٨٩] .

شبهات والردود عليها:

- فإن قال قائل : إن الله سبحانه وتعالى قد أقسم بكثير من مخلوقاته كالشمس والقمر والسماء والأرض وغير ذلك أجيب عليه: بأن الله ((لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ)) [الأنبياء : ٢٣] والله تعالى يقسم بهذه المخلوقات العظيمة الدالة على عظمته، وأما المخلوق فقد نهاه عن الحلف بغير الله فلا حجة لأحدٍ بهذا .

- ومن الناس من إذا ما نصح بترك الأيمان الشركية يتعلل بقوله: قد تعودت عليها ألسنتنا فصارت سجية ، فيرد عليه بأن هذا دليل على ضعف الإيمان والتوحيد و عدم مجاهدة النفس، وإلا فإنه لو تمكن التوحيد في القلب فإن اللسان لا يستطيع أن يتلفظ بالشرك.

قال صاحب كتاب الشرح الميسر: "إذا قامت الأقوال والأعمال على ساق التوحيد أثمرت وأينعت وآتت أكلها وعادت بالخير والبركة على صاحبها في الدنيا والآخرة، أما إذا خالطت الأقوال والأعمال شائبة من شرك كدرت صفوها، وسلبتها خيرها وعادت وبالأ ونكالا على صاحبها في الدنيا والآخرة، وليس هناك أحسر ولا أخسر على العبد من أن يوافي ربه يوم القيامة بأعمال أمثال الجبال خالطها الشرك فيجعلها الله هباءً منثوراً" اهـ^(٥)

(١) مسلم كتاب الأيمان (١٠١) .

(٢) أخرجه أبو داود (٣٢٥٨) وغيره وصححه الألباني.

(٣) مسلم (٦٤٨) .

(٤) رواه النسائي وصححه الألباني و الشيخ مقبل في الصحيح المسند (٥١٥ / ٢) .

(٥) كتاب الشرح الميسر لكتاب التوحيد - (١ / ٧٩)

- ومنهم من يعاند فيحلف بغير الله ويقول: إن هذا من لغو اليمين، وهذا غير صحيح ، فإن لغو اليمين أن يقول الرجل: لا والله وبلى والله أو يحلف على شيء يظنه حقا فينتبين خلافه .

قال العلامة السعدي في تفسير قوله تعالى : (لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ) الآية [المائدة : ٨٩] : هو كقول الرجل : لا والله بلى والله أو يحلف بالله على أمر ماضٍ ويظن صدق نفسه فيه ولا يتعمد فهذا لا يؤاخذ" اهـ^(١) .

وقد جاء عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: أنزلت هذه الآية {لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ} في قول الرجل لَا وَاللَّهِ وَبَلَى وَاللَّهِ" ^(٢)

- ومنهم من يحتج بقوله: إن الأمانة أبت حملها السماوات والأرض والجبال فكيف لا نحلف بها؟!!

الرد عليهم : بأن هذا القول باطل وفيه تعظيم للأمانة قد يصل إلى الشرك الأكبر ، فإن الله كلف الإنسان بحمل الأمانة ولم يكلفه بالحلف بها، بل نهى الشرع عن الحلف بها كما تقدم ، والأمانة التي كلف الإنسان بحملها هي الدين كله وليست محصورةً بالودائع كما يفهم البعض بل هي أعم من ذلك .

- ومنهم من يقول : نحلف بهذه الأشياء خير من أن نكثر الحلف بالله فنقع في المحذور، وهذا في الحقيقة نسي أنه وقع في محذور أكبر من الذي فر منه وهو الشرك ، فهذه التعليقات والأعذار لم ينزل الله بها من سلطان ولا تنفع صاحبها

قال ابن مسعود - رضي الله عنه - : (لأن أحلف بالله كاذباً خير من أن أحلف بغيره صادقاً) ^(٣) .

وذلك لأن الكذب كبيرة بينما الحلف بغير الله شرك، وكلاهما محرم إلا أن معصية الشرك أكبر من معصية الكذب.

قال ابن عثيمين : فابن مسعود - رضي الله عنه - لا يحب هذا ولا هذا ولكن الحلف بالله كاذباً أهون عليه من الحلف بغيره صادقاً اهـ^(٤) .

وليس معنى هذا أن العبد يتهاون في الحلف بالله، فإن ابن مسعود - رضي الله عنه - يريد أن يبين خطر الشرك ، فبعض الناس لا يبالي أن يحلف بالله صادقاً أم كاذباً، وقد تقدم أن هذا لا يجوز وأنه من صفات المنافقين، وأنه دليل على ضعف الإيمان وضعف تعظيم الله، فالموحد لا يحلف إلا بالله، ولا يحلف إلا على شيء مهم فلا يكثر من الأيمان، وأن لا يحلف إلا وهو صادق .

فقد ثبت عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الله جل ذكره أذن لي أن أحدث عن ديك قد مرقت رجلاه الأرض وعنقه مثني تحت العرش وهو يقول سبحانك ما أعظمك ربنا فيرد عليه (ما علم ذلك من حلف بي كاذباً)" ^(٥)

(١) تفسير السعدي (ص: ١١٠) .

(٢) البخاري (٤٧٦) .

(٣) رواه الطبراني في الكبير (٨٩٠٢) ، وصححه الألباني.

(٤) القول المفيد (٤٨١/٢) بتصرف .

(٥) رواه الطبراني والحاكم وصححه الألباني.

قال الشيخ عبدالرحمن آل الشيخ : "ولذلك نرى أكثر العامة يحلفون بالله كذبا غيرمبالين ،وإذا استحلّفوا بمن يعظّمونه من الموتى والأولياء ويعتقدون له السر والتصرف تلعثموا وصدقوا، وإن كان في ذلك ذهاب بعض ما يحرصون عليه من منفعة يضحون بها خوفا من عقاب أو انتقام وتصرف ذلك الولي" اهـ^(١)

قلت : وهذه علامة على تعظيم الحالف للمحلف به من غير الله وذلك هو الشرك الأكبر .

فليس لأحد بعد هذه الأدلة القاطعة والبراهين والحجج الساطعة أن يحلف بغير الله {فماذا بعد الحق إلا الضلال} فيجب على المسلم أن يحفظ يمينه من صرفها لغير الله وأن يحفظها من الحنث فيها ، وأن يحفظها من كثرة الأيمان بالله تساهلاً بها ويدل على ذلك قوله تعالى : {وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ} [المائدة : ٨٩] .

وكفارة اليمين الشركية هي التوبة والإكثار من قول: (لا إله إلا الله) كلمة التوحيد فإنه كلما حلف العبد بغير الله يقدر ذلك في توحيده فينقضه أو ينقصه فيحتاج إلى تجديد التوحيد أو تكميله وذلك على حسب ما قام في قلبه من تعظيم المحلوف به. فقد جاء من حديث أبي هريرة ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "مَنْ حَلَفَ فِي حَلْفِهِ وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى فَلْيُقِلْ لَأ إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ تَعَالَ أَقَامِرَكَ فَلْيَتَصَدَّقْ . " (٢) وهذا عام سواء حلف باللات والعزى أو بغيرها مما تقدم ذكره .

قال ابن بطال - رحمه الله - عند حديث: (من حلف باللات والعزى فليقل : لا إله إلا الله) خشية منه عليه استدامة حاله على ما قال وقتنذ فينقض عليه الوعيد فيحبط عمله ، ويطبغ على قلبه لما قال من كلمة الكفر بعد الإيمان ، فتكون كلمة وافقت قدرًا فيزيين له سوء عمله فيراه حسنًا فيستديم ما قال ويصر عليه" اهـ^(٣) .

وقال صاحب كتاب كشف شبهات الصوفية: "ووجه ذلك أن الحالف بغير الله قد أتى بنوع من الشرك فكفارة ذلك أن يأتي بكلمة التوحيد عن صدق وإخلاص ليكفر بها ما وقع منه من الشرك" اهـ^(٤)

(١)فتح المجيد (٤٣١) .

(٢)البخاري (٤٥٧٩٩) مسلم (١٦٤٧) .

(٣)شرح صحيح البخارى - لابن بطال - (٢٨٩ / ٩) .

(٤)كشف شبهات الصوفية - (١ / ١٤٨) .

الفصل الرابع : الشرك في الألفاظ

المبحث الأول : من الشرك قول ما شاء الله وشئت .

من المظاهر الشركية ما انتشر على السنة كثير من الناس من الألفاظ التي فيها تسوية بين الخالق و المخلوق - سبحانه تعالى - في المشيئة والإرادة والاعتماد ونحو ذلك، كقول بعضهم : ما شاء الله وشئت، وأنا راكن على الله وعليك، وأنا عند الله وعندك ، وأشباه ذلك، وهذا من الشرك بالله شعروا أم لم يشعروا ، وسنبين في هذا المبحث حكم هذه المسألة بإذن الله رب العالمين .

والعمدة في هذه المسألة حديث قتيلة - رضي الله عنها- أن يهوديا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إنكم تنددون وإنكم تشركون تقولون ما شاء الله وشئت، وتقولون والكعبة فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا ورب الكعبة ويقولون ما شاء الله ثم شئت" (١) .

وحديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال رجلٌ للنبي صلى الله عليه وسلم : ما شاء الله وشئت! قال: " أجعلتني لله نداءً؟! بل ما شاء الله وحده" (٢) .

الفرق بين (الواو) و(ثم) :

قال الشيخ حافظ الحكمي - رحمه الله :- (العطف بالواو يقتضي المقارنة والتسوية ، فيكون من قال : ما شاء الله وشئت ، قارناً مشيئة العبد بمشيئة الله مسويًا بها ، بخلاف العطف بثم المقترضة للتبعية ، فمن قال : ما شاء الله ثم شئت ، فقد أقر بأن مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله تعالى ، لا تكون إلا بعدها ، كما قال تعالى : { وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ } ، وكذلك البقية (٣) .

فعلم أن قول: ما شاء الله وشئت شرك وذلك أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أقرّ اليهودي حينما قال: إنكم تشركون كما في حديث قتيلة - رضي الله عنها - وإنكاره صلى الله عليه وسلم على الذي قال له : ما شاء الله وشئت كما في حديث ابن عباس - رضي الله عنهما- كما تقدم .

قال الشيخ عبدالرحمن آل الشيخ : (وإن كان للعبد مشيئة فمشيئته تابعة لمشيئة الله ولا قدرة له على أن يشاء شيئاً إلا إذا كان الله قد شاءه كما قال تعالى : { لمن شاء منكم أن يستقيم * وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين {التكوير ٢٨، ٢٩} وقوله : ' { إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً * وما تشاؤون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليماً حكيماً { الإنسان ٢٩، ٣٠}

(١)النسائي (٣٧٧٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٢١٤) .

(٢)رواه النسائي وأحمد وغيرهما وصححه الألباني .

(٣)أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة - (١ / ٥٣) .

وفي هذه الآيات والأحاديث : الرد على القدرية والمعتزلة نفاة القدر الذين يثبتون للعبد مشيئة تخالف ما أَرَادَهُ اللهُ تعالى من العبد وشاءه.. " اهـ^(١) .

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله : في قوله: (إنكم تشركون تقولون ما شاء الله وشئت) هذا نص في أن هذا اللفظ من الشرك، لأن النبي صلى الله عليه وسلم أقر اليهودي على تسمية هذا اللفظ تنديداً أو شركاً، ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وأرشد إلى استعمال اللفظ البعيد من الشرك وهو قول: "ما شاء الله ثم شئت" وإن كان الأولى قول ما شاء الله وحده كما يدل عليه حديث ابن عباس وغيره وعلى النهي عن قول ما شاء الله وشئت جمهور العلماء.. " اهـ^(٢)

وقال الشيخ عثمان بن عبدالعزيز التميمي : قوله: "أجعلني لله نداً" وجه جعله إياه نداً حيث عطف مشيئة المخلوق وهي الجملة من الفعل والفاعل يعني (وشئت) على مشيئة الخالق بواو التشريك؛ لأنه ليست مشيئة أحد مشيئة لله تعالى ولا مشيئة الله مستلزمه لمشيئة العباد، ما شاء الله كان وإن لم يشاء الناس وما شاء الناس لم يكن إذا لم يشأ الله تعالى " اهـ^(٣)

قال الشافعي - رحمه الله :-

ما شئتَ كان وإن لم أشأ وما شئتُ إن لم تشأ لم يكن

وقال ابن القيم - رحمه الله - : "وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْقَائِلِ لِلْمَخْلُوقِ : مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتُ ، كَمَا تَبَيَّنَ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ لَهُ رَجُلٌ : مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتُ ، فَقَالَ : أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًّا ؟ قُلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ .

هَذَا مَعَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَثْبَتَ لِلْعَبْدِ مَشِيئَةً ، كَقَوْلِهِ : {لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ} [سُورَةُ التَّكْوِينِ : ٢٨] .

فَكَيْفَ بِمَنْ يَقُولُ : أَنَا مُتَوَكِّلٌ عَلَى اللَّهِ وَعَلَيْكَ ، وَأَنَا فِي حَسْبِ اللَّهِ وَحَسْبِكَ ، وَمَا لِي إِلَّا اللَّهُ وَأَنْتَ ، وَهَذَا مِنْ اللَّهِ وَمِنْكَ ، وَهَذَا مِنْ بَرَكَاتِ اللَّهِ وَبَرَكَاتِكَ ، وَاللَّهُ لِي فِي السَّمَاءِ وَأَنْتَ فِي الْأَرْضِ .

أَوْ يَقُولُ : وَاللَّهِ ، وَحَيَاةِ فَلَانٍ ، أَوْ يَقُولُ نَذْرًا لِلَّهِ وَفُلَانٍ ، وَأَنَا تَائِبٌ لِلَّهِ وَفُلَانٍ ، أَوْ أَرْجُو اللَّهَ وَفُلَانًا ، وَنَحْوَ ذَلِكَ .

فَوَازِرٌ بَيْنَ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ وَبَيْنَ قَوْلِ الْقَائِلِ : مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتُ . ثُمَّ انْظُرْ أَيُّهُمَا أَفْحَشُ ، يَبْيِّنُ لَكَ أَنَّ قَائِلَهَا أَوْلَى بِجَوَابِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِقَائِلِ تِلْكَ الْكَلِمَةِ ، وَأَنَّهُ إِذَا كَانَ قَدْ جَعَلَهُ نِدًّا لِلَّهِ بِهَا ، فَهَذَا قَدْ جَعَلَ مَنْ لَا يُدَانِي رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ - بَلْ لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَعْدَائِهِ- نِدًّا لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، فَالسُّجُودُ ، وَالْعِبَادَةُ ، وَالتَّوَكُّلُ ، وَالْإِنَابَةُ ، وَالتَّقْوَى ، وَالْحَشْيَةُ ، وَالْحَسْبُ ، وَالتَّوْبَةُ ، وَالنَّذْرُ ، وَالْحَلْفُ ، وَالتَّسْبِيحُ ، وَالتَّكْبِيرُ ، وَالتَّهْلِيلُ ، وَالتَّحْمِيدُ ، وَالِاسْتِغْفَارُ ، وَحَلْقُ الرَّأْسِ خُضُوعًا وَتَعَبُّدًا ، وَالطَّوَافُ بِالْبَيْتِ ، وَالدُّعَاءُ ، كُلُّ ذَلِكَ مَحْضُ حَقِّ اللَّهِ ، لَا يَصْلُحُ وَلَا يَنْبَغِي لِسِوَاهُ : مِنْ مَلِكٍ مُقَرَّبٍ وَلَا نَبِيٍّ مُرْسَلٍ. " اهـ^(٤)

(١)فتح المجيد مع القول المفيد (٧٣٧) .

(٢)تيسير العزيز الحميد (ص:٥٩٩) .

(٣)فتح الحميد (١٧٤٦/٤) .

(٤) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي وانظر الداء والدواء (١٦٨) .

أنواع الشرك في هذه الألفاظ :

إذا قال العبد مثل هذه الألفاظ : بواو التشريك والتسوية معتقداً تعظيم المعطوف من المخلوق مثل تعظيم الله أو أشد فهو الشرك الأكبر وإن لم يعتقد ذلك فهو الشرك الأصغر .

قال ابن عثيمين - رحمه الله - : والعلة في ذلك أن الواو تقتضي تسوية المعطوف بالمعطوف عليه؛ فيكون القائل: ما شاء الله وشئت؛ مسويًا مشيئة الله بمشيئة المخلوق، وهذا شرك، ثم إن اعتقد أن المخلوق أعظم من الخالق، أو أنه مساوٍ له فهو شرك أكبر، وإن اعتقد أنه أقل؛ فهو شرك أصغر^(١) .

إشكالان وجوابهما :

الإشكال الأول :

قد يقول قائل : ما الجمع بين أحاديث النهي عن العطف بالواو وبين قوله تعالى : { وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ } [التوبة: ٧٤]

وقوله تعالى : { وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ "الآية الأحزاب : ٣٧

وحديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قَالَ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالصَّدَقَةِ فَقِيلَ مَنْعَ ابْنِ جَمِيلٍ وَخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَا يَنْقُمُ ابْنُ جَمِيلٍ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ فَقِيرًا فَأَغْنَاهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَأَمَّا خَالِدٌ فَإِنَّكُمْ تَظْلُمُونَ خَالِدًا قَدِ احْتَبَسَ أَدْرَاعَهُ وَأَعْتَدَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَمَّا الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَعَمَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهِيَ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ وَمِثْلُهَا مَعَهَا . (٢)

فقد جاء العطف بالواو في الأدلة المتقدمة !؟

الجواب : قال الشيخ سليمان بن عبدالله : (البعض يقول : بجواز ذلك كما حكي عن أبي جعفر الداودي ، احتجاجاً بهذه الآية .

والصواب أنه لا يجوز؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم أنكر ذلك وقال : لمن قال له ذلك : (أجعلتني لله نداً) وأقر اليهودي على تسميته شركاً وتنديداً ، ومن المحال أن يكون هذا أمراً جائزاً ، وأما من احتج من القرآن فقد ذكروا عن ذلك وجهين :

أحدهما : أن ذلك لله وحده لا شريك له كما أنه تعالى يقسم بما شاء من مخلوقاته ، فكذلك هذا .

الثاني : أن قوله : (ما شاء الله وشئت) ، تشريك في مشيئة الله ، وأما الآية فأخبر عن فعلين متغايرين فأخبر تعالى أنه أغناهم ورسوله أغناهم، وهو من الله حقيقة؛ لأنه الذي قدر ذلك ومن الرسول صلى الله عليه وسلم حقيقة باعتبار تعاطي الفعل ، وكذلك الإنعام أنعم الله تعالى على - زيد رضي الله عنه - بالإسلام وعلى النبي

(١) القول المفيد (٢/٢٤٨).

(٢) متفق عليه واللفظ للبخاري. البخاري (٢/٥٣٤) مسلم (٢/٦٧٦) .

صلى الله عليه وسلم بالعنق ،وهو بخلاف المشاركة في الفعل الواحد ، فالكلام إنما هو فيه ، والمن إنما هو منه اهـ (١)

وأما حديث أبي هريرة:

قال الشيخ عثمان بن عبدالعزيز التميمي : عند قوله : (أغناه الله ورسوله) : (إنما عطف النبي صلى الله عليه وسلم نفسه بالواو على الله لكونه سبباً لإسلامه وصيرورته غنياً بما أباح الله من الغنائم فليس مما نحن فيه) اهـ (٢)

الإشكال الثاني :

قد يقول قائل : ذكر النحاة أن (ثم) تقتضي اشتراك المعطوف والمعطوف عليه بالحكم ، فلماذا جاز ذلك بـ(ثم) ولم يجز بـ(الواو) ؟

الجواب : قال الشيخ سليمان بن عبدالله : غاية ما يقال : أن (ثم) تقتضي الترتيب بخلاف (الواو) فإنها تقتضي مطلق الجمع ، وهذا لا يغير صورة الاشتراك قبل النهي عن ذلك ، إنما هو إذا أتى بصورة التشريك جميعاً، وهذا لا يحصل إلا (بالواو) بخلاف (ثم) فإنها لا تقتضي الجمع إنما تقتضي الترتيب ، فإذا أتى بها زالت صورة التشريك والجمع في اللفظ، وأما المعنى فله ما يختص به من المشيئة وللمخلوق ما يختص به "اهـ (٣).

فالخلاصة : أن (الواو) تقتضي التشريك والتسوية، بخلاف (ثم) فإنها لا تقتضي التسوية بل تقتضي التبعية.

مسألة: متى يجوز العطف بـ(ثم) في هذه المسائل؟

الجواب: هذه القاعدة ليست على إطلاقها وإنما يعطف بها في الشيء الذي يكون في مقدور الإنسان وبما يليق به . فلا يقال في غائب أو ميت أو عاجز شاء الله ثم شاء فلان أو راكن على الله ثم على فلان، أو هذه العبادة لله ثم لفلان، فهذا مما يختص به الله سبحانه وتعالى.

وأما قول بعضهم: توكلت على الله ثم على فلان ، فالصحيح أنها لا تجوز . لأن حقيقة التوكل هو صدق اعتماد القلب على الله، وألحق بعضهم الركون بالتوكل فقالوا لا يصلح أن يقول العبد أنا راكن على الله ثم عليك ؛ لأن الركون فيه شيء من اعتماد القلب وافتقاره على الغير، فالأولى اجتنابها واستبدالها بغيرها كقول القائل :مالي إلا الله ثم أنت والله أعلم.

وأما ما كانت عبادة محضة فهي خاصة بالله تعالى ، فلا يجوز إطلاقها للخالق والمخلوق ولو على سبيل الترتيب والتبعية كالتوكل والنذر ونحو ذلك، فلا يجوز أن يقال : هذا النذر لله ثم لفلان ونحو ذلك؛ لأن هذا حق محض لله تعالى وصرفها لغير الله شرك.

قال الشيخ عبدالرحمن آل الشيخ : " وقد تقدم الفرق بين ما يجوز وما لا يجوز من ذلك هذا إنما هو في الحي الحاضر الذي له قدرة وسبب في الشيء، وهو الذي يجري في حقه مثل ذلك، وأما في حق الأموات الذين لا

(١) انظر تيسير العزيز الحميد (ص: ٥٥٩) .

(٢) انظر فتح الحميد (١٧٤/٤) .

(٣) انظر تيسير العزيز الحميد (ص: ٦٠٠) .

إحساس لهم بمن يدعوهم ولا قدرة لهم على نفع ولا ضرر، فلا يقال في حقهم شيء من ذلك، فلا يجوز التعلق عليه بشيء ما بوجه من الوجوه" اهـ^(١)

وقال أيضا: "والعبد وإن كانت له مشيئة فمشيئته تابعة لمشيئة الله ولا قدرة له على أن يشاء شيئا إلا إذا كان الله قد شاءه كما قال تعالى: ' : ' { لمن شاء منكم أن يستقيم * وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين } التكوير ٢٨- ٢٩ [وقوله تعالى: ' : ' { إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا * وما تشاؤون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما } الإنسان ٢٩ ٣٠] اهـ"^(٢)

وقوله: "لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ماشاء الله وحده" هذا على سبيل الاستحباب وإلا فيجوز أن يقول: ما شاء الله ثم شاء فلان كما جاء مبينا في حديث آخر كما تقدم"^(٣)

ومما تقدم يتبين لنا أنه لا يجوز تسوية أحد بالله تعالى في صفة من صفاته لا النبي صلى الله عليه وسلم ولا غيره حيث أنكروا على من قال له: "ما شاء الله وشئت"، فرد عليه بقوله: "أجعلتني لله ندا؟" أي شبيها ومساويا؟ فإذا كان كذلك فكيف بمن يقول:

(يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به ... سواك عند حلول الحادث العمم)

(إن لم تكن في معادي أخذا بيدي ... فضلا وإلا فقل : يا زلة القدم)^(٤)

(فإن من جودك الدنيا وضرتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم)^(٥)

وهذا الغلو في غاية الكفر والضلال، فإنه لم يجعل لله شيئا، والنبي صلى الله عليه وسلم من ذلك براء، وقد شرفه الله بكونه عبده ورسوله لا مجرد كونه محمد بن عبدالله"^(٦)

فإذا كانت الدنيا وضرتها وهي الآخرة من جود النبي صلى الله عليه وسلم فماذا أبقى لله تعالى؟!!

ثم إذا كان علم اللوح والقلم من علوم النبي صلى الله عليه وسلم و(من) للتبعيض فماذا أبقى لله تعالى؟!!

فهذه تسوية برب العالمين سبحانه وتعالى، فنعوذ بالله من الضلال ومن الغلو، وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من الغلو الإطراء فيه وهو رفعه فوق منزلته، كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سمع عمر، رضي الله عنه، يقول على المنبر سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " لا تُطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله"^(٧)

(١) فتح المجدد ص (٤٦٠)

(٢) المصدر السابق ص (١ / ٤٠٧)

(٣) انظر القول المفيد (٢/ ٢٤٨).

(٤) ملاحظة: هذا البيت مقدم في البردة على الأول بأربعة أبيات.

(٥) هذه القصيدة للبوصيري وهو رجل صوفي ملحد من شعراء الصوفية.

(٦) انظر فتح المجدد مع القول المفيد ص (٣ / ٧٤٣)

(٧) رواه البخاري

ومن الخطأ قول القائل:

شئنا وشاء الله *وحدة للأبد**

وهذا أعظم وأفحش من قول القائل: ما شاء الله وشئت لأنه قدم مشيئتهم على مشيئة الله سبحانه وتعالى، لكنه الجهل بالدين عند من يزعم العلم والثقافة!!

فتلخص مما سبق أن استخدام هذين الحرفين على مراتب:

١: مستحب: وهو أن يقول: ما شاء الله وحده وهو الأفضل.

٢: جائز: وهو أن يقول: ما شاء الله ثم شئت.

٣: شرك: وهو أن يقول: ما شاء الله وشئت، وأعظم من ذلك أن يقول شئت ثم شاء الله.

المبحث الثاني: الشرك في الأسماء الحسنى

من الشرك الإلحاد في أسماء الله تعالى:

قد يظن البعض أنه لا يوجد الشرك إلا في الألوهية ، فنقول: إن الشرك في الألوهية هو الأكثر انتشاراً، لكن ليس الشرك محصوراً فيه ، فقد حصل الشرك في جميع أقسام التوحيد الثلاثة بما فيه الربوبية والأسماء والصفات ، وقد انبرت طائفة لقسم الأسماء والصفات فعطلوا أسماء الله وصفاته فأشركوا بالله في هذا القسم كما سيأتي بيان ذلك في هذا المبحث إن شاء الله تعالى، وشرك الأسماء والصفات له أصل قديم ، إذ إنه صدر من المشركين الأوائل أهل الجاهلية ، وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى ذلك بقوله :

{ وَ لِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [الأعراف : ١٨٠]

قال المفسر ابن كثير- رحمه الله تعالى - في تفسير هذه الآية : " وقال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى: { وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ } قال: إلحاد الملحدين: أن دعوا اللات والعزى في أسماء الله.

وقال ابن جريج، عن مجاهد: { وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ } قال: اشتقوا "اللات" من الله، واشتقوا "العزى" من العزيز.

وقال قتادة: { يُلْحِدُونَ } يشركون.

وقال علي بن أبي طلحة،^(١) عن ابن عباس: الإلحاد: التكذيب. وأصل الإلحاد في كلام العرب: العدل عن القصد، والميل والجور والانحراف، ومنه اللحد في القبر، لانحرافه إلى جهة القبلة عن سمت الحفر" اهـ.^(٢)

قول قتادة يلحدون: يشركون وجاء عن ابن عباس - رضي الله عنهما- كذلك.

وقال ابن القيم - رحمه الله تعالى - :

وحقيقة الإلحاد فيها المي... ل بالإشراك والتعطيل والنكران.^(٣)

وقال - رحمه الله - : "فالإلحاد إما بجحدها وإنكارها وإما بجحد معانيها وتعطيلها وإما بتحريفها عن الصواب وإخراجها عن الحق بالتأويلات الباطلة وإما بجعلها أسماء لهذه المخلوقات المصنوعات كالإلحاد أهل الاتحاد فإنهم جعلوها أسماء هذا الكون محمودها ومذمومها حتى قال زعيمهم وهو المسمى بكل اسم ممدوح عقلاً وشرعاً وعرفاً وبكل اسم مذموم عقلاً وشرعاً وعرفاً، تعالى الله عما يقول الملحدون علواً كبيراً" اهـ.^(٤)

(١)رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس منقطعة.

(٢)تفسير القرآن العظيم لابن كثير / دار طيبة - (٣ / ٥١٥)

(٣)متن القصيدة التونسية لابن القيم - (١ / ٢١٦)

(٤)مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين - (١ / ٣٠)

وقال الشيخ عثمان التيمي - رحمه الله - : "ولما كان إنكارها وجدها من أعظم الإلحاد والكفر - إذ المعطل شر من المشرك - فإنه لا يستوي إنكار صفة الملك وحقيقة ملكه ، فالطعن في أوصافه هو أعظم من التشريك بينه وبين غيره ، فلولا تعطيل كماله أو بعضه وظن السوء به لما أشرك به" اهـ^(١) .

قلت : فاللذين وقعوا في هذا الشرك، هم أهل التعطيل من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة ومن نحا نحوهم وسار على منهجهم، وكلٌ بحسبه وعلى معتقده ومنهجه فقد انقسموا إلى فرق وطوائف متعددة، بعضهم أضل من بعض، وسيأتي بيان منهج هذه الطوائف في الأسماء والصفات وتفنيد معتقداتهم الفاسدة.

وقال ابن عثيمين رحمه الله في القواعد المثلى:

" القاعدة السابعة:

الإلحاد في أسماء الله تعالى هو الميل بها عما يجب فيها. وهو أنواع:

الأول: أن ينكر شيئاً منها أو مما دلت عليه من الصفات والأحكام، كما فعل أهل التعطيل من الجهمية وغيرهم. وإنما كان ذلك إلحاداً لوجوب الإيمان بها وبما دلت عليه من الأحكام والصفات اللانقطة بالله، فإنكار شيء من ذلك ميل بها عما يجب فيها.

الثاني: أن يجعلها دالة على صفات تشابه صفات المخلوقين، كما فعل أهل التشبيه، وذلك لأن التشبيه معنى باطل لا يمكن أن تدل عليه النصوص، بل هي دالة على بطلانه، فجعلها دالة عليه ميل بها عما يجب فيها.

الثالث: أن يسمى الله تعالى بما لم يسم به نفسه، كتسمية النصارى له: (الأب)، وتسمية الفلاسفة إياه (العلة الفاعلة)، وذلك لأن أسماء الله تعالى توقيفية، فتسمية الله تعالى بما لم يسم به نفسه ميل بها عما يجب فيها، كما أن هذه الأسماء التي سموه بها نفسها باطلة، ينزه الله تعالى عنها.

الرابع: أن يشتق من أسمائه أسماء للأصنام، كما فعل المشركون في اشتقاق العزى من العزيز، واشتقاق اللات من الإله على أحد القولين، فسموا بها أصنامهم، وذلك لأن أسماء الله تعالى مختصة به، لقوله تعالى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا}، وقوله: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ} وقوله: {لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} فكما اختص بالعبادة وبالألوهية الحق، وبأنه يسبح له ما في السماوات والأرض، فهو مختص بالأسماء الحسنى، فتسمية غيره بها على الوجه الذي يختص بالله عز وجل ميل بها عما يجب فيها.

والإلحاد بجميع أنواعه محرم، لأن الله تعالى هدّد الملحدین بقوله: {وَدَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}.

ومنه ما يكون شركاً أو كفرًا حسبما تقتضيه الأدلة الشرعية" اهـ^(٢) .

(١) انظر فتح الحميد (٤/١٦٣١-١٦٣٢) .

(٢) القواعد المثلى للعثيمين ص/ (٢٧)

بيان مناهج المعطلة للأسماء والصفات:

الفرق الضالة الذين وقعوا في هذا الشرك، كثيرة، منهم الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والماتريديّة والكلاية وغيرهم وتابعهم الرافضة وسنذكر مناهج الفرق الثلاث الأولى لكونها الأصل ومعتقدها هو الأكثر انتشاراً .

فالجهمية قالوا: ليس لله أسماء ولا صفات فقال بكفرهم كثير من العلماء .

والمعتزلة أثبتوا لله الأسماء وأنكروا الصفات، فقالوا: سميع بلا سمع وعليم بلا علم، فضللهم أهل العلم، فهم في عداد أهل البدع.

والأشاعرة أثبتوا لله الأسماء ونفوا الصفات إلا سبغاً وهي مجموعة في قول الشاعر:

حي مرید قادر علام *** له السمع والبصر والكلام.

ولم يثبتوها على الوجه اللائق بها وإنما أثبتوها على مضمض وتأويل غير لائق بالله تعالى، ففي كلام الله قالوا: هو كلام نفساني غير مشتمل على حرف وصوت، وإنما هو عبارة عما في نفس الله عبّر به جبريل - عليه السلام -، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

وكلهم أراد بذلك التنزيه فوقوا في مستنقع التعطيل، وذلك أنهم مروا بمرحلة التمثيل إذ قاسوها على صفات المخلوقين، فأرادوا أن ينزهوا الله عن صفات المخلوقين فعطلوا أسماءه وصفاته، فكل معطل ممثّل، وكل ممثّل معطل، فلما حكموا عقولهم وابتعدوا عن كتاب ربهم وسنة نبيهم ضلوا وزاغوا فأزاغ الله قلوبهم، وكل من حكم هواه وجانب النصوص فإن الانحراف قرينه، وهذا هو جزاء من ترك الحق وراء ظهره واتبع هواه وكان أمره فرطاً، فأهل البدع يريدون ببدعهم خيراً، لكنهم يجنون شراً، لأنهم تركوا الدليل فضلوا عن سواء السبيل.

قال ابن مسعود - رضي الله عنه -: "كم من مرید للخير لن يصيبه"^(١)

وأما أهل السنة والجماعة فإنهم أثبتوا لله ما أثبتته لنفسه وأثبتته له رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء والصفات ونفوا عن الله ما نفاه عن نفسه ونفاه عنه رسوله، بلا زيادة ولا نقصان، وبلا تحريف ولا تعطيل ولا تكيف ولا تمثيل ولا تفويض.

فصفاته عز وجل معلومة لنا باعتبار المعنى ومجهولة باعتبار الكيفية إذ لا يعلم كيفيتها إلا الله سبحانه وتعالى.

قال الشيخ عبدالرحمن آل الشيخ - رحمه الله -: "والذي عليه أهل السنة والجماعة قاطبة متقدمهم ومتأخرهم: إثبات الصفات التي وصف الله بها نفسه ووصفه بها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما يليق بجلال الله وعظمته إثباتاً بلا تمثيل وتنزيهاً بلا تعطيل كما قال تعالى: { ليس كمثله شيء وهو السميع البصير } [الشورى: ١١] وأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات يحتذى حذوه ومثاله، فكما أنه يجب العلم بأن الله ذاتاً حقيقة لا تشبه شيئاً من ذوات المخلوقين فله صفات حقيقة لا تشبه شيئاً من صفات المخلوقين فمن جحد شيئاً مما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله أو تأوله على غير ما ظهر من معناه فهو جهمي قد اتبع غير سبيل

(١) أخرجه الدارمي وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٢٠٠٥)

المؤمنين كما قال تعالى : { ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا } [النساء : ١١٥] "اهـ (١)

فجميع فرق المعطلة مشركون في باب الأسماء والصفات وكلٌ بحسبه .

قال الشيخ عثمان التميمي - رحمه الله - : الشرك نوعان :

الأول : شرك يتعلق بذات المعبود سبحانه وبأفعاله وبصفاته .

الثاني : شرك في عبادته ومعاملته ، وإن كان صاحب هذا يعتقد أنه سبحانه لا شريك له في ذاته وأفعاله وصفاته.

والأول نوعان :

الأول شرك التعطيل : وهو أقبحها كشرك فرعون إذ قال : {وما رب العالمين } قالوا : فالشرك والتعطيل متلازمان فكل معطل مشرك وكل مشرك معطل ، إلا أن الشرك لا يستلزم أصل التعطيل بل قديكون المشرك مقراً بالخالق سبحانه وصفاته ، ولكن عطل حق التوحيد ، وأصل الشرك وقاعدته ترجع إلى التعطيل فهو أقسام ، تعطيل للمصنوع عن صانعه وخالقه، وتعطيل الصانع (٢) عن كماله المقدس بتعطيل أسمائه وصفاته وأفعاله ، وتعطيل معاملته مما يجب على العبد من حقيقة التوحيد . ومن هذا شرك أهل وحدة الوجود (٣) في قولهم ما تمَّ خالق ومخلوق بل الحق المنزه عين الخلق تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، ومنه شرك الملاحدة الذين يقولون : بقدوم العالم وأبديته ، وأنه لم يكن معروفاً أصلاً ، ومضمون ذلك إنكار الباري سبحانه وتعالى ، ومنه شرك من عطل الرب سبحانه عن صفاته وأفعاله كغلاة الجهمية والقرامطة .

والنوع الثاني من الشرك : من جعل معه سبحانه وتعالى آلهة أخرى كالنصارى فجعلوه ثالث ثلاثة ، وكالمجوس قالوا بإسناد حوادث الخير إلى النور وحوادث الشر إلى الظلمة ، وكشرك القدرية القائلين إن الحيوان هو الذي يخلق أفعاله وإنما تحدث بدون مشيئة الله وقدرته وإرادته ، ومنه شرك الذي جعل نفسه نداً لله تعالى وغير ذلك "اهـ (٤)

وقال أيضاً: " ذكر ابن أبي حاتم عن ترجمان القرآن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله : { يلحدون في أسمائه } يشركون ، فالشرك من أعظم الإلحاد فقد قال تعالى في كتابه : { قل هو الله أحد * الله الصمد } .

فمن جعل معه شريكاً فقد ألد في اسمه وصفته ، ولم يجعله أحداً بل جعله ثاني اثنين ، ومنهم من يكثر المعابيد معه جل وعلا فيجعله ثالث ثلاثة أو أكثر ..

ومن الإلحاد في أسمائه تعالى : أن تعلم أنه حكيم ثم تعترض على أفعاله التي يقدرها على عباده المؤمنين من شرور ومصائب وهزائم ، وقتل بعض الأنبياء على أيدي أعدائه ، فتعترض على حكمه وحكمته وقد تحير في هذه الأشياء خلق حتى خرجوا إلى الكفر والعياذ بالله .

(١)فتح المجيد شرح كتاب التوحيد - (١ / ٤٣٦)

(٢)الصانع ليس من أسماء الله ولكن من باب الإخبار عنه سبحانه .

(٣)وهم الاتحادية الذين يعتقدون أن الله متحد مع المخلوقات كما يتحد الماء مع اللبن تعالى الله عن ذلك وهي فرقة من فرق الصوفية الغلاة .

(٤)فتح الحميد (٤ / ٣٥٤-٣٥٥) .

ومن الإلحاد في أسماء الله وصفاته: أقوال المعتزلة : من إنكار الصفات والرؤية ، والقول بخلق القرآن ، وإنكارهم أن الله مريدٌ للكائنات وخالق لأفعال العباد وغير ذلك من أصولهم وأصول الجهمية ، فإن من أصول المعتزلة التوحيد وهو عندهم إنكار الصفات ونفيها ..

فالحاصل أنه كما يجب تقديس الذات وتنزيهها عن النقائص وكل ما لا يليق به جل وعلا ، يجب تقديس أسمائه وصفاته لأن الذات مع الأسماء والصفات متلازمان في الوجود والعدم بالتحقيق لأن انتفاء تقديس الأسماء والصفات يستلزم انتفاء تقديس الذات لأنها قائمة بالذات ومقتضياتها" اهـ^(١) .

قلتُ : وهناك قاعدة يُرد بها على المعطلة وهي: (القول في الصفات كالقول في الذات) فمن أثبت لله الذات يلزمه أن يثبت له الصفات، فهؤلاء أثبتوا لله الذات ونفوا عنه الصفات ، فيما أنهم أثبتوا لله ذاتا لا تماثل ذوات المخلوقين ، فيلزمهم أن يثبتوا لله صفاتٍ لا تماثل صفات المخلوقين ، ، فإن القول في الصفات كالقول في الذات .

حكم التسمي بالسيد :

السيد اسم من أسماء الله تعالى فلا يجوز إطلاقه معرّفاً لغير الله، وإنما يقيد بالإضافة لمن كان له أهلاً كسيد بني فلان لكبير القوم ، وسيد ولد آدم لنبينا صلى الله عليه وسلم، لأن السيادة المطلقة لا تكون إلا لله تعالى ، ، وأما إذا كان المسمى بذلك فاسقا أو منافقا أو زنديقا فلا يصلح تسميته بهذا الاسم كمشعوذ أو رافضي يسب الصحابة رضوان الله عليهم ، أو نحو ذلك.

وقلنا :إن السيادة المطلقة لله تبارك وتعالى لما جاء من حديث عبد الله بن الشخير - رضي الله عنه - قال: "انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا :أنت سيدنا فقال: "السيد الله تبارك وتعالى" قلنا وأفضلنا فضلا وأعظمنا طولا، فقال: "قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستجربنكم الشيطان" ^(٢) .

ومعنى (سيد) : هو الذي يقوم بخدمة الدين وخدمة الناس ، وأما سيد الناس فهي خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم فهو سيد ولد آدم لما جاء في حديث الشفاعة الطويل عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال أتى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يوماً بلحْمٍ فُرِفِعَ إِلَيْهِ الذُّرَاعُ وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً فَقَالَ « أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ... » ^(٣) .

قال الشيخ سليمان بن عبد الله - رحمه الله -:"ويلي هذا الاسم - يعني التسمي بملك الأملاك - في القبح والكرهية والكذب سيد الناس وسيد الكل وليس ذلك إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة كما قال:" أنا سيد ولد آدم "فلا يجوز لأحد قط أن يقول عن غيره هو سيد الناس كما لا يجوز له أن يقول أنا سيد ولد آدم عليه السلام" اهـ^(٤) .

وقال النووي - رحمه الله -:"إِنَّمَا قَالَ هَذَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحَدُّثًا بِنِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَذَا وَنَصِيحَةَ لَنَا بِتَعْرِيفِنَا حَقَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضُ : قِيلَ السَّيِّدُ الَّذِي يَفُوقُ قَوْمَهُ وَيُفْرَعُ إِلَيْهِ فِي الشَّدَائِدِ ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَيِّدُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَإِنَّمَا خُصَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِارْتِفَاعِ السُّؤْدُدِ فِيهَا ، وَتَسْلِيمِ

(١)انظر فتح الحميد (١٨٤٣/٤-١٨٤٤) .

(٢)رواه أبو داود وأحمد وهو في الصحيح المسند للوادعي (ص:٣٢٠/٣/٥٨٧) وصححه الألباني.

(٣)متفق عليه .

(٤)تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد - (١ / ٥٤٩)

جَمِيعَهُمْ لَهُ ، وَلِكُونَ آدَمَ وَجَمِيعِ أَوْلَادِهِ تَحْتَ لَوَائِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى : { لِمَنْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ } أَيُّ : انْقَطَعَتْ دَعَاوِي الْمُلْكِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ " اهـ (١) .

وقال العلامة ابن عثيمين - رحمه الله - في معنى السيد:

"السيد: ذو السؤدد والشرف، والسؤدد معناه: العظمة والفخر وما أشبهه. وسيد: صفة مشبهة على وزن فيعل؛ لأن الياء الأولى زائدة.

قوله: "السيد الله": لم يقل - صلى الله عليه وسلم - سيدكم كما هو المتوقع، حيث إنه رد على قولهم سيدنا لوجهين: الوجه الأول: إرادة العموم المستفاد من (أل)؛ لأن (أل) للعموم، والمعنى: أن الذي له السيادة المطلقة هو الله عز وجل، ولكن السيد المضاف يكون سيدا باعتبار المضاف إليه، مثل: سيد بني فلان، سيد البشر، وما أشبه ذلك.

الوجه الثاني: لئلا يتوهم أنه من جنس المضاف إليه؛ لأن سيد كل شيء من جنسه، والسيد من أسماء الله تعالى، وهي من معاني الصمد؛ كما فسر ابن عباس الصمد بأنه الكامل في علمه وحلمه وسؤدده وما أشبه ذلك. ولم ينههم صلى الله عليه وسلم عن قولهم: "أنت سيدنا"، بل أذن لهم بذلك؛ فقال: قولوا بقولكم أو بعض قولكم، لكن نهاهم أن يستجريهم الشيطان فيترقوا من السيادة الخاصة إلى السيادة العامة المطلقة؛ لأن سيدنا سيادة خاصة مضافة، و"السيد" سيادة عامة مطلقة غير مضافة. اهـ (٢)

حكم التسمي بقاضي القضاة ومالك الأملاك ونحوها :

أما التسمية بقاضي القضاة فهو كالأول إذا كان مقيداً بزمان أو بمكان أو يكون مضافاً إليه أو محصوراً على بلد معين فلا بأس من التسمية به ، على أن الأولى تركه سداً للذرائع ، وأما التسمية بقاضي القضاة بدون تقييد فهو خطأ سيأتي بيانه .

قال ابن عثيمين - رحمه الله: فإن قلت: إذا أضفنا القضاة وحصرناها بطائفة معينة، أو ببلد معين، أو بزمان معين، مثل أن يقال: قاضي القضاة في الفقه، أو قاضي قضاة المملكة العربية السعودية، أو قاضي قضاة مصر، أو الشام، أو ما أشبه ذلك؛ فهل يجوز هذا؟

فالجواب: أن هذا جائز؛ لأنه مقيد، ومعلوم أن قضاء الله لا يتقيد، فحينئذ لا يكون فيه مشاركة لله عز وجل، على أنه لا ينبغي أيضاً أن يتسمى الإنسان بذلك، أو يسمى به، وإن كان جائزاً؛ لأن النفس قد تصعب السيطرة عليها، فيما إذا شعر الإنسان بأنه موصوف بقاضي قضاة الناحية الفلانية، فقد يأخذ الإعجاب بالنفس، والغرور، حتى لا يقبل الحق إذا خالف قوله، وهذه مسألة عظيمة لها خطرها، إذا وصلت بالإنسان إلى الإعجاب بالرأي بحيث يرى أن رأيه مفروض على من سواه؛ فإن هذا خطر عظيم، فمع القول بأن ذلك جائز، لا ينبغي أن يقبله اسماً لنفسه، أو وصفاً له، ولا أن يتسمى به.

فإذا قُيد بزمان أو مكان ونحوهما؛ قلنا: إنه جائز، ولكن الأفضل ألا يفعل.

(١) شرح النووي على مسلم - مشكول - (١ / ٣٤١)

(٢) القول المفيد (ص: ٦٦٢) .

لكن إن فُيد بفن من الفنون؛ هل يكون جائزاً؟

مقتضى التقييد أن يكون جائزاً، لكن إن فُيد بالفقه، بأن قيل: (عالم العلماء في الفقه)، وقلنا: إن الفقه يشمل أصول الدين وفروعه على حد قول الرسول صلى الله عليه وسلم "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين"^(١) صار فيه عموم واسع، ومعنى هذا أن مرجع الناس كلهم في الشرع إليه؛ فهذا في نفسي منه شيء، والأولى التنزه عنه.

وأما إن فُيد بقبيلة؛ فهو جائز، لكن يجب مع الجواز مراعاة جانب الموصوف؛ أن لا يغتر، ويعجب بنفسه، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم للمادح: "قطعت عنق صاحبك"^(٢).

وأما التسمي ب (شيخ الإسلام)، مثل أن يقال: شيخ الإسلام ابن تيمية، أو شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، أي أنه الشيخ المطلق الذي يرجع إليه الإسلام؛ فهذا لا يصح؛ إذ إن أبا بكر رضي الله عنه أحق بهذا الوصف؛ لأنه أفضل الخلق بعد النبيين، ولكن إذا قصد بهذا الوصف أنه جدد في الإسلام، وحصل له أثر طيب في الدفاع عنه؛ فلا بأس بإطلاقه.

وأما بالنسبة للتسمي ب (الإمام)؛ فهو أهون بكثير من التسمي ب (شيخ الإسلام)؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم سمي إمام المسجد إماماً، ولو لم يكن عنده إلا اثنان.

لكن ينبغي أن ينبه أنه لا يتسامح في إطلاق كلمة إمام، إلا على من كان قدوة وله أتباع؛ كالإمام أحمد والبخاري ومسلم وغيرهم ممن له أثر في الإسلام؛ لأن وصف الإنسان بما لا يستحق هضم للأمة؛ لأن الإنسان إذا تصور أن هذا إمام، وهذا إمام، هان الإمام الحق في عينه، قال الشاعر:

ألم تر أن السيف ينقص قدره ... إذا قيل إن السيف أمضى من العصا

ومن ذلك أيضاً: (آية الله، حجة الله، حجة الإسلام)؛ فإنها ألقاب حادثة، لا تنبغي؛ لأنه لا حجة لله على عباده إلا الرسل.

وأما آية الله، فإن أريد به المعنى الأعم؛ فلا مدح فيه؛ لأن كل شيء آية لله، كما قيل:

وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه واحد

وإن أريد المعنى الأخص؛ أي: أن هذا الرجل آية خارقة؛ فهذا في الغالب يكون مبالغاً فيه، والعبارة السليمة أن يقال: عالم، مفتي، قاضٍ، حاكم، إمام، لمن كان مستحقاً لذلك". اهـ^(٣)

وأما التسمية بملك الأملاك فقد جاء في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن أئمة عند الله رجل تسمى ملك الأملاك ، لا مالك إلا الله)^(٤) وفي رواية (أغبط رجل عند الله يوم القيامة وأخبثه) وهي عند مسلم .

(١) متفق عليه من حديث معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهما.

(٢) متفق عليه من حديث أبي بكر رضي الله عنه

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد - (٢ / ٢٥٠ - ٢٥٢).

(٤) متفق عليه. البخاري كتاب الأدب (٦٢٠٢) ، مسلم (٢١٤٣) .

قال العلامة العثيمين : "معنى أخنع :أي: أوضع اسم، والمراد بالاسم المسمى، فأوضع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك ؛ لأنه جعل نفسه في مرتبة عليا، فالملوك أعلى طبقات البشر من حيث السلطة؛ فجعل مرتبته فوق مرتبتهم، وهذا لا يكون إلا لله عز وجل، ولهذا عوقب بنقيض قصده؛ فصار أوضع اسم عند الله إذ قصده أن يتعظم حتى على الملوك، فأهين، ولهذا كان أحب اسم عند الله ما دل على التذلل والخضوع، مثل: عبد الله، وعبد الرحمن، وأبغض اسم عند الله ما دل على الجبروت، والسلطة، والتعظيم." اهـ^(١)

وقال أيضا في معنى : (أغيط وأخبث):أغيط : من الغيط وهو مثل الغضب والبغض، فيكون بغیضا إلى الله مغضوبا عليه والله أعلم .

قوله : (وأخبثه) وهو يدل أيضا على أن هذا خبيث عند الله فاجتمعت في حقه هذه الأمور لتعاضمه في نفسه وتعظيم الناس له بهذه الكلمة التي هي من أعظم التعظيم، فتعاضمه في نفسه وتعظيم الناس له بما ليس له بأهل وضعه عند الله يوم القيامة فصار أخبث الخلق وأبغضهم إلى الله وأحقرهم لأن الخبيث البغيض عند الله يكون يوم القيامة أحقر الخلق وأخبثهم لتعاضمه في نفسه على خلق الله بنعم الله

قوله : (أخنع) : يعني أوضع ، هذا هو معنى أخنع فيفيد ما ذكرنا في معنى أغيط أنه يكون حقيرا بغیضا عند الله وفيه التحذير من كل ما فيه تعاضم" اهـ^(٢)

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله : " .قال ابن أبي جمرة وفي الحديث مشروعية الأدب في كل شيء؛ لأن الزجر عن ملك الأملاك والوعيد عليه يقتضي المنع منه مطلقا سواء أراد من تسمى بذلك أنه ملك على ملوك الأرض أم على بعضها وسواء كان محقا في ذلك أم مبطلا مع أنه لا يخفى الفرق بين من قصد ذلك وكان فيه صادقا ومن قصده وكان فيه كاذبا" اهـ^(٣) .

وقال أيضا : "فالذي تسمى بهذا الاسم قد كذب وفجر وارتقى إلى ما ليس له بأهل ، بل هو حقيقٌ برب العالمين فإنه الملك في الحقيقة فلهذا كان أذل الناس عند الله يوم القيامة اهـ^(٤) .

فإن قال قائل : لماذا جاز التسمي بقاضي القضاة ومنع التسمي بملك الأملاك ؟

الجواب : إن اسم الملك ثابت لله تعالى بينما القاضي لم يثبت اسماً لله تعالى ، وأيضاً التسمي بقاضي القضاة يكون مقيداً إذا أمنت الفتنة والإعجاب كما تقدم من كلام ابن عثيمين ، وقال بذلك شيخنا يحيى الحجوري والأولى تركه ، وقد قال بعض أهل العلم بعدم جواز التسمي بقاضي القضاة قياساً على المنع بالتسمية بملك الأملاك .

(١) انظر القول المفيد - (٢ / ٢٥٢ - ٢٥٣) .

(٢) المصدر السابق - (١ / ٤١٤) .

(٣) انظر تيسير العزيز الحميد (١/٥٥٠) .

(٤) انظر المصدر السابق (٦١٢) .

وقال صاحب التيسير سليمان بن عبد الله: "وقد زعم بعض المتأخرين أن التسمي بقاضي القضاة ونحوها جائز واستدل له بحديث: (أقضاكم علي) قال فيستفاد منه أن لا حرج على من أطلق على قاضٍ أن يكون أعدل القضاة وأعلمهم في زمانه أفضى القضاة أو يريد إقليمه أو بلده وتعقبه العالم العراقي فصوب المنع "اهـ"^(١) .

وقال الشيخ عثمان التميمي: "ومنع القاضي أبو يعلى بهذا من كل اسم فيه تعظيم أو تفخيم واحتج بهذا على منع التسمي بالملك وأجاب بأن الله تعالى إنما ذكره إخباراً عن الخير أو التعريف فإنه كان معروفاً عندهم به ، ولأن الملك من أسماء الله المختصة به .. وأن الملك هو المستحق إما للملك حقيقة وإما للتصرف الدائم ولا يصاحبه إلا الله سبحانه وتعالى "اهـ"^(٢) .

ومن الإلحاد في أسماء الله وصفاته التمثيل والتكليف والتحرير والتفويض، فالممثلة مثلوا صفات الله بصفات خلقه ، والمكيفة تصوروا لصفات الله كيفية ، أو سألوا عنها بكيف ، والمحرفة هم الذين صرفوا معاني الصفات إلى معانٍ أخرى لا يريدونها الله أو حرفوا ألفاظ الصفات ، وسموه تأويلاً ، كتأويل اليد بالقدرة، وتحرير (استوى) إلى استولى ونحو ذلك، والمفوضة فوضوا معنى الصفة وصرفوا اللفظ عن ظاهره دون التعرض لمعناه^(٣) .

(١) المصدر السابق (ص: ٦١٣) .

(٢) فتح الحميد (١٧٦٢/٤) .

(٣) انظر شرح لمعة الاعتقاد و القواعد المثلى للعثيمين ، وشرح العقيدة الواسطية للهراس لمعرفة هذه المصطلحات .

فصل : في من جحد أسماء الله وصفاته .

من أنكر أسماء الله وصفاته فقد كذب بالقرآن الكريم ، ومن كذب بالقرآن الكريم فهو كافر ، ومن عطل الله سبحانه وتعالى عن أسمائه الحسنى وصفاته العليا فقد كفر ، ومن هذا الباب نقل تكفير الجهمية^(١) عن أكثر من خمس مائة عالم .

قال تعالى : { وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [الأعراف: ١٨٠]

وقد تقدم تفسير هذه الآية بما حاصله : أن الإلحاد هو الميل والتكذيب والإشراك فيها ، وفي الآية وعيد شديد لمن سلك هذا المسلك .

ونقل شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى عن نعيم بن حماد الخزاعي أنه قال : (من شبه الله بخلقه فقد كفر ، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر وليس ما وصف الله به نفسه ورسوله تشبيهاً) اهـ^(٢) .

والتشبيه المنفي هنا هو التمثيل^(٣) .

وقال الشيخ عثمان بن عبدالعزيز التميمي : "من جحد اسماً من أسمائه أو صفة من صفاته فقد هدم أساس الإسلام والإيمان والإحسان ، فضلاً عن أن يكون جاحد شيء من ذلك من أهل العرفان ، فإن معرفة ذلك والإيمان به هو أساس الإسلام وقاعدة الإيمان وثمره شجرة الإحسان، وقد جعل الله منكر صفاته مسيء الظن به فقال : { الظَّانِّينَ بِأَنَّهُ ظَنَّ السَّوْءَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا } [الفتح : ٦] ، ولم يجئ مثل هذا الوعيد في غير سوء الظن به ، فجحد صفاته وإنكار حقائق أسمائه جل وعلا من أعظم سوء الظن به ، ولما كان إنكارها وجحدها من أعظم الإلحاد والكفر – إذ المعطل شر من المشرك – فإنه لا يستوي إنكار صفة الملك وحقيقة ملكه ، فالطعن في أوصافه هو أعظم من التشريك بينه وبين غيره ، فلولا تعطيل كماله أو بعضه وظن السوء به لما أشرك به" اهـ^(٤) .

فمن المظاهر الشركية في باب الأسماء والصفات جحد أسماء الله وصفاته وتعطيلها عما أراد الله سبحانه وتعالى

فيجب على كل مسلم الإذعان والتسليم التام لما جاء عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، والإيمان بما جاء عنهما على مرادهما، وألا يتعدى نصوص الكتاب والسنة، وألا يخالف ما كان عليه سلف هذه الأمة ، فإن من تمسك بهذين الأصلين فإنه لا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عنهما ضل وغوى وعوقب بأن له معيشةً ضنكاً .

(١) الجهمية: نسبة إلى الجهم بن صفوان لأنه نشر هذه الفكرة وأخذها عنه الجعد بن درهم .

(٢) مجموع الفتاوى (٤٨١/١١) .

(٣) التعبير بنفي التمثيل أولى من التعبير بنفي التشبيه ، لأن المماثلة تكون من جميع الوجوه ، بينما المشابهة تكون من بعض الوجوه .

(٤) انظر فتح الحميد (١٦٣١/٤-١٦٣٢) .

قال الإمام الشافعي : "أمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله ، وأمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله" اهـ^(١) .

هذا وإن باب الأسماء والصفات باب واسع وله شأن عظيم ، وهو مبسوط في مواضعه فليرجع إليه ، و إنما أشرنا هنا إشارة يسيرة ، لمناسبة ذكره في هذا المبحث^(٢) .

فننصح أنفسنا وجميع المسلمين بالاهتمام في موضوع الأسماء والصفات فإنه أشرف العلوم ، إذ إن شرف العلم من شرف المعلوم ، كيف لا ؟ وهو علم عن الله وعن أسمائه وصفاته ، فإنه كلما كان العبد أعرف بربه وبأسمائه وصفاته كان أقرب من ربه ، وأعرف به، وأخشى منه ، وأتقى له سبحانه وتعالى ، ولأن معرفة الأسماء والصفات تزيد الإيمان وتحمل صاحبها على التبعذ لله بمقتضى هذه الأسماء والصفات، فقد جاء عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة)^(٣) .

أي من حفظ من أسماء الله تسعةً وتسعين اسماً وعمل بمقتضاها دخل الجنة ، وليس المقصود من هذا الحديث أنها محصورة بتسعة وتسعين اسماً فقط، بل لا يعلم عددها إلا الله ، فلا نحصي ثناءً عليه هو كما أثنى على نفسه ، فهناك أسماء علمناها وأسماء استأثرها الله في علمه، فيكون المعنى من أحصى منها تسعة وتسعين اسماً دخل الجنة، ويكون إحصاؤها بحفظها ومعرفة معناها والعمل بمقتضى ذلك، فيحفظ العبد من أسماء الله الرقيب مثلاً، ويعلم أنه رقيب عليه في كل لحظة يرى مكانه ويسمع كلامه ويعلم حاله وهو معه أينما كان في ليله ونهاره وسره وجهاره ، في سفره وحضره، وفي خلوته وجلوته وهكذا، ويعمل بمقتضى هذا الاسم فلا يرى منه إلا خيراً ولا يسمع منه إلا خيراً ولا يعصي الله طرفة عين لأنه رقيب عليه.

قال النووي _رحمه الله :- "واتفق العلماء على أن هذا الحديث ليس فيه حصر لأسمائه سبحانه وتعالى فليس معناه أنه ليس له أسماء غير هذه التسعة والتسعين وإنما مقصود الحديث أن هذه التسعة والتسعين من أحصاها دخل الجنة فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الإخبار بحصر الأسماء.." اهـ^(٤) .

وقال ابن عثيمين _رحمه الله - : "وما استأثر الله به في علم الغيب عنده لا يمكن حصره ولا الإحاطة به ، والجمع بين هذا الحديث وبين الحديث الذي أخرجه البخاري رقم (٦٩٥٧) ومسلم رقم (٦٩٨٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة) أن معنى هذا الحديث أن من أسماء الله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة ، وليس المراد حصر أسمائه تعالى بهذا العدد، ونظير هذا أن تقول : عندي مائة درهم أعددتها للصدقة ، فلا ينافي أن يكون عندك دراهم أخرى أعددتها لغير الصدقة ." اهـ^(٥) .

(١) انظر لمعة الاعتقاد.

(٢) تنبيه: من أحسن الكتب التي ألفت في هذا الباب العظيم: كتاب لمعة الاعتقاد وشرحها للعثيمين والفوزان، وكتاب القواعد المثلى للعثيمين، والعقيدة الواسطية لشيخ الإسلام وشرحها للهراس وشرحها للعثيمين في مجلدين، والتدمرية، والعقيدة الطحاوية وأحسن شرح لها لابن أبي العز مع مراعاة التنبيهات التي نبه عليها العلماء ، والله أعلم.

(٣) البخاري (٦٤١٠) ، مسلم (٢٦٧٧) .

(٤) شرح مسلم - (ج ١٧ / ص ٥)

(٥) شرح لمعة الاعتقاد ص (٢٢)

ومما يقوي القول بعدم حصر الأسماء الحسنى بتسعة وتسعين اسماً أن العلماء تتبعوها في الكتاب والسنة فوجدوا أكثر من هذا العدد مثبتاً بدليله^(١).

إلحاد الشيعة الاثني عشرية (الرافضة) في الأسماء والصفات :

إن الرافضة الاثني عشرية سلخوا مسلك أهل التعطيل في أسماء الله وصفاته، بل زادوا على ذلك فجعلوا صفات الله سبحانه وتعالى هي عين المخلوق، وأثبتوا بعض صفات الله لبعض المخلوقين فوقعوا في الشرك والتعطيل والإلحاد، فجمعوا الشر كله.

فقد روى الكليني^(٢) في أصول الكافي عن أبي عبد الله في قوله تعالى : { وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا } [الأعراف: ١٨٠] قال: ونحن - والله - الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلا بمعرفتنا (١٤٣/١-١٤٤).

وقد زعموا أن أمير المؤمنين علياً - رضي الله عنه - قال : (أنا علم الله وأنا قلب الله ولسان الله الناطق وعين الله الناظرة وأنا جنب الله وأنا يد الله وأنا الظاهر وأنا الباطن)^(٣).

ويزعمون أن أبا عبد الله قال : (إني لأعلم ما في السماوات وما في الأرض وأعلم ما في الجنة وأعلم ما في النار وأعلم ما كان وما يكون)^(٤).

ويفسرون قوله تعالى : { وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ } [الرحمن: ٢٧] بقولهم: نحن وجه الله الذي لا يهلك^(٥).

إلى غير ذلك من الأقوال الكفرية الإلحادية في باب الأسماء والصفات وهو مبسوط في مواضعه^(٦).

(١) وانظر القواعد المثلى لابن عثيمين عند قاعدة (أسماء الله غير محصورة بعدد معين) .

(٢) وهو من أئمة الشيعة الاثني عشرية .

(٣) بحار الأنوار (١٩٨/٢٤) .

(٤) أصول الكافي (٢٦١/١) .

(٥) تفسير الصافي (١٠٨/٤) .

(٦) انظر أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية عرض ونقد .

المبحث الثالث: (لو) - أو- (ليت) الاعتراضية على القدر

تأتي (اللو) على عدة معاني، فمنها الاعتراض على الشرع ومنها الاعتراض على القدر، ومنها: التحسر والندم، ومنها: الاحتجاج بالقدر على المعصية، ومنها: الإخبار، ومنها: التمني، ونحو ذلك. وكلامنا هنا حول (لو) الاعتراضية على القدر؛ لأن من تمام التوحيد وكمال الإيمان بالقدر خيره وشره. فيجب على الإنسان أن يكون محكوماً بقدر الله كما أنه يجب أن يكون محكوماً بشرع الله.

قال ابن عثيمين: رحمه الله: "إن من جملة أقسام (لو) الاعتراض على القدر ومن اعترض على القدر؛ فإنه لم يرض بالله ربا، ومن لم يرض بالله ربا؛ فإنه لم يحقق توحيد الربوبية. والواجب أن ترضى بالله ربا، ولا يمكن أن تستريح إلا إذا رضيت بالله ربا تمام الرضا، وكان لك أجنحة تميل بها حيث مال القدر، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم "عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر؛ فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر؛ فكان خيرا له" (١) ((اهـ) (٢)

وعمدتنا في هذا المبحث حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلِّ خَيْرٍ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِزْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا. وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ ». (٣)

قال الشيخ صالح الفوزان - حفظه الله - : "قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وإن أصابك شيء" يعني: مما تكرهه، بعدما تحرص على ما ينفعك وتستعين بالله وتترك العجز، بعدما تعمل هذه الأسباب إذا أصابك شيء عكس ما تريد وعكس ما تطلب فلا تجزع واعلم أن هذا بقضاء الله وقدره، وأن الله لو قدر لك شيئا لحصل ولكنه لم يقدر لك، ولا تدري ما الخيرة فيه، لعل الله حبسه عنك لخير أرادته بك، ربما أن الإنسان يحرص على شيء لو حصل له لأهلكه، فانه يمنع عنه رحمة به: {وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [البقرة : ٢١٦]

"فلا تقل: لو أنني فعلت كذا لكان كذا وكذا" لا ترجع هذا إلى تفصيرك، ولكن أرجعه إلى قضاء الله وقدره.

"ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل" يعني: أرجع هذا إلى قضاء الله وقدره، فالذي منعه عنك ليس هو فعلك أو تركك، وإنما الذي منعه عنك هو الله سبحانه وتعالى، ولا تدري لعل الله أراد بك خيرا وصرف عنك شرا، فأرض بقضاء الله وقدره.

(١) رواه مسلم عن صهيب الرومي رضي الله عنه.

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد - (٢ / ٣٦٥)

(٣) رواه مسلم.

هذا هو شأن المؤمن الذي يؤمن بالقضاء والقدر، أما المنافق وضعيف الإيمان فإنه إذا أصابه شيء يكرهه جزع وتسخط وقال: هذا بسبب فلان أو هذا بسبب أنني ما علمت^(١) كذا أو كذا. هذا جُحودٌ للقدر، أو عدم إيمان بالقدر، أو ضعف إيمان بالقدر، وما هكذا المؤمن.

فقول: "قدر الله وما شاء فعل" يحلّ عن المسلم مشاكل كثيرة.

ثم قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ لَوْ" أي: قول: "لو".

"تفتح عمل الشيطان" إذا أرجعت هذا إلى غير القضاء والقدر دخل الشيطان، وصار يوسوس لك ويلقي عليك الأوهام ويلقي عليك القلق النفسي، وتصبح في همٍّ وغم وحزن، أما إذا أغلقت هذا الباب وقلت: "قضاء الله وقدره"، أو "قدر الله وما شاء فعل" فإنك تُغلق باب الشيطان.

ف "لو" مفتاح لباب الشيطان، و"قدر الله وما شاء فعل" إغلاق لباب الشيطان، تستريح من شره ومن همومه وأحزانه ووساوسه. اهـ^(٢)

والاعتراض (بلو) على الشرع وعلى القدر، والاحتجاج بالقدر على المعصية من صفات المشركين والمنافقين ولا يجوز التشبه بهم، وليست من صفات المؤمنين الموحدين.

فقد قال الله عنهم في غير ما آية: {الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [آل عمران : ١٦٨]

وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [آل عمران : ١٥٦]

وقال تعالى: {ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِّنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} [آل عمران : ١٥٤]

وقال تعالى: {سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى دَافُوا بِأَسْنَانِهِمْ قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ * قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ} [الأنعام : ١٤٨ - ١٤٩]

فالمؤمن يرضى ويسلم بما قدر الله، بل يجب عليه أن يؤمن بأن ما أصابه من خير أو شر مسطور في اللوح المحفوظ، لا يتجاوزه إلى غيره، وأنه لا يتم إيمان عبد إلا بذلك، فإن الإيمان بالقدر أحد أركان الإيمان الستة، فقد جاء عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - أنه قال لابنه: يا بني إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن أول ما

(١) لعل الصواب: علمت، والله أعلم.

(٢) إغاة المستفيد بشرح كتاب التوحيد - (٢ / ٢٣٣-٢٣٤)

خلق الله القلم فقال له اكتب قال رب وماذا اكتب قال اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة" يا بني اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من مات على غير هذا فليس مني" (١)

ومعنى " ما أصابك لم يكن ليخطئك "أي ما قدر لك من خير أو شر لن يفوتك أو يتجاوز إلى غيرك. "وما أخطأك لم يكن ليصيبك" أي: ما لم يقدر لك من خير لن يأتيك مهما عملت من أسباب، وما لم يقدر لك من شر لن يصيبك ولو اجتمع عليك أهل الأرض جميعا.

قال الشيخ عبد المحسن العباد - حفظه الله - في قوله: (واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك) أي: أن الشيء الذي قدر أن يحصل لك لا يتخلف عنك، والشيء الذي قد تخلف عنك لا يحصل لك، وعقيدة المسلمين مبنية على هاتين الكلمتين: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن" اهـ (٢).

وقال العلامة العثيمين - رحمه الله - بقوله: "حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك": قد تقول: ما أصابني لم يكن ليخطئني، هذا تحصيل حاصل؛ لأن الذي أصاب الإنسان أصابه، فلا بد أن نعرف معنى هذه العبارة؛ فتحمل هذه العبارة على أحد معنيين أو عليهما جميعا:

الأول: أن المعنى "ما أصابك"؛ أي: ما قدر الله أن يصيبك، فعبر عن التقدير بالإصابة؛ لأن ما قدر الله سوف يقع، فما قدر الله أن يصيبك لم يكن ليخطئك مهما عملت من أسباب.

الثاني: ما أصابك؛ فلا تفكر أن يكون مخطئا لك، فلا تقل: لو أنني فعلت كذا ما حصل كذا؛ لأن الذي أصابك الآن لا يمكن أن يخطئك؛ فكل التقديرات التي تقدرها وتقول: لو أنني فعلت كذا ما حصل، فالمعنى صحيح على الوجهين، فما قدره الله أن يصيب العبد فلا بد أن يصيبه ولا يمكن أن يخطئه، وما وقع مصيبا للإنسان؛ فإنه لن يمنع شيء، فإذا أمنت هذا الإيمان ذقت طعم الإيمان؛ لأنك تطمئن وتعلم أن الأمر لا بد أن يقع على ما وقع عليه، ولا يمكن أن يتغير أبدا.

مثال ذلك: رجل خرج بأولاده للنزهة، فذب بعض الأولاد إلى بركة عميقة، فسقط، فغرق، فمات، فلا يقول: لو أنني ما خرجت لما مات الولد، بل لا بد أن تجري الأمور على ما جرت عليه، ولا يمكن أن تتغير؛ فما أصابك لم يكن ليخطئك، فحينئذ يطمئن الإنسان ويرضى، ويعرف أنه لا مفر، وأن كل التقديرات والتخيلات التي تقع في ذهنه كلها من الشيطان؛ فلا تقل: لو أنني فعلت كذا لكان كذا، فإن "لو" تفتح عمل الشيطان، وحينئذ يرضى ويسلم، وقد أشار الله إلى هذا المعنى في قوله: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٣].

فأنت إذا علمت هذا العلم وتيقنته بقلبك؛ ذقت حلاوة الإيمان، واطمأنتت، واستقر قلبك، وعرفت أن الأمر جارٍ على ما هو عليه لا يمكن أن يتغير، ولهذا كثيرا ما يجد الإنسان أن الأمور سارت ليصل إلى هذه المصيبة؛ فتجده

(١) رواه أبو داود وصححه الألباني.

(٢) شرح سنن أبي داود - عبد المحسن العباد - (٢٦ / ٣٠٤)

يعمل أعمالا لم يكن من عادته أن يعملها حتى يصل إلى ما أراد الله عز وجل مما يدل على أن الأمور بقضاء الله وقدره" اهـ^(١)

أقسام "لو"

قسمها ابن عثيمين إلى ستة أقسام كما يلي:

قال: "لو" تستعمل على عدة أوجه:

الوجه الأول: أن تستعمل في الاعتراض على الشرع، وهذا محرم، قال الله تعالى: {لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا} آل عمران آية: ١٦٨].

في غزوة أحد حينما تخلف أثناء الطريق عبد الله بن أبي في نحو ثلث الجيش، فلما استشهد من المسلمين سبعون رجلا اعترض المنافقون على تشريع الرسول صلى الله عليه وسلم، وقالوا: لو أطاعونا ورجعوا كما رجعنا ما قتلوا، فرأينا خيرا من شرع محمد، وهذا محرم وقد يصل إلى الكفر.

الثاني: أن تستعمل في الاعتراض على القدر، وهذا محرم أيضا، قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا} آل عمران آية: ١٥٦].

أي: لو أنهم بقوا ما قتلوا؛ فهم يعترضون على قدر الله.

الثالث: أن تستعمل للندم والتحسر، وهذا محرم أيضا؛ لأن كل شيء يفتح الندم عليك فإنه منهي عنه؛ لأن الندم يكسب النفس حزنا وانقباضا، والله يريد منا أن نكون في انشراح وانبساط، قال صلى الله عليه وسلم: "احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء، فلا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان"^(٢).

مثال ذلك: رجل حرص أن يشتري شيئا يظن أن فيه ربحا فخرس، فقال: لو أني ما اشتريته ما حصل لي خسارة؛ فهذا ندم وتحسر، ويقع كثيرا، وقد نهى عنه.

الرابع: أن تستعمل في الاحتجاج بالقدر على المعصية؛ كقول المشركين: {لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا} الأنعام: ١٤٨].

وقولهم: {لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ} [الزخرف: ٢٠].

وهذا باطل.

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد - (٢ / ٤١٨-٤١٩)

(٢) تقدم تخريجه.

الخامس: أن تستعمل في التمني، وحكمه حسب المتمنى: إن كان خيرا فخير، وإن كان شرا فشر، وفي "الصحيح" عن النبي صلى الله عليه وسلم في قصة النفر الأربعة قال أحدهم: "لو أن لي مالا لعملت بعمل فلان"^(١) فهذا تمنى خيرا، وقال الثاني: "لو أن لي مالا لعملت بعمل فلان"^(٢) فهذا تمنى شرا. فقال النبي صلى الله عليه وسلم في الأول: "فهو بنيته، فأجرهما سواء"^(٣) وقال في الثاني: "فهو بنيته، فوزرهما سواء"^(٤).

السادس: أن تستعمل في الخبر المحض. وهذا جائز، مثل: لو حضرت الدرس لاستفدت، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم "لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدى ولأحلت معكم"^(٥) فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه لو علم أن هذا الأمر سيكون من الصحابة ما ساق الهدى ولأحل، وهذا هو الظاهر لي. وبعضهم قال: إنه من باب التمني، كأنه قال: ليتني استقبلت من أمري ما استدبرت حتى لا أسوق الهدى. لكن الظاهر: أنه خير لما رأى من أصحابه، والنبي صلى الله عليه وسلم لا يتمنى شيئا قدر الله خلافه.^(٦)

ويقال في (ليت) ما قيل في (لو) فمعناها مترادف والله أعلم.

أقسام الناس في القدر:

الحاصل أن الناس في باب القدر انقسموا إلى ثلاثة أقسام ، مفرطون ومفرطون ووسط، وهم الجبرية والمعتزلة وأهل السنة، فأما الجبرية والمعتزلة فهم في طرفي نقيض، فأفطرت الجبرية وفطرت المعتزلة، وتوسط أهل السنة فهداهم الله إلى الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

فقال الجبرية: إن العبد مجبور على فعله، وليس له إرادة في أي فعل يفعله.

ويرد عليهم بقوله تعالى: {إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ * لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [التكوير : ٢٧ - ٢٩]

فأثبت الله للعبد مشيئة يعمل العمل باختياره ومشيئته وذلك تابع لمشيئة الله تعالى.

وقال المفسر السعدي: "وفي هذه الآية وأمثالها رد على فرقتي القدرية النفاة، والقدرية المجبرة كما تقدم مثلها"^(٧)

(١)الترمذي: الزهد (٢٣٢٥) ، وابن ماجه: الزهد (٤٢٢٨) أبي كبشة عمرو بن سعد الأثماري رضي الله عنه

(٢)المصدر السابق

(٣)المصدر السابق.

(٤)المصدر السابق

(٥)متفق عليه عن عائشة رضي الله عنها.

(٦)القول المفيد على كتاب التوحيد - (٢ / ٣٦١ - ٣٦٣)

(٧)تفسير السعدي - (١ / ٩١٢)

- وقالت المعتزلة: إن الإنسان خالق أفعاله ولا علاقة لإرادة الله في هذه الأفعال.

ويرد عليهم بقوله تعالى: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} [الصفافات : ٩٦]

فبين الله أنه خالق الإنسان وخالق أفعاله.

وروى البخاري في خلق أفعال العباد عن حذيفة مرفوعاً "إن الله يصنع كل صانع و صنعته" (١).

وقال تعالى: {إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ * لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [التكوير : ٢٧ - ٢٩]

قال المفسر البغوي عند هذه الآية: "وفيه دليل على أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى" اهـ (٢).

- وقال أهل السنة إن للعبد مشيئة وإرادة يعمل العمل بمشيئته وإرادته، ولكن هذه المشيئة تابعة لمشيئة الله تعالى، فإذا أراد الله أن يمضي ذلك الفعل الذي أراده ذلك العبد أمضاه وإن شاء أن يمنعه منعه، فليس العبد مجبوراً على فعله كما قالت الجبرية، وليس هو خالق أفعاله استقلالاً كما قالت المعتزلة.

قال العلامة العثيمين: "والإيمان بالقدر يتعلق بتوحيد الربوبية خصوصاً وله تعلق بتوحيد الأسماء والصفات؛ لأنه من صفات الكمال لله عز وجل. والناس في القدر ثلاث طوائف:

الأولى: الجبرية الجهمية، أثبتوا قدر الله تعالى وغلوا في إثباته حتى سلبوا العبد اختياره وقدرته، وقالوا: ليس للعبد اختيار ولا قدرة في ما يفعله أو يتركه؛ فأكله وشربه ونومه ويقظته وطاعته ومعصيته كلها بغير اختيار منه ولا قدرة، ولا فرق بين أن ينزل من السطح عبر الدرج مختاراً وبين أن يلقى من السطح مكرهاً.

الطائفة الثانية: القدرية المعتزلة، أثبتوا للعبد اختياراً وقدرة في عمله وغلوا في ذلك حتى نفوا أن يكون لله تعالى في عمل العبد مشيئة أو خلق، ونفى غلاتهم علم الله به قبل وقوعه؛ فأكل العبد وشربه ونومه ويقظته وطاعته ومعصيته كلها واقعة باختياره التام وقدرته التامة وليس لله تعالى في ذلك مشيئة ولا خلق، بل ولا علم قبل وقوعه عند غلاتهم..

الطائفة الثالثة: أهل السنة والجماعة، الطائفة الوسط، الذين جمعوا بين الأدلة وسلخوا في طريقهم خير ملة؛ فأمنوا بقضاء الله وقدره، وبأن للعبد اختياراً وقدرة؛ فكل ما كان في الكون من حركة أو سكون أو وجود أو عدم؛ فإنه كائن بعلم الله تعالى ومشيئته، وكل ما كان في الكون فمخلوق لله تعالى، لا خالق إلا الله، ولا مدبر للخلق إلا الله عز وجل، وآمنوا بأن للعبد مشيئة وقدرة، لكن مشيئته مربوطة بمشيئة الله تعالى؛ كما قال تعالى: {لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [التكوير، آية: ٢٨-٢٩].، فإذا شاء العبد شيئاً وفعله؛ علمنا أن مشيئة الله تعالى قد سبقت تلك المشيئة. " اهـ (٣)

(١) أخرجه البخاري في "خلق أفعال العباد" وصححه الألباني

(٢) تفسير البغوي - (٧ / ٤٥)

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد - (٢ / ٣٩٧)

وهناك قسم آخر وهم القدرية النفاة وهم الذين نفوا علم الله المسبق وقالوا: إن الله لا يعلم الشيء إلا بعد حدوثه وأن الأمر أنف وهؤلاء كفار وقد انقضوا والله الحمد.

فقد جاء عن يحيى بن يعمر قال كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهنى فأنطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين فقلنا لو ألقينا أحدا من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر فوقف لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلا المسجد فاكنتفئه أنا وصاحبي أحدا عن يمينه والآخر عن شماله فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلى فقلت أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرءون القرآن ويتفكرون العلم - وذكر من شأنهم - وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف. قال فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أنى برىء منهم وأنهم برأء منى والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر ثم قال حدثني أبى عمر بن الخطاب قال بينما نحن عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبى -صلى الله عليه وسلم- فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد أخبرنى عن الإسلام. فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- « الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا. قال صدقت. قال فعجبنا له يسأله ويصدق. قال فأخبرنى عن الإيمان. قال « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ». قال صدقت. قال فأخبرنى عن الإحسان. قال « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ». قال فأخبرنى عن الساعة. قال « ما المسؤول عنها بأعلم من السائل ». قال فأخبرنى عن أمارتها. قال « أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى النيان ». قال ثم انطلق فلبيت مليا ثم قال لى « يا عمر أتدرى من السائل ». قلت الله ورسوله أعلم. قال « فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم ». (1)

الفصل الخامس: المبحث الأول : الشرك في تعليق التمام و الحروز ونحوها .

التمائم لغة : جمع تميمة .

قال ابن منظور: تَمَّ الشَّيْءُ يَتَمُّ تَمًّا وَتَمًّا وَتَمَامَةً وَتَمَامًا وَتَمَمَهُ وَاسْتَمَمَهُ بِمَعْنَى وَتَمَّمَهُ اللَّهُ تَتَمِيمًا. وَالتَّمِيمَةُ عُوذَةٌ تَعْلَقُ عَلَى الْإِنْسَانِ. اهـ^(١)

واصطلاحاً : ما يعلق بأعناق الصبيان وغيرهم من الحيوانات وغيرها لدفع العين والشياطين .

وقال أبو السعادات : التمام جمع تميمة وهي خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم يتقون بها في زعمهم فأبطلها الإسلام ، قال كأنهم كانوا يعتقدون أنها تمائم الدواء والشفاء "اهـ^(٢)

وقال ابن عثيمين : " سميت التميمة لأنهم يرون أنه يتم بها دفع العين "اهـ^(٣) .

وقال الشيخ عثمان بن عبد العزيز التميمي : وشقوا لها هذا الاسم تفاقولاً بإتمام الأمر الذي جعلت له "اهـ^(٤)

ولا تحصر التمام بالخرزات فقط، بل كل ما عُلق على الأولاد أو على الحيوانات أو الأشجار ونحو ذلك بقصد دفع العين فهو تميمة من أي شيء كان ، من الخرزات أو الخلاخل أو الشعر أو الصدف أو السنابل أو السلاسل أو الأوراق أو الأظافر أو العظام أو الأوتار أو حتى النعال ، فإن ذلك داخل في مسمى التميمة ولو كان ذلك مجرد كتابة على الشيء فإنه تميمة شركية مادام أن فيه عقيدة لدفع العين أو الجن، لعموم الحديث : "من علق تميمة فقد أشرك" وسيأتي .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب النجدي : قال الخليلي : التمام جمع تميمة ، وهو ما تعلق بأعناق الصبيان من خرزات وعظام لدفع العين ، وهذا منهي عنه لأنه لا دافع له إلا الله ولا يطلب دفع المؤذيات إلا بالله وأسمائه وصفاته ، وظاهره أن ما عُلق لدفع العين وغيرها فهو تميمة من أي شيء كان ، وهذا هو الصحيح "اهـ^(٥) .

وأقسام المُعلق على الأولاد وغيرهم شيان، إما من القرآن أو من غير القرآن وسيأتي حكم المسألتين .

(١) لسان العرب - (١٢ / ٦٧)

(٢) انظر تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد - (١ / ١٣٠)

(٣) انظر القول المفيد مع فتح المجيد (ص: ١٩٤ ، ٢٠١) .

(٤) انظر فتح الحميد (ص: ٤٩٣) الجزء الثاني .

(٥) انظر تيسير العزيز الحميد (ص: ١٣٣) .

حكم تعليق التمايم :

إذا كان المعلق من القرآن الكريم ففيه خلاف بين أهل العلم ، والصحيح أنه لا يجوز ، وسيأتي بيان ذلك قريباً إن شاء الله .

وإن كان المعلق من غير القرآن الكريم ، وهي أوتار وأوراق فيها طلاس وأسماء جن وغير ذلك مما تقدم ذكره ، فهذا شرك بالله سبحانه وتعالى ، وهو على قسمين :

شرك أكبر، وشرك أصغر.

فإن اعتقد أنها تدفع العين بنفسها فهو شرك أكبر ، وإن اعتقد أنها سبب فقط والله هو الذي يدفع العين والبلاء فهو شرك أصغر ، لأنه اتخذ سبباً لم يجعله الله سبباً .

قال العلامة ابن عثيمين : " هذا الشرك يكون أكبر إن اعتقد أنها ترفع أو تدفع بذاتها دون أمر الله ، وإلا فهو أصغر . " اهـ^(١)

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: " وفيه إنكار مثل هذا وإن كان يعتقد أنه سبب فالأسباب لا يجوز منها إلا ما أباحه الله تعالى ورسوله مع عدم الاعتماد عليها وأما التمايم والخيوط والحروز والطلاسم ونحو ذلك مما يعلقه الجهال فهو شرك يجب إنكاره وإزالته بالقول والفعل وإن لم يأذن فيه صاحبه " . اهـ^(٢)

الأحاديث في النهي عن تعليق التمايم :

الأول : ما رواه أحمد من حديث عقبة بن عامر- رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل إليه رهط فبايع تسعة وأمسك عن واحد ، فقالوا : يا رسول الله بايعت تسعة وأمسكت عن هذا ؟ فقال : " إن عليه تميمة فأدخل يده فقطعها فبايعه ، وقال : " من علق تميمة فقد أشرك " ^(٣) .

الثاني : ما جاء عند أبي داود عن زينب امرأة عبد الله بن مسعود- رضي الله عنهما- أن عبد الله رأى في عنقي خيطاً فقال : ما هذا ؟ فقلت : خيط رقي لي فيه قالت : فأخذه فقطعه ثم قال : أنتم آل عبد الله لأغنياء عن الشرك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إن الرقي والتمايم والتولة شرك " فقلت : لم تقول هكذا ؟ لقد كانت عيني تقذف وكنت أختلف إلى فلان اليهودي فإذا رقاها سكنت فقال عبد الله : إنما ذلك عمل الشيطان كان ينخسها بيده فإذا رقي كف عنها إنما كان يكفيك أن تقولي كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " أذهب البأس رب الناس واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقماً " ^(٤) .

الثالث : ما جاء من حديث عبد الله بن عكيم - رضي الله عنه - مرفوعاً (من تعلق شيئاً وُكِل إليه) ^(٥) .

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد - (١ / ١٧١) .

(٢) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد - (١ / ١١٤) .

(٣) صحيح صححه الألباني رقم (٤٩٢) .

(٤) صحيح صححه الألباني في صحيح الجامع (١٦٣٢) .

(٥) رواه الترمذي و حسنة الألباني في غاية المرام رقم (٢٩٧) .

الرابع : ما رواه الإمام أحمد عن رويغ - رضي الله عنه - قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا رويغ لعل الحياة ستطول بك فأخبر الناس أن من عقد لحيته أو تقلد وترأ أو استنجدى برجيع دابة أو عظم ، فإن محمداً بريء منه)^(١).

الخامس : عن أبي بشير الأنصاري ، رضي الله عنه ، أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره - قال عبد الله حسبت أنه قال - والناس في مبيتهم فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر ، أو قلادة إلا قطعت^(٢).

زاد أبو داود: (قال مالك: أرى أن ذلك من أجل العين)^(٣)

وروى وكيع عن حذيفة رضي الله عنه أنه دخل على مريض يعود ، فلمس عضده ، فإذا فيه خيط ، فقال : ما هذا ؟ قال : شيء رقي لي فيه ، فقطعه وقال : لو مت وهو عليك ، ما صليت عليك^(٤).

ففي الحديث الأول أمسك النبي صلى الله عليه وسلم عن مبيعة الرجل الذي عليه تميمة ، دل ذلك على نقص في توحيد الرجل ، فسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فعرف الرجل المانع فأزاله فبايعه .

قوله (من علق تميمة) الحديث عام ، فمهما كان المعلق فهو تميمة ، لأن (من) شرطية و(تميمة) نكرة في سياق الشرط يفيد العموم .

وسواء كان المعلق على ولد أو حيوان أو شجر أو بيت أو سيارة أو غير ذلك بقصد دفع العين فإن الحكم واحد.

قال الشيخ محمد حامد الفقي : "ومن هذا الباب ما يفعله الجاهليون اليوم من إلباس أولادهم خلاخل الحديد وغيره يعتقدون أن ذلك يحفظهم من الموت الذي أخذ إخوتهم الذين ماتوا قبلهم ، ومنه لبس حلقة الفضة للبركة أو لمنع البواسير ولبس خواتيم لها فصوص مخصوصة للحفاظ من الجن وغيرها"^(٥).

وقال : "ولا يزال هذا معتقداً عند أهل الجاهلية الثانية ، يتخذون خيوطاً يعقدونها بأيدي من اسمه محمد ثم يعقدونه أربعين عقدة ممن أسماؤهم محمد ويقراءون عند كل عقدة { قل هو الله أحد } ويزعمون أن ذلك نافع من العقم ، فلا تلبسه عقيم في زعمهم إلا وتحمل ، ومثله اتخاذ سبع من أنواع الحبوب تعلق في كيس مع سرية الطفل ، وأشبه ذلك كثير فاش فيمن يتسمون بأسماء إسلامية ، وهم من أجهل المشركين للشرك الأكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله اه"^(٦).

وقوله : (من تعلق تميمة) أي: من علقها متعلقاً بها قلبه ، في طلب خير أو دفع شر . اه"^(٧)

(١) رواه أبو داود ، والنسائي ، والطبراني ، في الكبير ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٧٩١٠) .

(٢) متفق عليه.

(٣) صححه الألباني.

(٤) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٥/٥) وإسناده لا بأس به .

(٥) انظر فتح المجيد مع القول المفيد تعليق محمد حامد الفقي (ص: ١٩٣) .

(٦) انظر المصدر السابق (ص: ١٩٥) بتصريف .

(٧) انظر فتح المجيد و القول المفيد (ص: ١٩٤) .

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله النجدي : "قال ابن عبد البر : إذا اعتقد الذي علقها أنها ترد العين فقد ظن أنها ترد القدر واعتقاد ذلك شرك وقال أبو السعادات إنما جعلها شركاً لأنهم أرادوا دفع المقادير المكتوبة عليهم وطلبوا دفع الأذى من غير الله الذي هو دافعه" اهـ^(١).

قوله في الحديث الثالث : (من تعلق شيئاً وكل إليه) أي من تعلق قلبه بشيء وكله الله إلى ذلك الشيء وخُذِل من قلبه ، سواء كان ذلك المتعلق به تميمة أو غيرها، ويكون صاحبه مشركاً شركاً أكبر أو أصغر ، وذلك بحسب ما يقوم في قلبه من التعلق على التفصيل المتقدم .

قال شيخ الإسلام وابن القيم : من تعلق قلبه بشيء أذله الله بذلك الشيء وخذله من قلبه أو كما قالوا .

الرُّقى :

قوله في الحديث : (إن الرقى ..) الحديث

المقصود بالرقية هنا هي الرقية الشركية ، إذ إن الرقى على قسمين :

١- رقية شرعية لها شروط ستأتي إن شاء الله تعالى .

٢- رقية ممنوعة وهي الشركية .

أما الرقية الشرعية : فهي آيات وأذكار وأدعية تقرأ على المريض مع شيء من النفث .

فقد جاء في صحيح مسلم عن عَوْفِ بْنِ مَالِكِ الْأَشْجَعِيِّ - رضي الله عنه - قَالَ كُنَّا نَرُقِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ تَرَى فِي ذَلِكَ فَقَالَ « اَعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ لَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ »^(٢).

وفي هذا الباب أحاديث كثيرة .

شروط الرقية الشرعية :

١- أن تكون بلسان عربي مبين وما يعرف معناه ، وأن لا يُدخل الراقى فيها كلمات غير مفهومة ، أو تمتمة غير واضحة .

٢- أن تكون بكلام الله أو بأسمائه وصفاته ولا تكون بأسماء الملائكة أو الجن أو غيرهم .

٣- أن لا يُعتمد عليها ولا يعتقد العبد أن الرقية تؤثر بذاتها ، وإنما بتقدير الله تعالى ، وأن لا يعتقد تأثير الراقى كذلك وإنما يتخذه سبباً .

والرقية الممنوعة : هي التي اختل فيها شرط أو أكثر من هذه الشروط .

قال السيوطي : " قد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط أن يكون بكلام الله أو بأسمائه وصفاته وباللسان العربي وبما يعرف معناه وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بتقدير الله تعالى" اهـ^(١)

(١) تيسير العزيز الحميد (ص: ١٢٧) .

(٢) مسلم (٢٢٠٠) .

وأكثر ما تحصل الرقية الشركية عند المشعوذين بتمتة وكلام لا يفهم معناه أو بكلام غير عربي فإذا حصل هذا من شخص فليعلم أنها رقية شركية وصاحبها مشعوذ ، وإن تخلل ذلك آيات قرآنية فلا يلتفت إليه فإنما هو تلبيس على الناس .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : "كل اسم مجهول فليس لأحد أن يرقى به فضلاً أن يدعو به ولو عرف معناه لأنه يكره الدعاء بغير العربية وإنما يرخص على من لا يحسن العربية ، فأما جعل الألفاظ العجمية شعاراً فليس من دين الإسلام. انتهى وسئل ابن عبدالسلام عن الحروف المقطعة فمنع منها ما لا يعرف لئلا يكون فيه كفر. اهـ^(٢)

وقال الشيخ صالح الفوزان - حفظه الله :- "وكيفيتها أن يقرأ وينفث على المريض ، أو يقرأ في ماء ويسفاه المريض" اهـ^(٣)

وقال الشيخ محمد حامد الفقي في تعليقه على الرقية الشركية : "وذلك مثل قول أرباب الطرق الصوفية كركدن ، كرددن ، ددهه ، أصباءوات ، أهياشراهايا ، جلجوت ، وأمثالها مما يقولون عنه أنه ذكر الله ، وهذا كله ليس في دين الله في شيء ، لأن الإسلام عربي مبين ، وهذا وغيره يدل على أن أصل هذه الطرق الصوفية ، خدعة يهودية هندية فارسية يونانية ، كادوا بها للمسلمين ففرقوهم شيعا وأحزابا وملئوا قلوبهم من الشرك في الإلهية والشرك في الربوبية ، فوصلوا من ذلك إلى ما يريدون من تقويض الدولة الإسلامية اهـ^(٤) .

الرقية الشركية :

هي المقصودة من النهي في الحديث المتقدم وهي ما اختل فيها شرط من شروط الرقية الشرعية .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله النجدي : "الرقى الموصوفة بكونها شركا هي الرقى التي منها شرك من دعاء غير الله والاستغاثة والاستعاذة به كالرقى بأسماء الملائكة والأنبياء والجن ونحو ذلك أما الرقى بالقرآن وأسماء الله وصفاته ودعائه والاستعاذة به وحده لا شريك له فليست شركا بل ولا ممنوعة بل مستحبة أو جائزة اهـ^(٥) .

والفرق بين الرقى والتائم: أن الرقى تكون بقراءة ونفث ، والتيممة تكون بكتابة طلسم وكلام شركي وتعليقه على ما يريدون دفع العين عنه ، أو تعليق أشياء ليس عليها كتابة كالخرز ونحوها ، وقد ينفث عليها برقية شركية فيجتمع الأمران ، كما سيأتي بيانه.

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد - (١ / ١٣٦)

(٢) انظر تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد - (١ / ١٣٦) .

(٣) التوحيد - للفوزان - (١ / ٨٥)

(٤) انظر فتح المجيد مع القول المفيد (ص: ٢٠٤) .

(٥) تيسير العزيز الحميد (١٣١) .

(التَّوَلَّى) :

فسرها الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي في كتاب التوحيد بأنها: شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها، والرجل إلى امرأته^(١)، وهي من الشرك كما في الحديث لأنها تكون باستخدام الشياطين والسحرة والاستعانة بهم .

قال الحافظ ابن حجر- رحمه الله - : التَّوَلَّى بكسر المثناة وفتح الواو واللام مخففاً - شيء كانت المرأة تجلب به محبة زوجها وهو ضرب من السحر وإنما كان ذلك من الشرك لأنهم أرادوا دفع المضار وجلب المنافع من غير الله اهـ^(٢) .

وقال الشيخ عثمان التميمي : "هي ضرب من السحر وقيل خيط يرقى فيه من السحر أو قرطاس - يعني ورقة - يكتب فيه شيء من ذلك" اهـ^(٣) .

قلت: وهذا هو عين ما يحصل في زماننا في باب التولية وذلك أن المرأة تذهب إلى الساحر فيكتب لها طلسم وأسماء شياطين وغير ذلك في ورق ثم توارى ذلك في مكان أو تمحيه في ماء أو طعام فيأكله زوجها وهو ما يسمى بالمحبة فيصير الرجل مسحوراً بحبها ولا يرتاح إلا إذا رآها أو سمع صوتها فيراها في أحسن صورة وينقاد لها كالبهيمة ، وهذا يحصل بتقدير الله إن أذن الله كونا بوقوع السحر، وعلى العكس إذا أراد شخص أن يفرق بين الرجل وزوجته فإنه يذهب إلى الساحر ويصنع له نفس الخطوات إلا أن هذه كراهية والأولى محبة فيكره الرجل زوجته وربما ضربها أو طلقها لأنه يراها في أقبح صورة وكلما رآها ضاقت عليه الأرض وهذا من فعل الشياطين وكأن الشيطان هو الذي يصورها له بأقبح صورة وينطق على لسانها بأقبح الكلام وسيء الأخلاق فيكرهها زوجها ثم يفارقها، وهذه هي الغاية التي يريدون تنفيذها وهي التفريق بين المرء وزوجه كما قال تعالى: "فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ [البقرة : ١٠٢]، وهذا النوع من السحر يسمى الأخذة ، إذ إن المؤخذ من البغض والتولية من الحب فذاك صرفاً وهذا عطف وكلاهما من السحر والشرك بالله رب العالمين، إلا أن الثاني جمع بين شرين أحدهما الشرك بالله والثاني التفريق بين الرجل وزوجته وهذا من الكبائر ، كما جاء من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ليس منا من خبب امرأة على زوجها أو عبداً على سيده)^(٤) .

ومعنى خبب: أي أفسد .

ومن التولية الشركية: ما يحصل بين الرجل وزوجته أو مخطوبته عند الزفاف أو عند الخطوبة بأن يأخذ دبله فيخلعها من أصبعه ثم يجعلها على أصبع مخطوبته زعماً أن ذلك يجلب المحبة والمودة بينهما .

(١) انظر كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد - (١ / ٢٥)

(٢) المصدر السابق (١٣٥) .

(٣) انظر فتح الحميد .

(٤) رواه أبو داود وصححه الألباني في الصحيحة رقم (٣٢٤) .

قال الشيخ ابن عثيمين : " التولة " : شيء يعلقونه على الزوج، يزعمون أنه يحبب الزوجة إلى زوجها والزوج إلى امرأته، وهذا شرك؛ لأنه ليس بسبب شرعي ولا قدرى للمحبة. ومثل ذلك الدبلة.

والدبلة: خاتم يشتري عند الزواج يوضع في يد الزوج، وإذا ألقاه الزوج؛ قالت المرأة: إنه لا يحبها؛ فهم يعتقدون فيه النفع والضرر، ويقولون: إنه ما دام في يد الزوج؛ فإنه يعني أن العلاقة بينهما ثابتة، والعكس بالعكس، فإذا وجدت هذه النية؛ فإنه من الشرك الأصغر، وإن لم توجد هذه النية - وهي بعيدة ألا تصحبها -؛ ففيه تشبه بالنصاري، فإنها مأخوذة منهم.

وإن كانت من الذهب؛ فهي بالنسبة للرجل فيها محذور ثالث، وهو لبس الذهب؛ فهي إما من الشرك، أو مضاهاة النصاري، أو تحريم النوع إن كانت للرجال، فإن خلت من ذلك؛ فهي جائزة لأنها خاتم من الخواتم. اهـ^(١).

أقسام الشرك في التولة :

١- شرك أكبر إذا اعتقد صاحبها أنها تجلب المحبة بنفسها .

٢- وإن اعتقد صاحبها أن هذه التولة سبب للمحبة، وإنما المحبة من الله فهذا شرك أصغر لأنه اتخذ سبباً لم يجعله الله سبباً، وقد يصل إلى حد الشرك الأكبر إذا أمره المشعوذ بالذبح للجن أو نحو ذلك .

قال ابن عثيمين : هي بحسب ما يريد الإنسان منها إن اتخذها معتقداً أن المسبب للمحبة هو الله فهو شرك أصغر وإن اعتقد أنها تفعل بنفسها فهي شرك أكبر اهـ^(٢).

وبقي حكم الذهاب إلى الذي يصنع التولة ، سيأتي في باب السحر والكهانة بما حاصله أنه حرام وقد يؤمر بشرك، وهو على تفصيل سيأتي بيانه إن شاء الله .

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد - (١ / ١٨١-١٨٢)

(٢) المصدر السابق (١٠٨) .

حكم المعلق إذا كان من القرآن الكريم :

ذهبت طائفة من أهل العلم إلى جواز ذلك ، وذهبت أخرى إلى عدم الجواز وهو الراجح ، وجزم بذلك المتأخرون ، واحتجوا بعموم النهي في الأحاديث المتقدمة وما في معناها .

قال الشيخ عبدالرحمن آل الشيخ : "هذا هو الصحيح - يعني عدم جواز تعليق شيء من القرآن - لوجوه ثلاثة تظهر للمتأمل :

الأول : عموم النهي ولا مخصص للعموم .

الثاني : سداً للذريعة ، فإنه يفضي إلى تعليق ما ليس كذلك - يعني من التمايم الشركية - .

الثالث : أنه إذا تعلق فلا بد أن يمتهنه المعلق بحمله معه في قضاء الحاجة والاستتجاء ونحو ذلك اهـ^(١).

وقال العلامة صالح الفوزان - حفظه الله - : "وقد يكون المعلق من القرآن؛ فإذا كان من القرآن؛ فقد اختلف العلماء في جوازه وعدم جوازه، والراجح عدم جوازه؛ سداً للذريعة؛ فإنه يفضي إلى تعليق غير القرآن، ولأنه لا مخصص للنصوص المانعة من تعليق التمايم؛ كحديث ابن مسعود رضي الله عنه؛ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إن الرقي والتمايم والتولة شرك) . رواه أحمد وأبو داود . وعن عقبة بن عامر مرفوعاً : (من علق تميمة؛ فقد أشرك) . وهذه نصوص عامة لا مخصص لها" اهـ^(٢).

وذهب بعضهم إلى أن تعليق القرآن بدعة ، لأنه لم يكن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح.

أقسام التعلق بغير الله :

ذكر ابن عثيمين : ثلاثة أقسام من أقسام التعلق بغير الله :

الأول: ما ينافي التوحيد من أصله، وهو أن يتعلق بشيء لا يمكن أن يكون له تأثير، ويعتمد عليه اعتماداً معرضاً عن الله، مثل تعلق عباد القبور بمن فيها عند حلول المصائب، ولهذا إذا مستهم الضراء الشديدة يقولون: يا فلان! أنقذنا؛ فهذا لا شك أنه شرك أكبر مخرج من الملة.

الثاني: ما ينافي كمال التوحيد، وهو أن يعتمد على سبب شرعي صحيح مع الغفلة عن المسبب، وهو الله عزوجل وعدم صرف قلبه إليه؛ فهذا نوع من الشرك، ولا نقول شرك أكبر؛ لأن هذا السبب جعله الله سبباً.

(١) فتح المجيد مع القول المفيد (ص: ٢٠٥) .

(٢) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد - (١ / ٩١) .

الثالث: أن يتعلق بالسبب تعلقاً مجرداً لكونه سبباً فقط، مع اعتماده الأصلي على الله؛ فيعتقد أن هذا السبب من الله، وأن الله لو شاء لأبطل أثره، ولو شاء لأبقاه، وأنه لا أثر للسبب إلا بمشيئة الله عزوجل؛ فهذا لا ينافي التوحيد لا كاملاً ولا أصلاً، وعلى هذا لا إثم فيه.

ومع وجود الأسباب الشرعية الصحيحة، ينبغي للإنسان أن لا يعلق نفسه بالسبب، بل يعلقها بالله. فالموظف الذي يتعلق قلبه بمرتبته تعلقاً كاملاً، مع الغفلة عن المسبب، وهو الله، قد وقع في نوع من الشرك. أما إذا اعتقد أن المرتب سبب، والمسبب هو الله - سبحانه وتعالى -، وجعل الاعتماد على الله، وهو يشعر أن المرتب سبب؛ فهذا لا ينافي التوكل. وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يأخذ بالأسباب مع اعتماده على المسبب، وهو الله عزوجل "اه^(١) .

قلت: ويلحق بالقسم الأول تعليق التمانم والاعتماد عليها بأنها تدفع الشر من عين أو جن بنفسها، وهذا لا شك أنه شرك أكبر مخرج من الملة. ومن فعل سبباً غير شرعي ولم يعتمد عليه وإنما اعتمد على الله في دفع هذا الشر فهذا يخدش في توحيده وينقصه؛ لأنه اتخذ سبباً لم يشره الله، ومن فعل سبباً شرعياً دون الاعتماد عليه وإنما يعتمد على الله فهذا محمود فلا يخدش في توحيد صاحبه، وهذا القسم يلحق بالقسم الثالث الذي ذكره العثيمين وهو القسم المحمود والمطلوب شرعاً ، وعلى هذا التفصيل قيس .

قوله في الحديث (أَنْ لَا يَبْقِيَنَّ فِي رَقَبَةٍ بَعِيرٍ قِلَادَةً مِنْ وَتَرٍ ، أَوْ قِلَادَةً إِلَّا قُطِعَتْ)

هذا أيضاً من التمانم الشركية كانوا إذا خلولفت الأوتار - أي بليت - علقوها على رقاب الأبعرة لدفع العين ، فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وأمرهم بقطعها ، إعلماً لهم بأنها لا تدفع شراً ولا تنفع ولا تضر ، وهو نظير ما يحصل في هذا الزمان من تعليق الخيوط والحبال والأوتار وكذلك النعال البالية ونحو ذلك على رقاب المواشي لدفع العين لكونها سميكة أو كثيرة اللين أو نحو ذلك ، وهذا كله من التعلق بغير الله وهو من الشرك كما تقدم.

قال الشيخ محمد حامد الفقي - رحمه الله - : وأصل معنى القلادة ما يوضع في العنق من الحلبي والزينة للنساء ، والحبل يوضع في عنق الدابة لتقاد به ومثل ذلك ما يعلق بعض الناس اليوم على السيارات من صورة قرد ونحوه، وما يضعه بعضهم على أبواب البيوت والحوانيت من حذوة حمار أو حصان وتعليق سنابل من الحنطة أو غير ذلك ، كله من عمل الجاهلية المنهي عنها أشد النهي ، وقد يصل إلى الشرك الأكبر عند بعضهم حين يعتقد فيه أنه هو الذي يدفع حقيقة الضر والسوء "اه^(٢) .

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد - (١ / ١٨٣-١٨٤).

(٢) انظر فتح المجيد مع القول المفيد (ص: ٢٠٢) .

تمائم عصرية :

هناك تمائم كثيرة منتشرة في هذا الزمان نذكر منها ما كان أكثر ظهوراً وأوسع انتشاراً :

- منها: أخذ العروسين جنبيّةً أو سيفاً أو حديدةً لدفع العين أو لدفع الجن ، فأما المرأة فتأخذ الجنبيّة، وأما الرجل فيأخذ الحديدة وكذلك السيف ، وكل هذا من أجل دفع العين أو الجن عن العروسين، فأما السيف إن أخذه الرجل بقصد دفع العين أو الجن فهذا من الشرك كما تقدم ، وإن أخذه للزينة فلا بأس به ، إلا أنه قد يكون ذريعة للشرك فالأولى تركه .

- ومنها: غرز سلسله من الحديد على جدار البيت عند الانتهاء من بنائه لدفع الجن لئلا يدخلوا البيت .

- ومنها: تعليق السنابل أو بعض الثمار اليابسة أو قرون المواشي على سقف البيت أو خيوط أو نحو ذلك .

- ومنها: تعليق النعال على الشجرة المثمرة وعلى الحيوانات وتعليق الأجراس أيضاً لدفع العين.

- ومنها: وضع خرزات ومساح توضع على مفاتيح السيارات لقصد دفع العين .

- ومنها: وضع بعض الكتابات على أشياء لدفع العين ، فمثلاً يكتبون على السيارة أو على البيت : (عين الحسود تبلى بالعمى) هذه العبارة ظاهرها السلامة ، لكن بعضهم يقصد بها دفع العين فتصير شركاً .

- ومنها: أوراق طويلة مكتوب عليها طلاس وأسماء جن وأسماء ملائكة ثم تلف في خرقة ويخيط عليها ثم تعلق على الأولاد أو الحيوانات، وربما علقت على الكبار وهي ما تسمى بالحروز .

- ومنها: خيوط من صوف أو من مطاط أو من شعر يربط على اليد أو على الرجل لدفع العين أو لدفع الحمى أو ضربات العروق ومنها تعليق الملح والحلتيت والأوتار والصدف والودع وما أشبه ذلك .

وبالجملة كل هذا مؤداه واحد وهو لدفع الضر من عين ونحوها وحكمه شرك على التفصيل المتقدم، إذ لا يدفع الضر إلا الله سبحانه وتعالى وحده ولا يجلب النفع إلا هو .

فصل: في العين والعائن والمعيون

العين حق وقد تورد الرجل القبر وتورد الجمل القدر كما ثبت ذلك من حديث جابر - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "العين تدخل الرجل القبر و تدخل الجمل القدر"^(١)

وأكثر ما يموت من الناس بعد قدر الله بسبب العين كما صح ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث جابر أيضا أنه قال: "أكثر من يموت من أمتي بعد قضاء الله و قدره بالعين"^(٢)

والعين منها خبيثة تقتل ومنها ما تمرض، وقد تقع العين من رجل صالح فلينتبه لهذا فقد حصل ذلك من عامر بن ربيعة - رضي الله عنه - وهو صحابي جليل كما سيأتي .

ولكن لا سبيل لدفعها إلا بالأسباب الشرعية التي وردت في الكتاب والسنة.

الأسباب الشرعية لدفع العين قبل وقوعها :

- من ذلك: قراءة الأذكار الشرعية أذكار اليوم والليلة ، من أذكار الصباح والمساء والنوم والدخول والخروج والركوب وأذكار الطعام وغير ذلك .

فقد روى البخاري ومسلم أبي هريرة - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ لَهُ عِدَّةٌ عَشْرَ رِقَابٍ وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلٍ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ".

الشاهد قوله : " وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ"

والأدلة في هذا الباب كثيرة جدا.

- ومنها أنه إذا أعجب العبد شيء أو استحسسه - ولو من نفسه وولده - أن يُبرك فيقول : اللهم بارك أو يقول : ما شاء الله.

لما ثبت من حديث عامر بن ربيعة - رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إذا رأى أحدكم من نفسه أو ماله أو من أخيه ما يعجبه فليدع له بالبركة فإن العين حق "^(٣)

وقال تعالى: "وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ تَرَنَّا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا" [الكهف : ٣٩]

قال المفسر ابن كثير- رحمه الله - : "هذا تحضيض وحث على ذلك، أي: هلا إذا أعجبتك حين دخلتها ونظرت إليها حمدت الله على ما أنعم به عليك، وأعطاك من المال و الولد ما لم يعطه غيرك، وقلت: { مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ

(١) رواه ابن عدي و أبو نعيم في " الحلية " وصححه الألباني

(٢) رواه الطيالسي وغيره وصححه الألباني.

(٣) رواه الحاكم وغيره وصححه الألباني.

إِلَّا بِاللَّهِ { ؛ ولهذا قال بعض السلف: من أعجبه شيء من حاله أو ماله أو ولده أو ماله، فليقل: { مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ { وهذا مأخوذ من هذه الآية الكريمة" (١).

- ومن الأسباب أيضاً عدم تجميل الأولاد الذين يُخشى عليهم من العين.

قال العثيمين: "وإذا كان الإنسان يلبس أبنائه ملابس رثة وبالية خوفاً من العين؛ فهل هذا جائز؟ الظاهر أنه لا بأس به؛ لأنه لم يفعل شيئاً، وإنما ترك شيئاً، وهو التحسين والتجميل وقد ذكر ابن القيم أن عثمان بن عفان رضي الله عنه رأى صبياً مليحاً فقال: (دسموا نونته) - أي غيروا ملامح وجهه - والنونة هي التي تخرج في الوجه عندما يضحك الصبي كالنقرة ، ومعنى دسموا أي سودوا" اهـ (٢).

قال الشيخ عثمان التميمي: "ولا مانع من السعي بفعل الأسباب بإزالة المحذور بهذه الأسباب التي لا تضاد أمر الله ، كما فعل عثمان - رضي الله عنه - حينما قال للصبي: دسموا نونته ، فأمرهم بإزالة ما في جماله التي تقع فيه العين بتسويد نونته فلا يبقى فيه للعين موضع اهـ مختصراً (٣).

وهذا من باب العمل بالأسباب الشرعية ، ومن هذه الأسباب تعويد الأولاد بكلمات الله التامة ، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يُعوِّذ الحسن والحسين - رضي الله عنهما - فقد ثبت عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين يقول: " أعيدكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ويقول: هكذا كان إبراهيم يعوذ إسحق وإسماعيل عليهم السلام" (٤).

الأسباب الشرعية لدفع العين بعد وقوعها:

وإن قدر الله بوقوع العين فعلاجها بطريقتين:

الأولى: بالأخذ من وضوء العائن أو غسل داخله إزاره.

الثانية: بالرقية الشرعية من القرآن والسنة، والمداومة على الأذكار، كأذكار الصباح والمساء وأذكار اليوم والليلة والدعاء ونحو ذلك فيها تزول العين بإذن الله .

أما دليل الطريقة الأولى:

ما جاء عن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي - صلى الله عليه وسلم- قَالَ « الْعَيْنُ حَقٌّ وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابَقَ الْقَدَرَ سَبَقْتَهُ الْعَيْنُ وَإِذَا اسْتُغْسِلْتُمْ فَاغْسِلُوا » (٥).

(١) تفسير ابن كثير / دار طيبة - (٥ / ١٥٨).

(٢) ذكره ابن القيم في زاد المعاد (٤ / ١٥٤)، وانظر فتح المجيد مع القول المفيد (ص: ٢٠٤) .

(٣) انظر فتح الحميد (ص: ٤٩٥) .

(٤) رواه الترمذي وغيره وصححه الألباني.

(٥) رواه مسلم.

وعن عائشة - رضي الله عنها-: " قالت كان يؤمر العائن فيتوضأ ثم يغتسل منه المَعين " (١).

وعن أبي أمامة بن سهل بن حنيف قال مر عامر بن ربيعة بسهل بن حنيف وهو يغتسل فقال: لم أر كاليوم ولا جلد مخبأه فما لبث أن لبط (٢) به فأتى به النبي صلى الله عليه و سلم فقيل له: أدرك سهلاً صريعاً قال: " من تتهمون به؟" قالوا عامر بن ربيعة قال: "علام يقتل أحدكم أخاه إذا رأى أحدكم من أخيه ما يعجبه فليدع له بالبركة" ثم دعا بماء فأمر عامراً أن يتوضأ فيغسل وجهه ويديه إلى المرفقين وركبتيه وداخله إزاره وأمره أن يصب عليه قال سفيان قال معمر عن الزهري وأمره أن يكفأ الإناء من خلفه" (٣) فقام يمشي مع الناس ليس به بأس.

قال العثيمين - رحمه الله - : "ويستعمل للعين طريقة أخرى غير الرقية، وهو الاستغسال، وهي أن يؤتى بالعائن، ويطلب منه أن يتوضأ، ثم يؤخذ ما تنأثر من الماء من أعضائه، ويصب على المصاب، ويشرب منه، ويبرأ بإذن الله. وهناك طريقة أخرى، ولا مانع منها أيضاً، وهي أن يؤخذ شيء من شعاره، أي: ما يلي جسمه من الثياب، كالثوب، والطاقيّة، والسرّوال، وغيرها، أو التراب إذا مشى عليه وهو رطب، ويصب على ذلك ماء يرش به المصاب أو يشربه، وهو مجرب" اهـ (٤).

إصابة العين للجماذ والحيوان وعلاجها:

(١) رواه أبو داود وصححه الألباني.

(٢) لبط: أي صرع.

(٣) رواه ابن ماجه وغيره وصححه الألباني.

(٤) القول المفيد على كتاب التوحيد - (١ / ٩٩).

إن العين قد تصيب بعض الجمادات بقدر الله، كالببوت والناقلات والمركبات ونحوها، وكذلك الحيوانات، والسبيل إلى دفع العين عنها، هو ذكر الله تعالى، وأن يبرك عليها العبد ويدعو الله أن يبارك له فيها، فلا أفضل من ذكر الله لدفع العين عن الإنسان والحيوان والجماد، فإذا ركب سيارته مثلا أو شغلها قال: بسم الله، ولا بأس من قراءة القرآن في المركب أو المنزل أو نحو ذلك لهذا الغرض، فإنه حصن حصين من العين والشياطين بإذن الله رب العالمين، ومن ذلك أن الإنسان إذا اشترى شيئا قال: اللهم إني أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه.

لما ثبت عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «إِذَا تَزَوَّجَ أَحَدُكُمْ امْرَأَةً أَوْ اشْتَرَى خَادِمًا فَلْيَقُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَمِنْ شَرِّ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ وَإِذَا اشْتَرَى بَعِيرًا فَلْيَأْخُذْ بِذِرْوَةِ سَنَامِهِ وَلْيَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ». قَالَ أَبُو دَاوُدَ زَادَ أَبُو سَعِيدٍ «تُمْ لِيَأْخُذَ بِنَاصِيَتَيْهَا وَلْيَدْعُ بِالْبَرَكَةِ». فِي الْمَرْأَةِ وَالْخَادِمِ. (١)

والحديث عام في كل ما اشتراه العبد مما قد يحصل فيه الشر أو الضرر، فللعبد أن يدعو له بالبركة ويسأل الله خيره ويستعيذ به من شره والله أعلم.

قال الشيخ عبد المحسن العباد عند شرحه لهذا الحديث: "وكذلك السيارة والسائق ونحوهما يدعى بالبركة فيهم ويسأل الله تعالى خيرهم ويستعاذ به من شرهم." (٢)

المبحث الثاني :

(١) رواه أبو داود وابن ماجه وحسنه الألباني.

(٢) شرح سنن أبي داود - عبد المحسن العباد - (١٢ / ١٥٠)

الكهانة والعرافة وما يتعلق بهما .

معنى الكاهن والعراف :

أولا معنى العرّاف:

قال البغوي : " العراف : الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة " (١).

وقال الشيخ عثمان بن عبد العزيز التميمي : "العراف عند العرب اسم عام يدخل في مسماه الكاهن والمنجم وغيرهما ، حتى إنهم يسمون الطبيب عرافاً ، وربما دعوه كاهناً كما قال عروة بن حزام :

جَعَلْتُ لِعَرَّافِ الْيَمَامَةِ حُكْمَهُ*** وَعَرَّافٍ نَجِدُ إِذْ هُمَا شَفِيَانِي

وهذا الأخير غير داخل في جملة النهي ، وإنما هو مغالطة في الأسماء .. اهـ (٢).

وقال الإمام أحمد: " العراف طرف من السحر ، والساحر أخبث" اهـ .

وقال أبو السعادات: " العراف المنجم، والحازر الذي يدعي علم الغيب وقد استأثر الله تعالى به" اهـ .

وقال ابن القيم :من اشتهر بإحسان الزجر عندهم سموه عائفاً وعرافاً" اهـ (٣).

وقال ابن عثيمين : "والعراف: صيغة مبالغة من العارف، أو نسبة؛ أي: من ينتسب إلى العرافة.

والعراف قيل: هو الكاهن، وهو الذي يخبر عن المستقبل. وقيل: هو اسم عام للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ممن يستدل على معرفة الغيب. بمقدمات يستعملها، وهذا المعنى أعم، ويدل عليه الاشتقاق؛ إذ هو مشتق من المعرفة، فيشمل كل من تعاطى هذه الأمور وادعى بها المعرفة. اهـ (٤).

قال شيخ الإسلام : العراف اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهما ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق اهـ (٥).

ثانيا معنى الكاهن:

(١) شرح السنة (١٨٢/١٢) رقم (٣٢٥٩) .

(٢) فتح الحميد (١١٤٦/٣) .

(٣) انظر فتح الحميد مع القول المفيد (ص: ٥٢٠).

(٤) القول المفيد على كتاب التوحيد - (١ / ٥٣٢).

(٥) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٧١/٣٥) .

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي - رحمه الله -: والكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل ، وقيل الذي يخبر عما في الضمير" اهـ^(١) .

وقال الخطابي : " الكاهن فيما علم بشهادة الامتحان لهم : قوم لهم أذهان حادة ، ونفوس شريرة وطبائع نارية ، فهم يفتنون إلى الجن في أمورهم ويستفتونهم في الحوادث فيلقون إليهم الكلمات" اهـ^(٢) .

وقال الشيخ عثمان التميمي : الكاهن هو الذي يدعي مطالعة علم الغيب ويخبر الناس عن الكوائن قبل وقوعها ، وكان في العرب كهنة يدعون أنهم يعرفون كثيراً من الأمور ، فمنهم من كان يزعم أن له رؤياً من الجن وتابعة يلقي إليه الأخبار لأنه يتراءى لصاحبه ويتصور له ..

ومن الكهان من يدعي أنه يستدرك الأمر بفهم أعطيّه ونحو ذلك ، وغالبهم يتلقاه من الشياطين ، كشق وسطيح وغيرهما من كهان العرب ، فمن أتى كاهناً متصفاً بالكهانة المذمومة فصدقه بما يقول ، وظاهر هذا ولولم يسأله بل أخبره بديهية ، أو صدقه بما يقول لغيره فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم اهـ^(٣) .

وقال موفق الدين ابن قدامة : " أما الكاهن فهو الذي له رأي من الجن يأتيه بالأخبار ، والعراف الذي يحس ويتخرص .

وقد قال الإمام أحمد في رواية حنبل في العراف والكاهن : أرى أن يستتاب من هذه الأفاعيل ، قيل له : يقتل ؟ قال : لا ، يحبس لعله يرجع .

قال والعرافة : طرف من السحر ، والساحر أخبث لأن السحر شعبة من الكفر" اهـ^(٤)

وقال الشيخ عبد الرحمن آل الشيخ : "والمقصود من هذا : معرفة أن من يدعى معرفة علم الشيء من المغيبات فهو إما داخل في اسم الكاهن وإما مشارك له في المعنى فيلحق به وذلك أن إصابة المخبر ببعض الأمور الغائبة في بعض الأحيان يكون بالكشف ومنه ما هو من الشياطين ويكون بالفأل والزجر والطيرة والضرب بالحصى والخط في الأرض والتنجيم والكهانة والسحر ونحو هذا من علوم الجاهلية، ونعنى بالجاهلية كل من ليس من أتباع الرسل عليهم السلام كالفلاسفة والكهان والمنجمين وجاهلية العرب الذين كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فإن هذه علوم لقوم ليس لهم علم بما جاءت به الرسل صلى الله عليهم وسلم وكل هذه الأمور يسمى صاحبها كاهناً أو عرافاً أو في معناهما فمن أتاهم فصدقهم بما يقولون لحقه الوعيد، وقد ورث هذه العلوم عنهم أقوام فادعوا بها علم الغيب الذي استأثر الله بعلمه وادعوا أنهم أولياء وأن ذلك كرامة" اهـ^(٥)

وعلى هذا يتبين مما تقدم أن العراف أعز من الكاهن ، والكاهن أخص ، وكلاهما في الحكم سواء ، وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله .

(١) انظر كتاب التوحيد (ص: ٥٣) .

(٢) انظر تيسير العزيز الحميد .

(٣) انظر فتح الحميد (١١٤٨/٣ ، ١١٥١) .

(٤) انظر المغني لابن قدامة (٣٠٥/١٢) وانظر فتح الحميد (١١٥٧/٣) .

(٥) فتح الحميد شرح كتاب التوحيد - (١ / ٢٨٥) .

حكم العراف والكاهن ومن أتى إليهم :

وأما الكهنة والعرافون فإنهم كفار ومشركون بالله رب العالمين، وشركهم هو في الأسماء والصفات لأنهم يزعمون مشاركة الله في صفة من صفاته وهي ادعاء علم الغيب الذي اختصه الله لنفسه واستأثر به دون غيره، وهذا هو الأصل وإلا فإنهم يقعون في شرك الألوهية من حيث أنهم يصرفون كثيراً من العبادات لغير الله من المردة والشياطين وغيرهم، ويعتقدون اعتقادات شركية ويتلفظون بألفاظ شركية أغلبها في الألوهية، ويأمرون من يأتيهم بصرف عبادات لغير الله تعالى من ذبح ونذر وغير ذلك، وربما وقعوا في شرك الربوبية من حيث أنهم يعتقدون أن غير الله ينفع أو يضر ونحو ذلك، فيقعون في شرك الألوهية والربوبية والأسماء والصفات، فهؤلاء دجالون قد جمعوا الشر كله، فكيف يسوغ لمسلم أن يذهب إليهم ويسألهم ويتداوى عندهم؟!.

قال علماء اللجنة الدائمة: " الكاهن : من يزعم أنه يعلم المغيبات أو يعلم ما في الضمير ، وأكثر ما يكون ذلك ممن ينظرون في النجوم بمعرفة الحوادث ، أو يستخدمون من يسترقون السمع من شياطين الجن ومثل هؤلاء من يخط في الرمل وينظر في الفنجان أو في الكف ومن يفتح الكتاب زعماً منهم أنهم يعرفون بذلك الغيب وهم كفار بزعمهم أنهم شاركوا الله في صفة من صفاته الخاصة به ، وهي علم الغيب ، ولتكذيبهم بقوله تعالى : { قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ } [النمل : ٦٥] وقوله: { وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ } [الأنعام : ٥٩]

وأما من ذهب إليهم ففيه تفصيل:

١- من أتاهم وسألهم دون تصديق فالحكم محرم وكبيرة من الكبائر ولا يقبل له صلاة أربعين يوماً ، لما جاء في مسلم عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم : (من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يوماً) (١) .

٢- من أتاهم وصدقهم سواء سألهم أم لم يسألهم أو صدقهم بسؤال غيره لهم فهو كافر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن الكريم لما جاء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه فيما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد) (٢) .

ومن أتاه وصدقهم بما يقول من الكهانة فهو كافر أيضاً وهؤلاء لا تجوز الصلاة خلفهم ولا تصح ، وعلى من صلى وراءهم وهو يعلم أن يستغفر الله ويعيدها" اهـ (٣) .

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله عند حديث أبي هريرة المتقدم: "وفيه دليل على كفر الكاهن والساحر والمصدق لهما لأنهما يدعيان علم الغيب وذلك كفر والمصدق لهما يعتقد ذلك ويرضى به وذلك كفر أيضاً" اهـ (٤)

بعض ما يتعلق بالحديث الأول :

(١) صحيح مسلم (٢٢٣٠) .

(٢) صحيح رواه أبو داود (٣٩٠٤) وصححه الألباني

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة (٣٩٣/١) .

(٤) تيسير العزيز الحميد (ص: ٣٥١) .

قوله: (من أتى عرفاً)

قال الشيخ سليمان: "ظاهر الحديث أن هذا الوعيد مرتب على مجيئه وسؤاله سواء صدقه أو شك في خبره؛ لأن إتيان الكهان منهي عنه كما في حديث معاوية بن الحكم السلمي، قلت يا رسول الله إن منا رجلاً يأتون الكهان قال: " فلا تأتهم" رواه مسلم ولأنه إذا شك في خبره فقد شك في أنه لا يعلم الغيب وذلك موجب للوعيد بل يجب عليه أن يقطع ويعتقد أنه لا يعلم الغيب إلا الله" اهـ^(١).

قوله: (فسأله) قال العلامة عبدالعزيز بن باز- رحمه الله - : ورواية مسلم تدل على أن السؤال المجرد لا يجوز؛ لأن فيه رفعاً من شأنهم ، وسؤالهم وسيلة إلى تصديقهم وتعظيمهم ، ولما يقومون به من شعوزة ، فينبغي تركهم وتناسيهم ، وعند مسلم عن معاوية بن الحكم (ليسوا بشيء فلا تأتوا الكهان)^(٢) احتقاراً لهم وإعراضاً عنهم وإماتة لهم ولشأنهم" اهـ^(٣).

قوله: (فلن تقبل له صلاة أربعين يوماً)

سؤال: هل معناه أن صلاته باطلة غير مجزئة ، وهل له أن يتركها في هذه الفترة ؟

الجواب: أن الصلاة صحيحة ومجزئة ، لكن لا ثواب له فيها، ولا يجوز له تركها، فإن تركها فقد وقع في كبيرة أخرى.

قال الإمام النووي وغيره: "معناه أنه لا ثواب له فيها وإن كانت مجزئة في سقوط الفرض عنه ولا يحتاج معها إلى إعادة ، ونظير هذا، الصلاة في الأرض المغصوبة مجزئة مسقط للقضاء ، لكن لا ثواب له فيها" اهـ^(٤).

وقال الشيخ عثمان التميمي: "لا يلزم من عدم القبول عدم الصحة ، فعدم القبول لهذا الحديث لأجل اقترانها بالمعصية وأما صحتها فوجود شروطها وأركانها المستلزمة لصحتها ، فلا تناقض في ذلك ، ويظهر أثر عدم القبول في سقوط الثواب ، وأثر الصحة في سقوط القضاء وفي أنه لا يعاقب عقوبة تارك الصلاة قال ذلك ابن الصلاح وغيره من العلماء رحمهم الله اهـ^(٥).

وقال ابن عثيمين: "نفي القبول هنا هل يلزم منه نفي الصحة أو لا؛ نقول: نفي القبول إما أن يكون لفوات شرط، أو لوجود مانع؛ ففي هاتين الحالين يكون نفي القبول نفياً للصحة، كما لو قلت: من صلى بغير وضوء لم يقبل الله صلاته، ومن صلى في مكان مغصوب لم يقبل الله صلاته عند من يرى ذلك.

وإن كان نفي القبول لا يتعلق بفوات شرط ولا وجود مانع؛ فلا يلزم من نفي القبول نفي الصحة، وإنما يكون المراد بالقبول المنفي: إما نفي القبول التام؛ أي: لم تقبل على وجه التمام الذي يحصل به تمام الرضا وتمام المثوبة، وإما أن يراد به أن هذه السيئة التي فعلها تقابل تلك الحسنة في الميزان، فتسقطها، ويكون وزرها موازياً لأجر تلك الحسنة، وإذا لم يكن له أجر صارت كأنها غير مقبولة، وإن كانت مجزئة ومبرئة للذمة، لكن الثواب

(١) المصدر السابق (٣٤٧) .

(٢) لفظ (ليسوا بشيء) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها (٢٢٢٨) ولفظ (فلا تأتوهم الكهان) من حديث معاوية رضي الله عنه (٧٥٣) .

(٣) شرح كتاب التوحيد لابن باز (ص: ١٣٩) .

(٤) انظر تيسير العزيز الحميد (ص: ٣٤٧) وانظر فتح المجيد مع القول المفيد (ص: ٥١٤) .

(٥) انظر فتح الحميد (١١٤٧/٣) ، وانظر فتح الباري لأبن حجر (٢٣٥/١) ، والديباج على صحيح مسلم للسيوطي (٨٩/١) .

الذي حصل بها قوبل بالسيئة فأسقطته. ومثله قوله صلى الله عليه وسلم " من شرب الخمر، لم تقبل له صلاة أربعين يوماً " (١) . اهـ (٢) .

فعلم من هذا أن من ذهب إلى الكهان أو سألهم أنه لا يجوز له أن يترك الصلاة في هذه الفترة خلال الأربعين يوماً .

حقيقة ما عليه الكهان والعرافون :

قد يقول قائل : إن الكهان والعرافين ونحوهم يخبرون بالشيء ربما يقع حقاً كما يخبرون ، فكيف ذلك ؟

الجواب : قد بين ذلك النبي صلى الله عليه وسلم غاية البيان .

من ذلك: ما جاء في صحيح البخاري ومسلم من حديث عائشة ، رضي الله عنها، قالت سألت أناس النبي : عن الكهان فقال: " إنهم ليسوا بشيء " فقالوا يا رسول الله فإنهم يحدثون بالشيء يكون حقاً قال فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " تلك الكلمة من الحق يخطئها الجن فيأقروها في أذن وليه كقرقرة الدجاجة فيخلطون فيه أكثر من مئة كذبة. " (٣) .

ومنها: ما جاء عند البخاري من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : إن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوان فإذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا للذي قال الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترق السمع ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض - ووصف سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه - فيسمع الكلمة فيلقها إلى من تحته ثم يلقها الآخر إلى من تحته حتى يلقها على لسان الساحر ، أو الكاهن فربما أدرك الشهاب قبل أن يلقها ، وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مئة كذبة فيقال أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التي سمع من السماء. (٤) .

ومنها: ماجاء عند مسلم من حديث عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال أخبرني رجل من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم- من الأنصار أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم- رمى بنجم فاستنار فقال لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم- « ماذا كنتم تقولون في الجاهلية إذا رمى بمثل هذا ». قالوا الله ورسوله أعلم كنا نقول ولد الليلة رجل عظيم ومات رجل عظيم فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- « فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته ولكن ربنا تبارك وتعالى اسمه إذا قضى أمراً سبح حمله العرش ثم سبح أهل السماء الذين يلوونهم حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا ثم قال الذين يلوون حمله العرش لحمله العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم ماذا قال - قال - فيستخبر بعض أهل السموات بعضاً حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا

(١) رواه الترمذي وغيره وصححه الألباني .

(٢) انظر فتح الحميد مع القول المفيد (ص: ٥١٤) .

(٣) البخاري (٧١٢٢) ومسلم (٢٢٢٨) .

(٤) البخاري (٤٧٠١ ، ٤٨٠٠ ، ٧٤٨١) .

فَتَخَطَفُ الْجِنُّ السَّمْعَ فَيَقْدِفُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ وَيُرْمُونَ بِهِ فَمَا جَاءُوا بِهِ عَلَى وَجْهِهِ فَهُوَ حَقٌّ وَلَكِنَّهُمْ يَقْرَفُونَ فِيهِ وَيَزِيدُونَ» (١). ومعنى يقرفون : يخلطون فيه الكذب .

ومنها : ما جاء في صحيح البخاري عن أم المؤمنين عائشة ، رضي الله عنها ، زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِلُ فِي الْعَنَانَ ، وَهُوَ السَّحَابُ - فَتَذْكُرُ الْأَمْرَ قُضِيَ فِي السَّمَاءِ فَتَسْتَرْقُ الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ فَتَسْمَعُهُ فَتُوحِيهِ إِلَى الْكُهَّانِ فَيَكْذِبُونَ مَعَهَا مِئَةَ كَذْبَةٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ" (٢) .

وكل هذا بتقدير الله عز وجل ومشيبته الكونية ابتلاءً لعباده فقد يخطف الجني الكلمة وقد يمنع من ذلك، وإذا خطفها قد يلقبها على لسان الساحر فيخلط معها مائة كذبة، وقد يدركه الشهاب قبل أن يلقبها على الساحر كما جاء مبينا في حديث أبي هريرة المتقدم .

قال العلامة ابن باز - رحمه الله - : " وهذا امتحان من الله لعباده وإلا لو شاء ما استرقوا شيئا" اهـ (٣) .

فالحاصل من هذه الأحاديث أن الملائكة يتكلمون في السماء وفي السحاب بالأمر يقضيه الله فيسمعه مسترق السمع من الجن فيلقبها على لسان الكاهن فيخلط معه مائة كذبة فيصدقها الناس بمصادفة تلك الكلمة من الحق للواقع ، ويغتر بذلك الجاهلون ويحتجون بهذه المصادفة على تصديق الكهنة والمشعوذين .

ففيه سرعة إقبال كثير من الناس على الباطل وزهدهم في الحق إلا من رحم الله، فتراهم ينجر فون نحو الباطل بمصادفة واحد في المائة من الواقع ، ولا يرجعون إلى الحق وقد علموا تسعة وتسعين في المائة من كذب أهل الباطل والله المستعان .

قال الشيخ سليمان - عند كلامه على قول جابر : (الطواغيت كهان ، وكان ينزل عليهم الشياطين في كل حي واحد) (٤) قال تنزل عليهم الشياطين ويخبرونهم ببعض الغيب مما يسترقونه من السمع فيصدقون مرة ويكذبون مائة .

وقوله : (في كل حي واحد) الحي واحد الأحياء وهم القبائل ، أي في كل قبيلة من قبائل العرب كاهن يتحاكمون إليه ويسألونه عن الغيب ، وكذلك كان الأمر قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فأبطل الله ذلك بالإسلام وحرست السماء بالشهب" اهـ (٥) .

قوله : (فيلقبها على لسان الساحر أو الكاهن) وجه الترابط بين الكاهن والساحر هو ادعاء علم الغيب والاستعانة بالجن .

قوله : (فيكذب معها مائة كذبة)

(١) مسلم (٢٢٢٩) .

(٢) البخاري (٣٢١٠) .

(٣) شرح كتاب التوحيد / ابن باز (ص: ٨٩) .

(٤) حسن علقه البخاري (٢٥١) ووصله أبو حاتم .

(٥) تيسير العزيز الحميد (ص: ٣٢٨) .

قال الشيخ سليمان : "يحتمل أن الساحر أو الكاهن هو الذي يكذب معها مائة كذبة ويحتمل أن الشيطان هو الذي يكذب مع الكلمة مائة كذبة ، ويخبر بالجميع ولية من الإنس" اهـ^(١) .

وفي حديث عائشة - رضي الله عنها- الذي فيه (إن الملائكة تنزل في العنان) وهو السحاب .. الحديث

قال الشيخ سليمان : "وظاهر الحديث أنهم لا يسمعون كلام الملائكة الذين في السماء ، وإنما يسمعون كلام الملائكة في السحاب" اهـ^(٢) .

والكهان لا يزالون موجودين إلى يومنا هذا ومستمرين في هذا الكفر والضلال، إلا أنهم أقل مما كانوا عليه في زمان الجاهلية ، فإن السماء قد حرس بالشهب ، لقوله تعالى : {إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَائِبٌ} [الصافات : ١٠] [الحجر : ١٨] وقوله تعالى : { وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا} [الجن : ٩] وأما ما ينقله الجن إلى أوليائهم من الإنس من السحرة والكهنة مما يخفى على الإنس من أخبار فيما بينهم مما لم يطلع عليه بعض الإنس فهو كثير، لكن لا يجوز تصديقهم ألبتة، صدقوا أم كذبوا، لأنهم كذابون وفتانون ومشركون.

قال الشيخ سليمان : "اعلم أن الكهان الذين يأخذون عن مسترقي السمع موجودون إلى اليوم لكنهم قليل بالنسبة لما كانوا عليه في الجاهلية لأن الله تعالى حرس السماء بالشهب ولم يبق من استراقهم إلا ما يخطفه الأعلى فيلقيه إلى الأسفل قبل أن يصيبه الشهاب وأما ما يخبر به الجني مواليه من الإنس بما غاب عن غيره مما لا يطلع عليه الإنسان غالباً فكثير جداً في أناس ينتسبون إلى الولاية والكشف وهم من الكهان إخوان الشياطين لا من الأولياء" اهـ^(٣) .

هل معرفة أحوال الطقس وكسوف الشمس والقمر من الكهانة ؟ :

تقدم ذلك في باب الاستسقاء وإليك زيادة بيان :

قال العلامة ابن عثيمين : " ..وليس من الكهانة في شيء من يخبر عن أمور تدرك بالحساب فإن الأمور التي تدرك بالحساب ليست من الكهانة لأنه يدرك بالحساب ، وكما يقولون : إنه سيخرج في أول العام أو العام الذي بعده مذنب (هالي) – هو نجم له ذنب طويل – فهذا ليس من الكهانة في شيء ، لأنه من الأمور التي تدرك بالحساب فإن الإخبار عنه – ولو كان مستقبلاً – لا يعتبر من علم الغيب ولا من الكهانة -

وهل من الكهانة ما يخبر به الآن من أحوال الطقس في خلال أربع وعشرين ساعة أو ما أشبه ذلك ؟

الجواب : لا، لأنه أيضاً يستند إلى أمور حسية وهي تكيف الجو ، لأن الجو يكيف على صفة معينة تعرف بالموازين الدقيقة عندهم ، فيكون صالحاً لأن يمطر ، أو لا يمطر ونظير ذلك في العلم البدائي إذا رأينا تجمع الغيوم والرعد والبرق وثقل السحاب يوشك أن ينزل المطر .

فالمهم أن يستند إلى علم محسوس فليس من علم الغيب ، وإن كان بعض العامة يظنون أن هذا من علم الغيب ، ويقولون : إن التصديق بها تصديق بالكهانة ، والشيء الذي يدرك بالحس إنكاره قبيح ، كما قال السفاريني :

(١) المصدر السابق (ص:٢٢٣) .

(٢) المصدر السابق (ص:٢٢٢) .

(٣) المصدر السابق (ص:٣٧٦) .

فكل معلوم بحس أو حجا فنكره جهل قبيح بالهجا

فالذي يُعلم بالحس لا يمكن إنكاره ، ولو أن أحداً أنكره مستنداً إلى الشرع لكان ذلك طعناً بالشرع" اهـ^(١) .

حالات سؤال العرافين ونحوهم :

قال ابن عثيمين : ينقسم إلى أربعة أقسام وهي :

- ١- أن يسأل سؤالاً مجرداً فهذا حرام لقوله صلى الله عليه وسلم : (من أتى عرافاً) الحديث .
- ٢- أن يسأله ويصدقه ويعتبر قوله ، فهذا كفر ، لأن تصديقه له في علم الغيب تكذيب للقرآن -
- ٣- أن يسأله ليختبره هل هو صادق أو كاذب لا لأجل أن يأخذ بقوله فهذا لا بأس به ولا يدخل في الحديث ، كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم مع ابن صياد ...
- ٤- أن يسأله لينظر عجزه وكذبه ، فيمتحنه في أمور يتبين بها كذبه وعجزه وهذا مطلوب وقد يكون واجباً اهـ مختصراً^(٢) .

قصة تفضح الكهان والعرافين :

إنه لا يخفى على ذي لب دجل وكذب العرافين والكهان ، مما يظهر من كلامهم المزخرف بالباطل الذي يأكلون به أموال الناس بالباطل بل، ويفسدون في الأرض ويزرعون الفتن والشحناء والبغضاء بين الناس ، وهذا ملحوظ ومشاهد للقاصي والداني، إلا عند عمي البصائر، ويكفينا قصة واحدة فضحت كاهناً ، وصاحب هذه القصة هو الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم الذي حذر من الكهان والعرافين وبين لنا أحوالهم وما هم عليه من الكذب والزور والكفر والضلال.

ففي الصحيحين أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ - رضي الله عنهما - قال إِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ انْطَلَقَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فِي رَهْطٍ قَبَلَ ابْنَ صَيَّادٍ حَتَّى وَجَدَهُ يَلْعَبُ مَعَ الصَّبِيَّانِ عِنْدَ أُطْمِ بَنِي مَغَالَةَ وَقَدْ قَارَبَ ابْنُ صَيَّادٍ يَوْمَئِذٍ الْحُلْمَ فَلَمْ يَشْعُرْ حَتَّى ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- ظَهْرَهُ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- لَابْنِ صَيَّادٍ « أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ». فَنَظَرَ إِلَيْهِ ابْنُ صَيَّادٍ فَقَالَ أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ الْأُمِّيِّينَ. فَقَالَ ابْنُ صَيَّادٍ لِرَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ فَرَفَضَهُ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- وَقَالَ « أَمَنْتُ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ ». ثُمَّ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « مَاذَا تَرَى ». قَالَ ابْنُ صَيَّادٍ يَا بُنَيَّ صَادِقٌ وَكَاذِبٌ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « خُلِّطَ عَلَيْكَ الْأَمْرُ ». ثُمَّ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « إِنِّي قَدْ حَبَأْتُ لَكَ حَبِيْبًا ». فَقَالَ ابْنُ صَيَّادٍ « هُوَ الدُّخُّ ». فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « أَخْسَأُ فَلَنْ

(١) فتح المجيد مع القول المفيد (ص:٥١٢) .

(٢) المصدر السابق (ص:٥١٢-٥١٣) .

تَعْدُو قَدْرَكَ «. فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ذَرْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَضْرِبُ عُنُقَهُ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « إِنْ يَكُنْهُ فَلَنْ تُسَلِّطَ عَلَيْهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْهُ فَلَا خَيْرَ لَكَ فِي قَتْلِهِ ».(^١)

ومعنى قوله : (إن يكنه فلن تسلط عليه) ، أي : إن يكن هو المسيح الدجال .

قال ابن بطال - رحمه الله - : يعنى إن يكن المسيح الدجال فلن تسلط عليه ؛ لأنه لا بد أن ينفذ فيه قدر الله ومعنى : (أخسأ فلن تعدو قدرك) : أى لن تعدو الكهانة ، وإنما أنت كاهن ودجال" اهـ(^٢)

وهناك قصص كثيرة واقعية فضحت الكهان والعرافين تركت ذكرها تجنباً للإطالة، وكما يقال : (الحليم تكفيه الإشارة) وما ذكرناه فهو فوق الإشارة.

(١) البخاري (٢٨٩) ، مسلم (٢٩٣٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

(٢) شرح صحيح البخارى - لابن بطال - (٣ / ٣٤٣)

المبحث الثالث : السحر .

تعريف السحر :

لغة : عبارة عما لطف وخفي سببه ، ولهذا جاء في الحديث : (إن من البيان لسحراً) (١).

وسمي السَّحْرَ سَحْرًا ، لأنه يقع خفياً آخر الليل .

قال أبو محمد المقدسي - في الكافي - : "السحر عزائم ورقى وعقد يؤثر في القلوب والأبدان فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه قال الله تعالى : { فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه } { البقرة : ١٠٢ } وقال سبحانه : { ومن شر النفاثات في العقد } يعني السواحر اللاتي يعقدن في سحرهن وينفتن في عقدهن ولولا أن للسحر حقيقة لم يأمر الله بالاستعاذة منه" اهـ (٢).

وللسحر تعاريف كثيرة أجمعها ، ما عرفه ابن قدامة بقوله : هو عقد ورقى وكلام يتكلم به الساحر أو يكتبه أو يعمل شيئاً يضر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله من غير مباشرة، وله حقيقة فممنه ما يمرض ومنه ما يقتل ومنه ما يأخذ الرجل عن امرأته فيمنعه وطأها ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه ، وما يبغض أحدهما إلى الآخر ويحبب بين الاثنين" اهـ (٣).

أقسام السحر :

١- منه ما يكون عبر الأدوية والعقاقير ، فهو عبارة عن خداع وكذب وخيانة وحركات خفية ، مثل الذي يطلي نفسه بالزيت ويدخل النار ، ومثل الذي يأخذ سيفاً ونحوه ويوهم الناس أنه يطعن نفسه أو يفتق عينه ، فهذا النوع لا يكون كفوفاً أكبر وإنما يكون فسقاً وعدواناً وكبيرة من الكبائر .

٢- ومنه ما يكون باستخدام الشياطين والتعاويذ الشركية ، وهذا النوع شرك أكبر مخرج من الملة؛ لأنه لا يتأتى للساحر إلا بالكفر البواح واستخدام الكفریات .

والسحر له حقيقة، وقد أنكره المعتزلة وقالوا : إنه مجرد خيال فقط وهذا القول ترده النصوص فقد سحر النبي صلى الله عليه وسلم، وكان يخيل إليه أنه يفعل الشيء ولم يفعله فقد جاء في الصحيحين عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قَالَتْ سَحَّرَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَهُودِيٌّ مِنْ يَهُودِ بَنِي زُرَيْقٍ يُقَالُ لَهُ لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ - قَالَتْ - حَتَّى كَانِ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يُخَيِّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا يَفْعَلُهُ حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ ذَاتَ لَيْلَةٍ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- ثُمَّ دَعَا ثُمَّ قَالَ « يَا عَائِشَةُ أَشَعْرَتِ أَنْ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ جَاءَنِي رَجُلَانِ فَفَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلِي . فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِي لِلَّذِي عِنْدَ رِجْلِي أَوْ الَّذِي عِنْدَ رِجْلِي لِلَّذِي عِنْدَ رَأْسِي مَا وَجَّعَ الرَّجُلُ قَالَ مَطْبُوبٌ . قَالَ مَنْ طَبَّهُ قَالَ لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ . قَالَ فِي أَى شَيْءٍ قَالَ فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ . قَالَ وَجِبَّ طَلْعَةٍ ذَكَرَ . قَالَ فَأَيْنَ هُوَ قَالَ فِي بِنْرِ ذِي أَرْوَانَ » .

(١) البخاري (٥١٤٦) مسلم (٨٦٩) .

(٢) انظر فتح المجيد مع القول المفيد (ص: ٤٨١) .

(٣) انظر المغني لابن قدامة (٢٩٩/١٢) ، فتح الحميد (١٠٣٥/٣) .

قَالَتْ فَأَتَاهَا رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فِي أَنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ثُمَّ قَالَ « يَا عَائِشَةُ وَاللَّهِ لَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْجَنَاءِ وَلَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ». قَالَتْ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أَحْرَقْتَهُ قَالَ « لَا أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَافَانِي اللَّهُ وَكَرِهْتُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا فَأَمَرْتُ بِهَا فُدْفِنْتُ ». (١)

لكن هذا السحر لم يؤثر على عقله ولا على الوحي وإنما كان يتخيل أنه فعل الشيء ولم يفعله وذلك في باب الدنيا وليس في باب الدين كما ذكر ذلك ابن القيم في زاد المعاد (٢)

وقال الشيخ ابن عثيمين : السحر لغة: ما خفي ولطف سببه، ومنه سمي السحر لآخر الليل؛ لأن الأفعال التي تقع فيه تكون خفية، وكذلك سمي السحور؛ لما يؤكل في آخر الليل؛ لأنه يكون خفياً؛ فكل شيء خفي سببه يسمى سحراً.

وأما في الشرع؛ فإنه ينقسم إلى قسمين:

الأول: عقد ورقى؛ أي: قراءات وطلاسم يتوصل بها الساحر إلى استخدام الشياطين فيما يريد به ضرر المسحور، لكن قد قال الله تعالى: { وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ }.

الثاني: أدوية وعقاقير تؤثر على بدن المسحور وعقله وإرادته وميله؛ فتجده ينصرف ويميل، وهو ما يسمى عندهم بالصرف والعطف فيجعلون الإنسان يعطف على زوجته أو امرأة أخرى، حتى يكون كالبهيمة تقوده كما تشاء، والصرف بالعكس من ذلك فيؤثر في بدن المسحور بإضعافه شيئاً فشيئاً حتى يهلك، وفي تصويره بأن يتخيل الأشياء على خلاف ما هي عليه وفي عقله؛ فربما يصل إلى الجنون والعياذ بالله.

فالسحر قسمان:

أ: شرك وهو الأول الذي يكون بواسطة الشياطين؛ يعبدونهم ويتقرب إليهم ليسلطهم على المسحور.

ب: عدوان وفسق، وهو الثاني الذي يكون بواسطة الأدوية والعقاقير ونحوها. اهـ (٣).

وقال الشيخ سليمان في حكم هذا النوع : "وأما سحر الأدوية والتدخين ونحوه فليس بسحر وإن سمي سحراً فعلى سبيل المجاز كتسمية القول البليغ والنميمة سحراً ولكنه يكون حراماً لمضرته يعزر من يفعله تعزيراً بليغاً " اهـ (٤).

معنى النفاثات في العقد :

قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب النجدي - رحمه الله - : في تفسيره لسورة العلق:

".. والشر الثالث شر النفاثات في العقد وهذا الشر هو شر السحر فإن النفاثات هن السواحر (١) اللاتي يعقدن الخيوط وينفثن على كل عقدة حتى ينعقد ما يردن من السحر .

(١) متفق عليه، البخاري (٣١٧٥)، ومسلم (٢١٨٩) .

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد - (٤ / ١٢٤).

(٣) فتح المجيد مع القول المفيد (ص: ٤٨١) .

(٤) تيسير العزيز الحميد .

والنفث : هو النفخ مع ريق وهو دون التقل ، وهو مرتبة بينهما .

والنفث هو فعل الساحر فإذا تكيفت - أي اجتمعت - نفسه بالخبث والشر الذي يريده من المسحور واستعان بالأرواح الخبيثة نفث في تلك العقد نفخاً معه ريق فيخرج من نفسه الخبيثة نفساً ممزاجاً للشر مقترناً بالريق الممزاج وقد تساعد صعود الروح الشيطانية على أذى المسحور فيقع فيه السحر بإذن الله الكوني القدرى ، ولما كان تأثير السحر من جهة النفس الخبيثة والأرواح الشريرة قال سبحانه : { ومن شر النفاثات في العقد } بالتأنيث دون التذكير وقد دل قوله تعالى : { ومن شر النفاثات في العقد } أن للسحر تأثيراً ، وأن له حقيقة وقد أنكر ذلك طائفة من أهل الكلام وهم المعتزلة ، وقالوا : إنه لا تأثير للسحر لا في مرض ولا قتل ولا حل ولا عقد ، قالوا : إنما ذلك تخييل لأعين الناظرين لا حقيقة له سوى ذلك ، وهذا خلاف ما تواترت به الآثار عن الصحابة والسلف واتفق عليه الفقهاء ، والسحر يؤثر مرضاً وثقلاً وحلاً وقاتلاً وحباً وبغضاً وغير ذلك من الآثار يعرفه الناس وكثيرٌ منهم قد علمه ذوقاً بما أصيب به" اهـ^(٢) .

وقال ابن القيم : عند قوله : {النفاثات} فإن قيل إن السحر يكون من الذكور والإناث فلم خص الاستعادة من الإناث دون الذكور؟

والجواب المحقق: أن النفاثات هنا هن الأرواح والأنفس النفاثات لا النساء النفاثات ، لأن تأثير السحر إنما هو من جهة الأنفس الخبيثة والأرواح الشريرة وسلطانه إنما يظهر منها فلهذا ذكرت النفاثات هنا بلفظ التأنيث دون التذكير والله أعلم" اهـ^(٣)

وقال شيخ الإسلام: " وخص من السحر النفاثات في العقد وهن النساء، والحاسد الرجال في العادة، ويكون من الرجال ومن النساء" اهـ^(٤)

حكم السحر :

حكم السحر الذي هو عن طريق الشياطين : شرك وكفر أكبر مخرج من الملة وذلك أن الساحر لا يستطيع استخدام السحر إلا أن يكفر بالله الكفر البواح ويعمل الموبقات لأجل أن تخدمه الشياطين فتضر بمن أراد إضراره، كما سيأتي ذكر بعض أفعال السحرة قريباً.

وأما ما كان عن طرق الأدوية والعقاقير والحركات الخفية : فهو فسق ومعصية، وقال بعضهم : إن السحر كفر مطلقاً ، والصحيح التفصيل .

قال ابن عثيمين : "فمن كان سحره بواسطة الشياطين؛ فإنه يكفر لأنه لا يتأتى ذلك إلا بالشرك غالباً؛ لقوله تعالى: { وَاتَّبِعُوا مَا نَزَّلْنَا عَلَى الشَّيَاطِينِ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ } [البقرة : ١٠٢] إلى قوله: { وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَنعَلَمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ

(١) السحر يحصل من الرجال والنساء، ويحصل من النساء أكثر

(٢) كتاب تفسير سورة الفلق / محمد بن عبدالوهاب النجدي (٢٠-٢٢) .

(٣) بدائع الفوائد (٢٢١/٢-٢٢٢) .

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية (٥٠٧/١٧) .

اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ { [البقرة : ١٠٢] ، ومن كان سحره بالأدوية والعقاقير ونحوها؛ فلا يكفر، ولكن يعتبر عاصيا معتديا". اهـ^(١).

وقال الشافعي - رحمه الله - : "إذا تعلم السحر قلنا له صف لنا سحرك، فإن وصف ما يوجب الكفر مثل ما اعتقده أهل بابل من التقرب إلى الكواكب السبعة وأنها تفعل ما يلتمس منها فهو كافر، وإن كان لا يوجب الكفر فإن اعتقد إباحتها كفر، وعند التحقيق ليس بين القولين اختلاف فإن من لم يكفر لظنه أنه يتأتى بدون الشرك وليس كذلك بل لا يأتي السحر الذي من قبل الشياطين إلا بالشرك وعبادة الشيطان والكواكب ولهذا سماه الله كفرا في قوله: {إنما نحن فتنة فلا تكفر} وقوله: {وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا} الآية. اهـ^(٢).

الأدلة على كفر الساحر :

الأدلة على كفر الساحر كثيرة.

منها: قوله تعالى: { وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى } [طه : ٦٩]

ومنها: قوله تعالى: { وَأَتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ } [البقرة : ١٠٢]

ومنها: قوله تعالى: { وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ } [البقرة : ١٠٢]

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : "فإذا أتاهما الآتي يريد السحر نهياه أشد النهي، وقال له: إنما نحن فتنة فلا تكفر، وذلك أنهما علما الخير والشر والكفر والإيمان، فعرفا أن السحر من الكفر". اهـ^(٣).

ومنها: قوله تعالى: { وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ } [البقرة : ١٠٢]

فنفي الخلاق والفلاح عنهم في الآخرة يدل على كفرهم .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : "الخلاق أي النصيب ، وقال قتادة : وقد علم أهل الكتاب فيما عهد إليهم أن الساحر لا خلاق له في الآخرة وقال الحسن : ليس له دين". اهـ^(٤).

ومنها: قوله تعالى: "وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ" [البقرة : ١٠٢]

والشراء يكون ببذل العوض بمقابل شيء، فهو لاء بذلوا دينهم بمقابل السحر.

ومنها: قوله تعالى: { وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } [البقرة : ١٠٣]

(١) فتح المجيد مع القول المفيد (ص: ٤٨٢) .

(٢) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد - (١ / ٢٦٨)

(٣) تفسير ابن كثير / دار طيبة - (١ / ٣٦٢).

(٤) المصدر السابق (١ / ٣٦٤).

ففي الإيمان عنهم يدل على كفرهم.

و حكم السحر في الأديان السابقة هو الكفر من هذه الأدلة وغيرها ، ولأن أصل دعوة الرسل واحدة وهي الدعوة إلى التوحيد والتحذير من الشرك بكافة أنواعه .

أعمال السحرة :

لا يستطيع الساحر تعلم السحر ولا تخدمه الشياطين إلا بعد أن يكفر بالله الكفر البواح، ويكون ذلك بمزاولة أعمال كفرية خبيثة تغضب الله تعالى وتفرح الشياطين منها :

- ١- أن يكتب الساحر آيات من القرآن الكريم بالنجاسات ، أو يرميه في الكنيف – أي الحمام – أو يدوس القرآن بقدمه - عياداً بالله - وربما بلل أوراقاً فيها آيات من القرآن بالنجاسات ثم يجعله تميمة يعلقها على المريض تليسياً على العوام على أن المعلق من القرآن وكل هذا بأمر الشياطين .
- ٢- ومنها: أنه يصلي بغير وضوء أو يصلي وهو جنب وربما توضأ بالنجاسات وإذا صلى مع الناس نوى بصلاته للشياطين كما اعترف بذلك أحد التائبين من السحر .
- ٣- ومنها: أنه يذبح للجن ويستغيث بهم ويدعوهم من دون الله .
- و غالباً ما يحصل السحر من غلاة الصوفية والرافضة قطع الله دابرهم .

العلامات التي يعرف بها الساحرونحوه من العرافين والكهان والمنجمين ونحوهم :

- ١- أنه يسأل المريض عن اسمه واسم أمه^(١) وربما طلب صورة الشخص أو شيئاً من متاعه أو آثاره أو مقطعا صوتيا له ، عُرف هذا مؤخرا فلينتبه لذلك .
- ٢- يعطي المريض أوراقاً فيها كتابات وطلاسم لا يعرف معناها .
- ٣- يقرأ كلاماً وتمتمة لا يفهم معناها وربما تخلل ذلك آيات قرآنية تليسياً على الناس .
- ٤- يأمر المريض بذبح كبش أو ديك بلون كذا ورميه في مكان كذا .
- ٥- يحثون المرضى على تعليق التمام و الحروز من الأوراق والطلاسم والجلود والعظام لبعض الحيوانات من السباع ونحوها .
- ٦- استخدام بعض النجاسات – كالبول والغائط ونحوه – كأدوية للمرضى .

(١) وفي ذلك طعن في نسب المريض إذ لم ينسبه إلى أبيه .

حكم تعلم السحر وتعليمه للوقاية منه :

لا يجوز تعلم السحر ولا تعليمه ولا العمل به لقوله تعالى: " وَاتَّبِعُوا مَا نَزَّلْنَا عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ" [البقرة : ١٠٢]

قال السعدي في تفسيره عن هذه الآية: "وهم كذبة في ذلك، فلم يستعمله سليمان، بل نزهه الصادق في قوله: { وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ } أي: بتعلم السحر، فلم يتعلمه، { وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا } بذلك. { يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ } من إضلالهم وحرصهم على إغواء بني آدم، وكذلك اتبع اليهود السحر الذي أنزل على الملكين الكائنين بأرض بابل من أرض العراق، أنزل عليهما السحر امتحانا وابتلاء من الله لعباده فيعلمانهم السحر.

{ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى } ينصحاها، و { يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ } أي: لا تتعلم السحر فإنه كفر، فينهيهانه عن السحر.. "اهـ"^(١)

وقال موفق الدين ابن قدامة: "تعلم السحر وتعليمه حرام لا نعلم فيه خلافاً بين العلماء ، قال : وقال أصحابنا : ويكفر الساحر بتعلمه وفعله ، سواء اعتقد بتحريره أو بإباحته" اهـ"^(٢) .

وقال علماء اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء: "يحرم تعلم السحر سواء للعمل به أو ليقينه، وقد نص الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم على أن تعلمه كفر، فقال تعالى: { يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ } وقد نص النبي صلى الله عليه وسلم على أن السحر أحد الكبائر وأمر باجتنابه فقال: « اجتنبوا السبع الموبقات »^(٣) فذكر منها السحر. وفي السنن عند النسائي: « من عقد عقدة ونفت فيها فقد سحر ومن سحر فقد أشرك »^(٤) .

وأما ما ذكرت من قول (تعلموا السحر ولا تعملوا به) فليس بحديث لا صحيح ولا ضعيف فيما نعلم.

وبالله التوفيق. وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم." اهـ"^(٥) .

(١) تفسير السعدي - (١ / ٦١)

(٢) المغني لابن قدامة (٣٠٠/١٢) ، وانظر فتح الحميد (١٠٧٢/٣) .

(٣) متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) رواد النسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه وضعفه الألباني.

(٥) انظر فتاوى اللجنة الدائمة (٣٦٧/١-٣٦٨) رقم (٦٢٨٩ ، ٦٩٧٠) .

حد الساحر :

لما كان الساحر من أشر الخلق على الإطلاق إذ جمع بين مفسدتين عظيمتين وهما : الإشراف والكفر بالله رب العالمين والإضرار بالخلق كان جزاؤه القتل في الدنيا والنار في الآخرة خالداً مخلداً فيها أبداً ، إلا من تاب قبل موته فالتوبة تجب ما قبلها .

قال علماء اللجنة الدائمة : "إذا أتى الساحر في سحره بمكفر قتل لردته حداً، وإن ثبت أنه قتل بسحره نفساً معصومة قتل قصاصاً، وإن لم يأت في سحره بمكفر ولم يقتل نفساً ففي قتله بسحره خلاف، والصحيح: أنه يقتل حداً لردته، وهذا هو قول أبي حنيفة ومالك وأحمد رحمهم الله؛ لكفره بسحره مطلقاً لدلالة آية: { وَأَتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ } الآية، على كفر الساحر مطلقاً، ولما ثبت في [صحيح البخاري] عن بجالة بن عبدة أنه قال: « كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن اقتلوا كل ساحر وساحرة. فقتلنا ثلاث سواحر »^(١)، ولما صح عن حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها « أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها فقتلت » رواه مالك في الموطأ^(٢) ولما ثبت عن جندب أنه قال: « حد الساحر ضربة بالسيف »^(٣) رواه الترمذي وقال: الصحيح أنه موقوف.

وعلى هذا فحكم الساحر المسئول عنه في الاستفتاء أنه يقتل على الصحيح من أقوال العلماء، والذي يتولى إثبات السحر وتلك العقوبة هو الحاكم المتولي شؤون المسلمين؛ درءاً للمفسدة وسداً لباب الفوضى.

وبالله التوفيق. وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم. "اهـ"^(٤).

وقال الشيخ عثمان التيمي : "وهو مذهب إمامنا أحمد المشهور عنه - يعني قتل الساحر - وقال مالك أيضاً : إن أدخل بسحره ضرراً على مسلم انتقض عهده بذلك فيحل قتله وإنما لم يقتل النبي صلى الله عليه وسلم لبيد بن الأعصم؛ لأنه لم ينتقم لنفسه، ولأنه خشي الفتنة على المسلمين، وهو نمط مراعاة ترك قتل المنافقين الذين علم نفاقهم" اهـ^(٥)

فنسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يوفق أولياء أمور المسلمين لإقامة الحدود على السحرة والمشعوذين.

هل يستتاب الساحر أم يقتل بدون استتابة؟

حصل الخلاف في ذلك ، فمن أهل العلم من قال :إنه يستتاب فإن تاب وإلا قُتل، ومنهم من قال: لا يستتاب بل يقتل مباشرة وهو الراجح كما سيأتي:

قال العلامة ابن عثيمين - رحمه الله تعالى -:"..وبناء على التفصيل السابق - يعني هل يكون قتل الساحر ردة أم حداً- نقول :من خرج به السحر إلى الكفر فقتله قتل ردة، ومن لم يخرج به السحر إلى الكفر فقتله من باب دفع الصائل يجب تنفيذه حيث رآه الإمام.

(١) البخاري (٣١٥٧).

(٢) موطأ مالك (١٦٢٤)

(٣) ثبت هذا من فعله أنه رأى رجلاً يوهم الناس أنه يدخل من فم الجمل ويخرج من دبره ، أو يوهم الناس أنه يقطع رأسه ثم يرده .

(٤) فتاوى اللجنة الدائمة (١/ ٣٦٩) رقم (٤٨٠٤) .

(٥) فتح الحميد (١٠٥٦/٣) .

والحاصل: أنه يجب أن نقتل السحرة، سواء قلنا بكفرهم أم لم نقل؛ لأنهم يمرضون ويقتلون، ويفرقون بين المرء وزوجه، وكذلك بالعكس؛ فقد يعطفون فيؤلفون بين الأعداء، ويتوصلون إلى أغراضهم؛ فإن بعضهم قد يسحر أحداً ليعطفه إليه وينال مأربه منه، كما لو سحر امرأة ليبغي بها، ولأنهم كانوا يسعون في الأرض فساداً؛ فكان واجبا على ولي الأمر قتلهم بدون استتابة ما دام أنه لدفع ضررهم وفضاعة أمرهم، فإن الحد لا يستتاب صاحبه، متى قبض عليه وجب أن ينفذ فيه الحد.

.. وقد صح قتل الساحر عن ثلاثة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهم: عمر، وحفصة، وجندب الخير والقول بقتلهم موافق للقواعد الشرعية؛ لأنهم يسعون في الأرض فساداً، وفسادهم من أعظم الفساد؛ فقتلهم واجب على الإمام، ولا يجوز للإمام أن يتخلف عن قتلهم؛ لأن مثل هؤلاء إذا تركوا وشأنهم انتشر فسادهم في أرضهم وفي أرض غيرهم، وإذا قتلوا سلم الناس من شرهم، وارتدع الناس عن تعاطي السحر. (١)

ورجح العلامة ابن باز - رحمه الله - قتل الساحر بدون استتابة.

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله - رحمه الله - في كلامه على قول عمر - رضي الله عنه -: "اقتلوا كل ساحر وساحرة..".

"قول عمر صريح في قتل الساحر والساحرة وهو من حجج الجمهور القائلين بأنه يقتل، وظاهره أنه يقتل من غير استتابة، وهو كذلك على المشهور عن أحمد وبه قال مالك: إن الصحابة لم يستتبيوهم؛ ولأن علم السحر لا يزول بالتوبة، وهذا هو أصح لظاهر عمل الصحابة فلو كانت الاستتابة واجبه لفعلوها أو بينها وأما قياسه على المشرك فلا يصح لأنه أكثر فساداً وتشبيهاً من المشرك، وكذلك لا يصح قياسه على ساحر أهل الكتاب؛ لأن الإسلام يجب ما قبله وهذا الخلاف إنما هو في إسقاط الحد عنه بالتوبة أما فيما بينه وبين الله فإن كان صادقاً قبلت توبته" اهـ. (٢)

و الخلاف الحاصل هو فيما لو تاب الساحر، فذهب الأكثرون إلى أنه يقام عليه الحد وهو القتل، وتوبته بينه وبين ربه. أما إذا لم يتب الساحر فإنه يقتل بلا خلاف.

وأما لو كان الساحر كافراً قبل أن يدخل في الإسلام ثم أسلم، فإن الإسلام يجب ما قبله، كما هو شأن سحرة فرعون الذين آمنوا وتابوا من السحر.

وقال الشيخ عثمان التميمي في كلامه على حديث حفصة - رضي الله عنها - أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها فقتلتها — قال: "وهذا أدل دليل مع ما تقدم على قتل الساحر إن لم يقتل بسحره، كما هو مذهب الإمام أحمد، لظاهر الأخبار، وفي قصة حفصة - رضي الله عنها - دليل على عدم الاستتابة.

(١) القول المفيد مع فتح المجيد ص (٤٩٦-٤٩٧)

(٢) تيسير العزيز الحميد ص (١ / ٣٤٣)

وقال: وقد قال أصحابنا- منهم موفق الدين ابن قدامة- في قتل الساحر ، وهذا أمر اشتهر بين الصحابة - رضوان الله عليهم - فلم ينكر، فكان إجماعا وهودليل على عدم الاستتابة إذ هي لم تنقل عن أحد من الصحابة - رضي الله عنهم — "اهـ" (١)

وأما لو قتل الساحر بسحره فإنه يقتل حداً بلا خلاف والله أعلم.

حكم القراءة في كتب السحر:

لا يجوز القراءة في كتب السحر ولا يجوز اقتنائها لما تشتمل عليه من الكفریات كما تقدم ، والقراءة فيها واقتنائها ذريعة إلى الكفر والشرك وتعلم السحر، فيجب إحراقها وتحذير الناس منها لما فيها من الشر والفساد.

قال تعالى: " وَاتَّبِعُوا مَا نَزَّلْنَا مِنَ الْكِتَابِ حَزْناً أَوْ يَخْتِياً وَمَا يَشْرُونَ مِنَ الْغَيْبِ إِلَّا قَوْلًا كَثُوراً قَدْ كَفَرْنَا بِهِ قَدْرُ الْعِلْمِ وَمَا يَشْرُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَتَذَكَّرُونَ " [البقرة: ١٠٢]

حكم الذهاب إلى السحرة والمشعوذين:

الذهاب إلى السحرة والمشعوذين له ثلاث حالات:

الأولى: الذهاب إليهم للنصيحة ، فهذا مستحب بشرط التسلح بالعلم والحجج القوية حتى لا تطرأ على الذهاب إليهم شبههم.

الثانية: الذهاب إليهم لفضحهم وهذا جائز كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم مع ابن صياد.

الثالثة: الذهاب إليهم للعلاج وهذا لا يجوز ؛ لأن الساحر مشرك كافر ويأمر المريض بالشركيات، كما أن الشيطان يأمر الساحر بذلك ، ولأن السحرة والشيطان حريصون على إغواء الناس وإبعادهم عن دينهم ، ولأن الشياطين لا تخدم السحرة إلا بعد أن يكفروا بالله الكفر البواح ، وكذلك السحرة لا تخدم الناس إلا باقتراف الشرك والكفر والعياذ بالله.

فلا يجوز الذهاب إلى السحرة والمشعوذين للعلاج مطلقا ، لما جاء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من أتى كاهنا فصدقه بما قال فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم" (٢)

وعمل السحرة أعظم من عمل الكهان فالحكم واحد والعلة واحدة والله أعلم.

و صح عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفا قال : "ومن أتى كاهنا أو ساحرا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم" (١)

(١) فتح الحميد (٣/١٠٣٣ و ١٠٧٠)

(٢) تقدم تخريجه.

وفي رواية عند الحاكم عنه قال: "من أتى عرافاً أو ساحراً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم" (٢) وله حكم المرفوع لأن مثل هذا لا يقال بالرأي.

بيان ما عليه أصحاب الكرامات الوهمية والأحوال الشيطانية والفرق بينها وبين الكرامات الرحمانية الحقيقية:

ظهر في الآونة الأخيرة أناس يرتكبون الجرائم والشركيات والفساد في الأرض ويأتون ببعض الخوارق الشيطانية تلبسوا على الناس أنها كرامات إلهية، وأن الله أيدهم بها، ويزعمون أنهم أولياء الله، فيتبعهم العوام وربما غمسواهم في الشركيات والبدع والمحدثات، وإليك أيها القارئ بياناً لحالهم للحذر منهم:

قال شيخ الإسلام - رحمه الله - : "الفرق بين السحر والكرامة:

هناك أناس التبس عليهم حال السحرة الكذابين والمشعوذين فتحيروا فيما يصدر من السحرة من خوارق العادات كالطيران في الهواء والمشى على الماء وقطع المسافة الطويلة في زمن قصير والإخبار عن الغيب فيقع الخبر كذلك، وشفاء المرضى فيظن هؤلاء الجهال أن هذا الساحر من أولياء الله وقد يؤول الأمر إلى أن يعبد من دون الله ويرجى منه النفع والضرر والعياذ بالله، فظن بعض الناس أن خوارق العادات التي تجري من السحرة والعرافين كرامات من الله فالتبس عند الجهال حال أولياء الرحمن بحال أولياء الشيطان.

والشرع فرق بين أولياء الله وأولياء الشيطان، فأولياء الله عز وجل هم الحافظون لحدود الله المتمسكون بشرعه ظاهراً وباطناً، الممتثلون لأوامر الله المجتنبون لنواهيه، المحافظون على صلاة الجماعة قال الله تعالى: أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ [يونس: ٦٢-٦٣].

وليس من شرط الولاية لله تعالى أن يكون للولي كرامة بخرق العادات فإن أعظم الكرامة هي الاستقامة، وأما أولياء الشيطان فيظهر منهم خوارق عادات يظنها الجهال كرامات، وهي في الحقيقة أحوال شيطانية تخدمهم فيها الشياطين ليضلوا بها المفتونين، فلا تغتر بمن دخل النار وخرج سالماً أو طار في الهواء أو مشى على الماء أو أمسك بالثعابين، بل انظر إلى تمسكهم بالشرع تجدهم لا يحضرون جمعة ولا جماعة ولا يسمعون القرآن بل يسمعون أغاني الزور ويغشون الفجور "أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ" [المجادلة: ١٩]. واعتبر ذلك بالدجال الأكبر الذي يقول للسماء: أمطري فتمطر، وللأرض انبتي فتنبت، ويحيي الموتى بإذن الله، وهو أخطر خلق الله" اهـ (٣).

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى.

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده والبخاري في مسنده والطبراني في الأوسط والبيهقي في السنن الكبرى وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وصححه الألباني في صحيح الترغيب برقم (٣٠٤٨)

(٢) رواه الحاكم والطبراني وصححه الألباني في صحيح الترغيب برقم (٣٠٤٩)

(٣) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان - (١ / ٢٢)

"لما ذكر المصنف - يريد الشيخ محمد بن عبد الوهاب - ما جاء في السحر أراد هنا أن يبين شيئا من أنواعه لكثرة وقوعها وخفائها على الناس حتى اعتقد كثير من الناس أن من صدرت عنه هذه الأمور فهو من الأولياء وعدوها من كرامات الأولياء وآل الأمر إلى أن عُبد أصحابها ورُجي منهم النفع والضرر والحفظ والكلاءة والنصر أحياءً وأمواتاً، بل اعتقد كثير في أناس من هؤلاء أن لهم التصرف التام المطلق في الملك.

ولا بد من ذكر فرقان يفرق به المؤمن بين ولي الله وبين عدو الله من ساحر وكاهن وعائف وزاجر ومتطير ونحوهم ممن قد يجري على يده شيء من الخوارق.

فاعلم أنه ليس كل من جرى على يده شيء من خوارق العادة يجب أن يكون وليا لله تعالى، لأن العادة تنخرق بفعل الساحر والمشعوذ وخبر المنجم والكاهن بشيء من الغيب مما يخبره به الشياطين المسترقون للسمع وفعل الشياطين بأناس ممن ينتسبون إلى دين وصلاح ورياضة مخالفة للشريعة كأناس من الصوفية وكرهبان النصارى ونحوهم فيطيرون بهم في الهواء ويمشون بهم على الماء ويأتون بالطعام والشراب والدرهم وقد يكون ذلك بعزائم ورقى شيطانية وبحيل وأدوية كالذين يدخلون النار بحجر الطلق ودهن النارج، وقد يكون برويا صادقة فيها وما يستدل به على وقوع ما لم يقع وهذه مشتركة بين ولي الله وعدوه وقد يكون ذلك بنوع طيرة يجدها الإنسان في نفسه فتوافق القدر وتقع كما أخبر، وقد يكون بعلم الرمل والضرب بالحصى وقد يكون ذلك استدراجا.

والأحوال الشيطانية كثيرة وقد فرق الله بين أوليائه وأعدائه في كتابه فاعتصم به وحده لا إله إلا هو فإنه لا يضل من اعتصم به ولا يشقى، قال الله تعالى: "أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ" [يونس : ٦٢ ، ٦٣] فذكر تعالى أن أوليائه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون هم المؤمنون المتقون ولم يشترط أن يجري على أيديهم شيء من خوارق العادة فدل أن الشخص قد يكون وليا لله وإن لم يجر على يديه شيء من الخوارق إذا كان مؤمنا متقيا .

وقال تعالى: " قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ" [آل عمران : ٣١] فأولياء الله المحبوبون عند الله هم المتبعون للرسول صلى الله عليه و سلم باطنا وظاهرا ومن كان بخلاف هذا فليس بمؤمن فضلا عن أن يكون وليا لله تعالى، وإنما أحبهم الله تعالى لأنهم والوه فأحبوا ما يحب وأبغضوا ما يبغض ورضوا بما يرضى وسخطوا ما يسخط وأمروا بما يأمر ونهوا عما ينهى وأعطوا من يحب أن يعطى ومنعوا من يحب أن يمنع وأصل الولاية المحبة والقرب وأصل العداوة البغض والبعد.

وبالجملة فأولياء الله هم أحبابه المقربون إليه بالفرائض والنوافل وترك المحارم، الموحدون له الذين لا يشركون بالله شيئا وإن لم تجر على أيديهم خوارق، فإن كانت الخوارق دليلا على ولاية الله فلتكن دليلا على ولاية الساحر والكاهن والمنجم والمتفرس ورهبان اليهود والنصارى وعباد الأصنام فإنهم يجري لهم من الخوارق ألوف ولكن هي من قبل الشياطين فإنهم ينتزلون عليهم لمجانستهم لهم في الأفعال والأقوال كما قال تعالى: " هَلْ أَنْبَأُكُمْ عَلَى مَنْ تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ تَنْزَلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ" [الشعراء : ٢٢١ ، ٢٢٢] وقال تعالى: " وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ" [الزخرف : ٣٦]

وقد طارت الشياطين ببعض من ينتسب إلى الولاية فقال: لا إله إلا الله، فسقط وتجد عمدة كثير من الناس في اعتقادهم الولاية في شخص أنه قد صدر عنه مكاشفة في بعض الأمور أو بعض الخوارق للعادة مثل أن يشير إلى شخص فيموت أو يطير في الهواء إلى مكة أو غيرها أحيانا أو يمشي على الماء أو يملأ إبريقا من الهواء أو

يخبر في بعض الأوقات بشيء من الغيب أو يختفي أحيانا عن أعين الناس أو يخبر بعض الناس بما سرق له أو بحال غائب أو مريض أو أن بعض الناس استغاثت به وهو غائب أو ميت فرآه قد جاء فقضى حاجته أو نحو ذلك وليس في شيء من هذه الأمور ما يدل على أن صاحبها مسلم فضلا عن أن يكون وليا لله بل قد اتفق أولياء الله على أن الرجل لو طار في الهواء ومشى على الماء لم يغتر به حتى ينظر متابعتة لرسول الله صلى الله عليه و سلم وموافقته لأمره ونهيه، ومثل هذه الأمور قد يكون صاحبها وليا لله وقد يكون عدوا له، فإنها قد تكون لكثير من الكفار والمشركين واليهود والنصارى والمنافقين وأهل البدع وتكون لهؤلاء من قبل الشياطين أو تكون استدراجا فلا يجوز أن يظن أن كل من كان له شيء من هذه الأمور فهو ولي لله بل يعرف أولياء الله بصفاتهم وأحوالهم وأفعالهم التي دل عليها الكتاب والسنة.

وأكثر هذه الأمور قد توجد في أشخاص يكون أحدهم لا يتوضأ ولا يصلي المكتوبة ولا ينتظف ولا يتطهر الطهارة الشرعية بل يكون ملبسا للنجاسات معاشرًا للكلاب يأوي إلى المزابل رائحته خبيثة ركابا للفواحش يمشي في الأسواق كاشفا لعورته غامزا للشرع مستهزئا به وبحملته يأكل العقارب والخبائث التي تحبها الشياطين كافرا بالله ساجدا لغير الله من القبور وغيرها يكره سماع القرآن وينفر منه ويؤثر سماع الأغاني والأشعار ومزامير الشيطان على كلام الرحمن فلو جرى على يدي شخص من الخوارق ماذا عساه أن يجري فلا يكون وليا لله محبوبا عنده حتى يكون متبعا لرسوله صلى الله عليه و سلم باطنا وظاهرا

فإن قلت فعلى هذا ما الفرق بين الكرامة وبين الاستدراج والأحوال الشيطانية؟

قيل: إن علمت ما ذكرنا عرفت الفرق لأنه إذا كان الشخص مخالفا للشرع فما يجري له من هذه الأمور ليس بكرامة بل هي إما استدراج وإما من عمل الشياطين ويكون سببها هو ارتكاب ما نهى الله عنه ورسوله صلى الله عليه و سلم فإن المعاصي لا تكون سببا لكرامة الله ولا يستعان بالكرامات عليها فإذا كانت لا تحصل بالصلاة والذكر وقراءة القرآن والدعاء بل تحصل بما تحبه الشياطين كالاستغاثة بغير الله أو كانت مما يستعان بها على ظلم الخلق وفعل الفواحش فهي من الأحوال الشيطانية لا من الكرامات الرحمانية وكلما كان الإنسان أبعد عن الكتاب والسنة كانت الخوارق الشيطانية له أقوى وأكثر من غيره.. بخلاف الكرامة فإنها لا تحصل إلا بعبادة الله والتقرب إليه ودعائه وحده لا شريك له والتمسك بكتابه واجتناب المحرمات، فما يجري من هذا الضرب فهو كرامة وقد اتفق على هذا الفرق جميع العلماء.. ولشيخ الإسلام كتاب (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان) (فراجع فإنه أتى فيه بالحق المبين" اهـ^(١))

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد - (١ / ٤٤٤-٣٤٨)

الوقاية من الجن والسحرة والكهان:

هناك أسباب شرعية للوقاية من شياطين الإنس والجن بكافة أشكالهم من سحرة ومشعوذين ومجرمين وغيرهم نذكر منها مايلي :

منها: تقوى الله والتوكل عليه، فذلك حصن حصين من المردة والشياطين قال تعالى: "وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا" [الطلاق : ٢ ، ٣]

ومعنى :حسبه:أي: كافيه.

ومنها:الاستقامة على دين الله،لماثبت من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: " احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك.."الحديث^(١)

أي :احفظ دين الله بامثال أوامره واجتناب نواهيه والوقوف عند حدوده،يحفظك الله في نفسك ومالك وأولادك،ويكون الحفظ من شياطين الإنس والجن.

ومنها:قراءة القرآن الكريم فإنه حصن من الشياطين،قال تعالى: "وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا"[الإسراء : ٤٥].

ذكر بعض المفسرين أن من معاني الآية (أنه منعُ الله عز وجل إياهم عن أذاه) ^(٢) اهـ.

ومنها:قراءة سورة البقرة فإنها حصن من الشياطين، لما جاء من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم- قَالَ « لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ النَّبْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ »^(٣).

وحديث أَبِي أَمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ - رضي الله عنه - قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ « أَقْرَأُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ أَقْرَأُوا الزَّهْرَاوِينَ الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا

(١) رواه الترمذي وغيره وصححه العلامةان الألباني والوادعي.

(٢) انظر زاد المسيرفي علم التفسير لابن الجوزي

(٣)رواه مسلم

عَمَامَتَانِ أَوْ كَانَتْهُمَا غَيَابَتَانِ أَوْ كَانَتْهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَتْ تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا أَفْرَعُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكُهَا حَسْرَةٌ وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطْلَةُ ». قَالَ مُعَاوِيَةُ بَلَّغْنِي أَنَّ الْبَطْلَةَ السَّحْرَةُ. (١)

ومنها: قراءة أذكار الصباح والمساء ومن ذلك، قراءة آية الكرسي فإنها وقاية من الجن لما ثبت من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قَالَ وَكَلَّنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْتُو مِنْ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَصَّ الْحَدِيثَ فَقَالَ: إِذَا أُوتِيَ إِلَى فِرَاشِكَ فَأَقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ لَنْ يَزَالَ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ ، وَلَا يَقْرُبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ ذَلِكَ شَيْطَانٌ" (٢).

وحديث أبي بن كعب - رضي الله عنه - أنه كان له جرن من تمر فكان ينقص فحرسه ذات ليلة فإذا هو بدابة شبه الغلام المحتلم فسلم عليه فرد عليه السلام فقال ما أنت جني أم إنسي قال جني قال فناولني يدك فناوله يده فإذا يده يد كلب وشعره شعر كلب قال هذا خلق الجن قال قد علمت الجن أن ما فيهم رجل أشد مني قال فما جاء بك قال بلغنا أنك تحب الصدقة فجئنا نصيب من طعامك قال فما ينجينا منكم قال هذه الآية التي في سورة البقرة (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) [البقرة ٥٥٢] من قالها حين يمسي أجبر منا حتى يصبح ومن قالها حين يصبح أجبر منا حتى يمسي فلما أصبح أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال: "صدق الخبيث" (٣)

ومنها: أذكار النوم، ومن ذلك قراءة الآيتين من آخر سورة البقرة وهي قوله تعالى: "آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه" الآيتان، لما جاء عن أبي مسعود الأنصاري - رضي الله عنه - قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأ بهما في ليلة كفتاه" (٤)

قال الحافظ: قيل معناه: كفتاه كل سوء وقيل كفتاه شر الشيطان وقيل دفعنا عنه شر الإنس والجن" اهـ (٥)

ومنها: قراءة سورتي الفلق والناس فإنهما حرز من الشيطان لما ثبت من حديث عبدالله بن خبيب - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " { قل أعوذ برب الفلق } و { قل أعوذ برب الناس } ما تعود الناس بأفضل منهما" (٦)

(١) رواه مسلم

(٢) رواه البخاري تعليقا ووصله ابن خزيمة في صحيحه وصححه الألباني

(٣) رواه النسائي والطبراني وصححه الألباني

(٤) متفق عليه.

(٥) فتح الباري - ابن حجر - (٩ / ٥٦)

(٦) رواه النسائي وصححه الألباني .

ومنها: ذكر التسمية على الطعام وغيره وذكر الله عند دخول البيت فإن ذلك حرز من الشياطين لما جاء من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رضي الله عنهما - أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ « إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عِشَاءَ . وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ . وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعِشَاءَ » .^(١)

ومنها: الإكثار من كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) لما جاء من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فِي يَوْمٍ مِئَةٌ مَرَّةً كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةٌ حَسَنَةٍ وَمُحِبَّتٍ عَنْهُ مِائَةٌ سَيِّئَةٍ وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمِيسِيَ وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ " .^(٢)

ومنها: الاستعاذة فإنها وقاية من الشياطين لقوله تعالى: "فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ " [النحل : ٩٨ ، ٩٩]

ومنها : أذكار الخروج من البيت ومن ذلك الحوقلة ، وهي: (لا حول ولا قوة إلا بالله) لحديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رضي الله عنه - أَنَّ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم- قَالَ « إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ » . قَالَ « يُقَالُ حِينَئِذٍ هُدَيْتَ وَكُفَيْتَ وَوُقِيتَ فَتَنَنْحَى لَهُ الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانُ آخَرَ كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ »^(٣) .

ومنها: المحافظة على صلاة الفجر جماعة لما جاء من حديث جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رضي الله عنه - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ فَلَا يَطْلُبُكُمْ اللَّهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ فَيُدْرِكُهُ فَيَكْبَهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ »^(٤) .

وحديث سمرة بن جندب - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " من صلى الصبح في جماعة فهو في ذمة الله"^(٥)

قال النووي - رحمه الله - : الذِّمَّةُ هُنَا الضَّمَانُ . وَقِيلَ : الْأَمَانُ . اهـ.^(٦)

(١) رواه مسلم

(٢) متفق عليه

(٣) رواه أبو داود وصححه الألباني.

(٤) رواه مسلم.

(٥) رواه ابن ماجه وصححه الألباني.

(٦) شرح النووي على مسلم - مشكول - (٢ / ٤٥٩)

وعن أبي الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل أنه قال: "ابن آدم اركع لي من أول النهار أربع ركعات أكفك آخره"^(١)

ذهب بعض أهل العلم إلى أن الأربع الركعات في أول النهاري صلاة الفجر الراتبة والفريضة، وقال بعضهم: هي صلاة الضحى، وسواء كانت هذه أو هذه فإن الصلاة من أسباب حفظ الله للعبد وكفايته له.

ومنها: التصحيح بسبع تمرات من عجوة المدينة لما جاء من حديث سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ - رضي الله عنه - قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ « مَنْ تَصَبَّحَ بِسَبْعِ تَمَرَاتٍ عَجْوَةً لَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ سُمٌّْ وَلَا سِحْرٌ »^(٢).

وأما بعد وقوع السحراً أو العين فيزيد المريض على ذلك ما يلي:

العثور على مكان السحر إن أمكن وإتلافه ومحوه بالماء أو دفنه والتخلص منه، وإن كان معيونا وعلم العائن فيأخذ من وضوئه أو غسله أو آثاره والاعتسال من ذلك الماء كما تقدم في باب العين، فإن لم يتيسر ذلك فبالرقية الشرعية مع ملازمة الدعاء والإلحاح على الله تعالى، مع مراعاة آداب الدعاء وتحري أوقات الإجابة واجتناب موانع إجابة الدعاء، والإكثار من الاستغفار والتوبة من المعاصي والإقلاع عنها، فبإذن الله يزول الضرر، وإلا فالصبر والاحتساب وعند الله العوض والله المستعان.

حكم الذهاب إلى الساحر لفك السحر:

لا يجوز الذهاب إلى الساحر لفك السحر؛ لأن ذلك يستلزم الشرك واستخدام الشياطين، ولا يتأتى ذلك إلا بمزاولة الشركيات كالذبح لغير الله ودعاء غير الله ونحو ذلك، ومن ذهب إلى الساحر لفك السحر فإنه ينطبق عليه حكم الذهاب إليهم كما تقدم.

ومن صنع سحراً لآخر عند ساحر، ثم تاب وندم، لزمه أن يتلف ذلك السحر أو يدل المسحور على مكان الساحر ليتلفه، ولا يجوز الذهاب إلى الساحر لفك السحر، وكذلك الساحر إن تاب من سحره وأراد أن يتخلص من الأسحار التي سحر بها غيره، فيجب عليه أن يتلفها بنفسه دون ممارسة السحر لإتلافها.

قال علماء اللجنة الدائمة: "لا يجوز لك أن تذهب إلى ساحر من أجل أن يحل السحر الذي تجده في نفسك بسحر مثله؛ لعموم قوله صلى الله عليه وسلم: « ليس منا من تطير أو تطير له، أو تكهن أو تكهن له، أو سحر أو سحر له » رواه الطبراني^(٣) عن عمران بن حصين قال المناوي: إسناده جيد، ولقوله صلى الله عليه وسلم لما سئل

(١) رواه الترمذي وغيره وصححه الألباني

(٢) متفق عليه.

(٣) صححه الألباني.

عن النشرة: « هي من عمل الشيطان » رواه الإمام أحمد وأبو داود بسند جيد والنشرة: هي حل السحر عن المسحور بالسحر.

ويوجد من الأدعية والأدوية المشروعة ما فيه كفاية لإزالة هذا الداء، فعلى المسلم أن يعالج نفسه بما شرع الله من الأذكار والأدعية والأدوية الجائزة، وعليه أن يتقي الله في نفسه باتباع أمره واجتناب نهيه: { وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا } وبالله التوفيق. وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم. "اهـ"^(١)

فإن لم يعثر المسحور على السحر فهناك طريقة أخرى لفك السحر وإبطاله بإذن الله، وهي الرقية الشرعية بكلام الله وأسمائه وصفاته والتعاويذ والأدعية الشرعية من الكتاب والسنة كما تقدم.

(١) فتاوى اللجنة الدائمة - المجموعة الأولى - (١ / ٥٥٦)

الفصل السادس

المبحث الأول: الشرك في التبرك:

معنى التبرك: هو طلب البركة.

والبركة لغة: كثرة الشيء وثبوته.

قال ابن منظور: البركة النماء والزيادة والتبرك الدعاء للإنسان أو غيره بالبركة يقال برّكتُ عليه تبرّكاً أي قلت له: بارك الله عليك وبارك الله الشيءَ وبارك فيه وعليه وضع فيه البركة وطعام بريك كأنه مبارك. اهـ^(١)

وقال الأزهري: هي بمعنى النماء والزيادة، وهي من بروك البعير.

والتبرك شرعا: هي طلب البركة ورجاؤها واعتقادها، والبركة هي ثبوت الخير الإلهي في الشيء.

قال ابن عثيمين "تبرك: تفعل من البركة، والبركة: هي كثرة الخير وثبوته، وهي مأخوذة من البركة بالكسر، والبركة: مجمع الماء، ومجمع الماء يتميز عن مجرى الماء بأمرين:

١- الكثرة.

٢- الثبوت. اهـ^(٢)

وقال الشيخ صالح الفوزان - حفظه الله -: "والتبرك معناه: طلب البركة ورجاؤها واعتقادها في تلك الأشياء .

وحكمه: أنه شرك أكبر؛ لأنه تعلق على غير الله سبحانه في حصول البركة، وعباد الأوثان إنما كانوا يطلبون البركة منها؛ فالتبرك بقبور الصالحين كالتبرك باللات، والتبرك بالأشجار والأحجار كالتبرك بالعزى ومناة اهـ^(٣).

أقسام التبرك:

١: تبرك مشروع.

٢: تبرك ممنوع.

(١) لسان العرب - (١٠ / ٣٩٥)

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد - (١ / ١٩٤)

(٣) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد - (١ / ٩١-٩٢)

أمثلة على التبرك المشروع:

- ١: منها: التبرك بالنبي صلى الله عليه وسلم وما انفصل من جسده الشريف، ولو ثبت وجود شيء من آثاره الآن لجاز التبرك به لكن لم يبق شيء منها،^(١) والتبرك بذات النبي صلى الله عليه وسلم فهو خاص به.
- ٢: ومنها: التبرك بأقوال وأفعال مشروعة إذا فعلها العبد حصل له الخير والبركة، كقراءة القرآن وذكر الله وحضور حلق العلم.
- ٣: ومنها: التبرك بالأمكنة التي جعل الله فيها بركة كالمساجد ومن البلدان مكة والمدينة وبلاد الشام، والمقصود بالتبرك بها: أي فعل الخير والتعبد لله بأعمال مشروعة فيها، ولا يقصد التمسح بجدرانها وأعمدتها وأكل أتربتها.
- ٤: ومنها: التبرك بالأزمنة التي خصها الله بزيادة فضل وبركة، كشهري رمضان والعشر الأول من ذي الحجة، وليلة القدر وثلاث الليل الآخر، ويكون التبرك بها: بكثرة فعل الخير والتعبد لله فيها بأعمال مشروعة.
- ٥: ومنها: التبرك بالأطعمة التي جعل الله فيها بركة، كزيت الزيتون والعسل واللبن والحبة السوداء وماء زمزم^(٢) ويكون التبرك بهذه الأشياء بالأكل من المأكول منها أو الشرب من المشروب منها أو الادهان بالزيوت منها.

أمثلة على التبرك الممنوع:

- ١: من التبرك الممنوع: التبرك بالأمكنة والجمادات، مثل التمسح بجدران الأمكنة التي ثبتت بركتها شرعا، وتقبيل نوافذها وأعمدتها والاستشفاء بترابها، ومنها التبرك بقبور الصالحين وأضرحتهم والتبرك بأماكن لها قصص وأحداث كمكان مولده صلى الله عليه وسلم والتبرك بغار حراء وغار ثور ونحو ذلك.
- ٢: ومنها: التبرك بأزمنة، كفعل أمور غير مشروعة وعبادات مبتدعة في أزمنة ثبتت بركتها شرعا كالذكر الجماعي في ليلة القدر.
- ومنه التبرك بأزمنة لم يثبت بركتها شرعا، مثل مولد النبي صلى الله عليه وسلم، وليلة الإسراء والمعراج، وليلة النصف من شعبان، وتخصيص الصيام في شهر رجب لا سيما أول جمعة فيه، والتبرك بأيام وليالي ذكرى الحوادث التاريخية، مثل الاحتفالات بأعياد الثورة والوحدة ونحوها.
- ٣: التبرك بآثار وذوات الصالحين.^(٣)

وكل هذا وأمثاله من التبرك الممنوع الذي لا يدل عليه دليل لا من كتاب الله ولا من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

قال العلامة العثيمين - رحمه الله - : "والتبرك طلب البركة وطلب البركة لا يخلو من أمرين:

(١) ظهر مؤخرا منشورات فيها صور لبعض آثار النبي صلى الله عليه وسلم زعموا، ومنها صورة لطافية كانت للنبي صلى الله عليه وسلم بزعمهم، وهذا غير صحيح.

(٢) فائدة: ماء زمزم لا تذهب بركته بانتقاله من مكان إلى آخر على الصحيح كما ثبت ذلك عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان ينقله من مكان إلى آخر.

(٣) منقول لبعض أهل العلم

١. أن يكون التبرك بأمر شرعي معلوم؛ مثل القرآن، قال تعالى: { كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ } [ص : ٢٩]. فمن بركته أن من أخذ به حصل له الفتح، فأنقذ الله بذلك أمما كثيرة من الشرك، ومن بركته أن الحرف الواحد بعشر حسنات، وهذا يوفر للإنسان الوقت والجهد..، إلى غير ذلك من بركاته الكثيرة.

٢. أن يكون بأمر حسي معلوم؛ مثل: التعليم، والدعاء، ونحوه؛ فهذا الرجل يتبرك بعلمه ودعوته إلى الخير؛ فيكون هذا بركة لأننا نلنا منه خيرا كثيرا.

وقال أسيد بن حضير: "ما هذه بأول بركتكم يا آل أبي بكر" (١)

فإن الله يجري على بعض الناس من أمور الخير ما لا يجريه على يد الآخر.

وهناك بركات موهومة باطلة؛ مثل ما يزعمه الدجالون: أن فلانا الميت الذي يزعمون أنه ولي أنزل عليكم من بركته وما أشبه ذلك؛ فهذه بركة باطلة، لا أثر لها، وقد يكون للشيطان أثر في هذا الأمر، لكنها لا تعدو أن تكون آثارا حسية، بحيث إن الشيطان يخدم هذا الشيخ؛ فيكون في ذلك فتنة.

أما كيفية معرفة هل هذه من البركات الباطلة أو الصحيحة؟ فيعرف ذلك بحال الشخص، فإن كان من أولياء الله المتقين المتبعين للسنة المبتدعين عن البدعة؛ فإن الله قد يجعل على يديه من الخير والبركة ما لا يحصل لغيره.

ومن ذلك ما جعل الله على يد شيخ الإسلام ابن تيمية من البركة التي انتفع بها الناس في حياته وبعد موته. أما إن كان مخالفا للكتاب والسنة، أو يدعو إلى باطل؛ فإن بركته موهومة، وقد تضعها الشياطين إغارة له على باطله، وذلك مثل ما يحصل لبعضهم أنه يقف مع الناس في عرفة ثم يأتي إلى بلده ويضحى مع أهل بلده.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إن الشياطين تحملهم لكي يغتر بهم الناس، وهؤلاء وقع منهم مخالفات، منها: عدم إتمام الحج، ومنها أنهم يمرون بالميقات ولا يحرمون منه. "اهـ" (٢)

تبيين مما تقدم أن التبرك الممنوع منه ماهو محدث ومنه ماهو شرك، وهو نظير فعل أهل الجاهلية ومن سار على طريقتهم من عباد القبور من غلاة الصوفية وأمثالهم.

وأما أهل الجاهلية فقد كانوا يتبركون بأصنامهم وأوثانهم كالات والعزى ومناة، كما قال سبحانه: "أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ" [النجم : ١٩ ، ٢٠]

فأما اللات ففيها قراءتان بالتخفيف والتشديد، فعلى التخفيف (اللات) مشتق من الإله وعلى التشديد (اللات) هو رجل كان يلت السويق، وهو الحب يُقلى ثم يطحن.

قال ابن كثير: "اللات كانت صخرة بيضاء منقوشة عليها بيت الطائف له أستار وسدنة وحوله فناء معظم عند أهل الطائف وهم ثقيف ومن تبعها يفتخرون به على من عداهم من أحياء العرب بعد قريش قال ابن هشام: فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المغيرة بن شعبه فهدمها وحرقها بالنار.

وعلى الثانية قال ابن عباس: كان رجلا يلت السويق للحاج فلما مات عكفوا على قبره ذكره البخاري.

(١) متفق عليه عن عائشة رضي الله عنها

(٢) فتح المجيد مع القول المفيد (ص ٢١٧-٢١٨)

قال ابن عباس : كان يبيع السويق والسمن عند صخرة ويلته عليها فلما مات ذلك الرجل عبتت ثقيف تلك الصخرة إعظاما لصاحب السويق وعن مجاهد نحوه وقال : فلما مات عبده ..

قلت^(١) : لا منافاة بين القولين فإنهم عبدوا الصخرة والقبر تأليها وتعظيمها.

ولمثل هذا بنيت المشاهد والقباب على القبور واتخذت أوثانا وفيه بيان أن أهل الجاهلية كانوا يعبدون الصالحين والأصنام .

وأما العزى فقال ابن جرير : كانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة - بين مكة والطائف - كانت قريش يعظمونها كما قال أبو سفيان يوم أحد(: لنا العزى ولاعزى لكم) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم] وكانت عبادتهم لها بالنفقات القلوب رغبة إليها في حصول ما يرجونه ببركتها من نفع أو دفع ضرر فصارت أوثانا تعبد من دون الله^(٢) اهـ.

وقال أبو صالح: "كانوا يعلقون عليها السيور والعهن" اهـ^(٣) أي: تبركا بها.

قلت: وهذا هو نظير ما يفعله بعض المتصوفة عند قبور الموتى من التمسح بها وبأثربتها، بل وبأكل أثرتها تبركا بها، ويدعون أصحاب تلك القبور من دون الله نعوذ بالله من هذا الضلال.

ومنه ما يفعله الشيعة الاثنا عشرية من التبرك بتربة كربلاء فيجلبونه من هناك ويبيعونه بأغلى الأثمان وربما صلوا عليه الصلوات المفروضة تبركا بذلك !! وأيضا يتبركون بقبر علي والحسن والحسين رضي الله عنهم.

وأما مناة سميت بذلك، قيل: لكثرة ما يمنى _ أي يراق _ عندها من الدماء للتبرك بها .^(٤)

شبهة والرد عليها:

قد يقول قائل : يجوز التبرك ببعض الأشياء كما فعل الصحابة- رضوان الله عليهم - من التبرك بالحجر الأسود من حيث تقبيله ولمسه، وأيضا قد تبركوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وبآثاره.

الجواب: أن استلام الحجر الأسود وتقبيله عبادة سنها النبي صلى الله عليه وسلم ففعلوا ذلك تأسيا واقتداء به ومتابعة له لا تبركا بها، وقد بين ذلك عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - غاية البيان حينما قبل الحجر الأسود فقال: "أما والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك"^(٥)

(١) القائل هو الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ.

(٢) قرّة عيون الموحدين ص(٧٤) وانظر فتح المجيد (١ / ١٢٨)

(٣) فتح المجيد مع القول المفيد ص(٢٢٠)

(٤) انظر المصدر السابق ص(٢٢١).

(٥) البخاري (١٥٢٠).

قال الشيخ عثمان التميمي - رحمه الله - : "قال الطبري :- بعد روايته لأثر عمر- إنما قاله لأن الناس كانوا حديثي عهد بعبادة الأوثان، فخاف أن يظن الجهال أن استلامه تعظيماً للأحجار كما كانوا يفعلونه في الجاهلية، فأعلمهم بأن استلامه إنما هو اتباع، وأنه لا يضر ولا ينفع بذاته بل بأمر الله تعالى من شهادته له أو عليه" اهـ^(١)

وأيضاً من حسنات عمر - رضي الله عنه - أنه أمر بقطع شجرة بيعة الرضوان سدّاً للذريعة حتى لا يأتي زمان يتبرك الناس بها.

وأما التبرك بالنبي صلى الله عليه وسلم فهذا خاص به عليه الصلاة والسلام ، إذ لم يتبرك الصحابة بالشيخين من بعده وهما أفضل هذه الأمة بعد نبيها، وسيأتي زيادة بيان عند حكم التبرك بذوات الصالحين وآثارهم إن شاء الله تعالى.

أقسام الشرك في التبرك:

إن كان التبرك بشيء لم يثبت به نص، فعلى التفصيل المتقدم، فإن كان يعتقد أن هذا الشيء من قبر أو حجر أو تراب أو غير ذلك ينفع بذاته ويجلب البركة بنفسه فهو شرك أكبر .

وإن كان يعتقد أن البركة من الله وإنما اتخذ ذلك الشيء سبباً فهو شرك أصغر؛ لأنه اتخذ ما ليس بسببٍ سبباً.

حكم التبرك بالشجر:

النص في هذه المسألة حديث أبي واقد الليثي - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج إلى حنين مر بشجرة للمشركين يقال لها ذات أنواط يعلقون عليها أسلحتهم فقالوا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال النبي صلى الله عليه وسلم " سبحان الله هذا كما قال قوم موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم إلهة والذي نفسي بيده لتركبن سنة من كان قبلكم" ^(٢)

وفي رواية عند الحاكم : " فَقَالَ : " اللَّهُ أَكْبَرُ ، فَلْتُمْ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى لِمُوسَى (اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ) ، لَتَرْكَبْنَ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّىٰ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ دَخَلَ جُحْرًا ضَبًّا لَدَخَلْتُمْ ، وَحَتَّىٰ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ جَامَعَ امْرَأَتَهُ فِي الطَّرِيقِ لَفَعَلْتُمُوهُ " }

معنى العكوف والأنواط:

العكوف: هو الإقامة عند الشيء ولزومه.

قال تعالى {وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ} [البقرة : ١٨٧] أي: مقيمون فيها ملازمون لها.

قال الشيخ عبدالرحمن آل الشيخ: "العكوف هو الإقامة على الشيء في المكان ومنه قول الخليل عليه السلام : { ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون } { ٢١ : ٥٢ } وكان عكوف المشركين عند تلك السدرة تبركا بها وتعظيماً لها وفي حديث عمرو كان يناط بها السلاح فسميت ذات أنواط وكانت تعبد من دون الله، وقوله : (وينوطون بها أسلحتهم): أي يعلقونها عليها للبركة

ففي هذا بيان أن عبادتهم لها بالتعظيم والعكوف والتبرك وبهذه الأمور الثلاثة عبدت الأشجار ونحوها " اهـ^(٣)

(١) فتح الحميد/الشيخ عثمان التميمي

(٢) رواه الترمذي وصححه الألباني.

(٣) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد - (١ / ١٣١)

وقال الشيخ محمد حامد الفقي في تعليقه على هذا الكلام: " كما يعكف اليوم عباد القبور عندها، ويجاورونها، معتقدين أن لهم بذلك الزلفى والقربى، ويعتقد الجاهلون لهم ذلك فيعاونونهم بالندور لتلك القبور والصدقات قربة لأولئك الموتى، وكل ذلك من الشرك الأكبر" (١)

وقال الشيخ عثمان التميمي في معنى العكوف: "العكوف الإقامة على الشيء والمكان ولزومه، قال الفرزدق التميمي يفتخر بقرى الأضياف:

نَفْرَغُ فِي شَيْزَى كَأَنَّ جَفَانَهَا **** حِيَاضُ الْجَبَا مِنْهَا مَلَاءُ وَنُصَفُّ

تَرَى حَوْلَهُنَّ الْمُعْتَكِفِينَ كَأَنَّهُمْ **** عَلَى صَنَمٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ عُكْفُ" (٢)

ذات الأنواط:

أي ذات معاليق، والتنويط هو التعليق، ونيط: علق، ومنوط: معلق.

والعكوف مع التعظيم نوع من العبادات.

قال الشيخ عثمان التميمي: ". وإن العكوف على ذلك وتعليق الأسلحة بالشجر لذلك، نوع من التأله لغير الله سبحانه وتعالى، وأن من فعل ذلك فقد اتخذ ما يعكف عليه إلهًا، ومن ذلك تعليق الخرق بالشجر" (٣)

فكان المشركون يعلقون أسلحتهم على هذه الشجرة اعتقادًا منهم أن البركة تثبت فيها فتصير حادة وتحصل النكايه بعدوهم، فيقاس على ذلك ما يعلق على القباب والجدران والحيطان ونحو ذلك للبركة، فكل هذا من الشرك .

والسدره هي: شجرة النبق.

وهناك في بعض الأماكن شجر النبق تنسب لبعض الأولياء من الموتى - زعموا - ويحذرون الناس من قطعها، وأن من قطعها سيحصل له كذا وكذا من المصائب، وآخرون يذبحون عند بعض الشجر ويعلقون الذبائح عليها تبركا، فهذا لا يجوز، وإن كان الذبح لله لكن هذا نظير فعل أهل الجاهلية وهو ذريعة إلى الشرك.

فمثل هذه الشجر يجب قطعها، كما فعل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حينما قطع الشجرة التي وقعت تحتها بيعة الرضوان سدا لذريعة الشرك.

قال العلامة العثيمين - رحمه الله - : "ومن حسنات أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه لما رأى الناس ينتابون الشجرة التي وقعت تحتها بيعة الرضوان أمر بقطعها." (٤)

وقال بعض أهل العلم من أصحاب الإمام مالك بن أنس: "فانظروا - رحمكم الله - أينما وجدتم من سدره أو شجرة يقصدها الناس ويعظمونها ويرجون البرء والشفاء من قبلها و يضربون بها المسامير والخرق فهي ذات أنواط فاقطعوها" (١)

(١) فتح المجيد مع القول المفيد ص (٢٢٤)

(٢) فتح الحميد ص (٥٥٢)

(٣) المصدر السابق ص (٥٦١).

(٤) فتح المجيد مع القول المفيد (٢١٨)

وجاءت بعض الروايات أن هذه الشجرة كان أهل الجاهلية يذبحون لها ويعكفون عندها، وكان من حج منهم وضع زاده عندها ويدخل بغير زاد تعظيما لها"^(٢)

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله: "فإذا كان اتخاذ شجرة لتعليق الأسلحة والعكوف عندها اتخاذ إله مع الله مع أنهم لا يعبدونها ولا يسألونها فما الظن بما حدث من عباد القبور من دعاء الأموات والاستغاثة بهم والذبح والنذر لهم والطواف بقبورهم وتقبيلاها وتقبيلا أعتابها وجدرانها والتمسح بها والعكوف عندها وجعل السدنة والحجاب لها وأي نسبة بين هذا وبين تعليق الأسلحة على شجرة تبركا "اه"^(٣)

قوله في الحديث: "ونحن حدثاء عهد بكفر"

فيه أن التائب من الكفر أو الشرك أو البدعة أو المعصية لا يأمن من أن يكون في قلبه رواسب من ذلك الباطل فليتنبه لذلك، ولكنه يزول إن شاء الله مع الاستمرار في الطلب والإخلاص والدعاء وتحري الحق .

قال الشيخ سليمان: "قوله: "ونحن حدثاء عهد بكفر" أي قريبا عهد بكفر، ففيه دليل أن غيرهم لا يجهل هذا وأن المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه لا يأمن أن يكون في قلبه بقية من تلك العادات الباطلة" اه"^(٤)

قوله: "قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل.."

قال الشيخ عبد الرحمن آل الشيخ: "شبه مقالته هذه بقول بني إسرائيل بجامع أن كلا طلب أن يجعل له ما يألهه ويعبده من دون الله وإن اختلف اللفظان فالمعنى واحد فتغيير الاسم لا يغير الحقيقة .

ففيه الخوف من الشرك وأن الإنسان قد يستحسن شيئا يظن أنه يقربه إلى الله وهو أبعد ما يبعده من رحمته ويقربه من سخطه ولا يعرف هذا على الحقيقة إلا من عرف ما وقع في هذه الأزمان من كثير من العلماء والعباد مع أرباب القبور من الغلو فيها وصرف جل العبادة لها ويحسبون أنهم على شيء وهو الذنب الذي لا يغفره الله

قال الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل الشافعي المعروف بابن أبي شامة في كتاب البدع والحوادث : ومن هذا القسم أيضا ما قد عم الابتلاء به من تزيين الشيطان للامة تخليق الحيطان والعمد وإسراج مواضع مخصوصة في كل بلد يحكي لهم حاك أنه رأى في منامه بها أحدا ممن شهر بالصلاح والولاية فيفعلون ذلك ويحافظون عليه مع تضييعهم لفرائض الله تعالى وسننه ويظنون أنهم متقربون بذلك ثم يتجاوزون هذا إلى أن يعظم وقع تلك الأماكن في قلوبهم فيعظمونها ويرجون الشفاء لمرضاهم وقضاء حوائجهم بالنذر لها وهي من عيون وشجر وحائط وحجر.." اه"^(٥)

ففي هذا الرد على عباد القبور الذين عبدوها ودعوها من دون الله، واتخذوها وسائط تقربهم إلى الله، فهذا هو عين عمل أهل الجاهلية مع أصنامهم، فإن قالوا: لسنا مثلهم فإننا نقول: لا إله إلا الله، وهم لم يقولوها.

(١) انظر كتاب الحوادث والبدع للطرطوشي (١٠٥) وكتاب فتح الحميد (٥٥٨)

(٢) انظر أخبار مكة (١٣٠/١)

(٣) تيسير العزيز الحميد ص (١٤٧)

(٤) المصدر السابق ص (١٤٦).

(٥) فتح المجيد مع القول المفيد ص (٢٢٥)

فيقال لهم: طالما والمؤدى واحد، وهو اتخاذ وسائل بينكم وبين الله كما فعلوا، والعلة واحدة وهي الشرك، فإن الحكم يصير واحداً، وإن قلموها فإنكم لم تعملوا بمقتضاها نفيًا وإثباتًا، وقبلتموها لكن لم تعملوا بشروطها، بل ناقضتموها بالشرك بالله، فأنتم وإياهم في الحقيقة سواء، وإن لم يقبلوها.

أسباب التبرك الممنوع:

يؤخذ من حديث أبي واقد الليثي أن أسباب التبرك الممنوع ثلاثة:

١: الجهل.

٢: التشبه بالمشركين.

٣: الغلو.

وهذه الثلاثة هي رأس كل شر.

حكم التبرك بذوات وآثار الصالحين:

التبرك بذوات الصالحين وآثارهم محدث وذريعة إلى الشرك، ولم يفعله الصحابة- رضوان الله عليهم - ولا التابعون ولا تابعوهم.

قال الشيخ سليمان بن عبدالله - رحمه الله -: "تنبيه: ذكر بعض المتأخرين أن التبرك بآثار الصالحين مستحب كشراب سؤرهم والتمسح بهم أو بثيابهم وحمل المولود إلى أحد منهم ليحنكه بتمره حتى يكون أول ما يدخل جوفه ريق الصالحين والتبرك بعرقهم ونحو ذلك وقد أكثر من ذلك أبو زكريا النووي في شرح مسلم في الأحاديث التي فيها أن الصحابة فعلوا شيئاً من ذلك مع النبي صلى الله عليه وسلم وظن أن بقية الصالحين في ذلك كالنبي صلى الله عليه وسلم وهذا خطأ صريح لوجوه:

منها: عدم المقاربة فضلاً عن المساواة للنبي صلى الله عليه وسلم في الفضل والبركة.

ومنها: عدم تحقق الصلاح فإنه لا يتحقق إلا بصلاح القلب وهذا أمر لا يمكن الاطلاع عليه إلا بنص كالصحابه الذين أثنى الله عليهم ورسوله أو أئمة التابعين أو من شهر بصلاح ودين كالأئمة الأربعة ونحوهم من الذين تشهد لهم الأمة بالصلاح وقد عدم أولئك أما غيرهم فغاية الأمر أن نظن أنهم صالحون فنرجو لهم .

ومنها: أنا لو ظننا صلاح شخص فلا نأمن أن يختم له بخاتمة سوء والأعمال بالخواتيم فلا يكون أهلاً للتبرك بآثاره.

ومنها: أن الصحابة لم يكونوا يفعلون ذلك مع غيره لا في حياته ولا بعد موته ولو كان خيراً لسبقونا إليه فهلا فعلوه مع أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ونحوهم من الذين شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة وكذلك التابعون هلا فعلوه مع سعيد بن المسيب وعلي بن الحسين وأويس القرني والحسن البصري ونحوهم ممن يقطع بصلاحهم فدل أن ذلك مخصوص بالنبي صلى الله عليه وسلم .

ومنها: أن فعل هذا مع غيره صلى الله عليه و سلم لا يؤمن أن يفتنه وتعجبه نفسه فيورثه العجب والكبر والرياء فيكون هذا كالمدح في الوجه بل أعظم" اهـ^(١)

ونحو من هذا ما يفعله بعض العوام في بعض المناطق اليمينية ،حين يولد المولود ينتظرون إلى يوم سابعه ثم ينظرون رجلا صالحا أو ذا صفات قيمة كالشجاعة والكرم ونحوها ليقوم بإخراج الطفل بنفسه ،فيحمله من حجرة أمه ثم يغسلونه ويختنونه ،ثم يرجعونه إلى أمه ،يفعلون ذلك تبركا بذلك الرجل الصالح أو الشجاع اعتقادا منهم أن الطفل سيكتسب تلك الصفات التي يتصف بها ذلك الرجل، وكذلك العكس يتحرزون من أن يحمله رجل فاسد ذو صفات سيئة لئلا يصير مثله أو يكتسب من صفاته!! وهذه اعتقادات باطلة وخرافات ما أنزل الله بها من سلطان ،وقد يحصل شيء مما يعتقدونه،فيتصف الولد ببعض صفات ذلك الرجل الذي تبركوا به فتنة وابتلاء فيعتقدونه حقا .لكنه الجهل والله المستعان.

والحاصل أن البركة لا تكون إلا من الله فلا تطلب إلا منه وبالأسباب الشرعية ولا تطلب من غيره، ولا تثبت البركة في شيء إلا بدليل من الكتاب والسنة ،ولا يجوز اعتقادها في شيء لم تثبت به.

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد - (١ / ١٥٣-١٥٤)

المبحث الثاني: الشرك في الذبح

تعريف الذبح:

لغة: ذكر ابن فارس وابن منظور والراغب أن مادة (ذبح) تدل على الشق.

شرعا: عبارة عن إنهار الدم بفري الأوداج وإزهاق الروح بإزاحة الدم على وجه مخصوص.

حكم الذبح:

الذبح إذا كان لله فهو عبادة عظيمة مع ما يقوم في قلب الذابح من الحب والتعظيم والرغبة والتقرب ونحو ذلك، وإذا صرف الذبح لغير الله على هذا المعنى فهو شرك أكبر .

وقد قرن الله الذبح بأفضل عبادة بدنية وهي الصلاة فقال تعالى: " إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوفِرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ " [الكوثر: ١ ، ٢]

وقال تعالى: " قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ [الأنعام: ١٦٢ ، ١٦٣]

فأمر الله تعالى بالذبح له كما أمر بالصلاة له وحده لا شريك له، والأمر في اللغة يقتضي الوجوب كما هو معلوم في اللغة، فلا يجوز صرف الذبح لغير الله، كما أنه لا يجوز صرف الصلاة لغير الله سبحانه وتعالى.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: " أَمَرَ اللَّهُ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ هَاتَيْنِ الْعِبَادَتَيْنِ الْعَظِيمَتَيْنِ وَهُمَا الصَّلَاةُ وَالنُّسُكُ الدَّالَّتَانِ عَلَى الْقُرْبِ وَالنَّوَاضِعِ وَالْإِفْتِقَارِ وَحُسْنِ الظَّنِّ وَقُوَّةِ الْيَقِينِ وَطَمَأْنِينَةَ الْقَلْبِ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى عِدَّتِهِ وَأَمْرِهِ وَفَضْلِهِ وَخُلْفِهِ عَكْسُ حَالِ أَهْلِ الْكِبْرِ وَالنَّفَرَةِ وَأَهْلِ الْغِنَى عَنِ اللَّهِ الَّذِينَ لَا حَاجَةَ فِي صَلَاتِهِمْ إِلَى رَبِّهِمْ يَسْأَلُونَهُ إِيَّاهَا وَالَّذِينَ لَا يَنْحَرُونَ لَهُ خَوْفًا مِنَ الْفَقْرِ وَتَرْكًا لِإِعَانَةِ الْفُقَرَاءِ وَإِعْطَائِهِمْ وَسُوءِ الظَّنِّ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ وَلِهَذَا جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُمَا . فِي قَوْلِهِ تَعَالَى { قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } وَالنُّسُكُ هِيَ الذَّبِيحَةُ ابْتِغَاءً وَجْهًا . وَالْمُقْصُودُ : أَنَّ الصَّلَاةَ وَالنُّسُكُ هُمَا أَجَلٌ مَا يُنْقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ فَإِنَّهُ أَتَى فِيهِمَا بِالْفَاءِ الدَّالَّةَ عَلَى السَّبَبِ ؛ لِأَنَّ فِعْلَ ذَلِكَ وَهُوَ الصَّلَاةُ وَالنَّحْرُ سَبَبٌ لِلْقِيَامِ بِشُكْرِ مَا أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ مِنَ الْكُوفِرِ وَالْخَيْرِ الْكَثِيرِ فَشُكْرُ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِ وَعِبَادَتُهُ أَعْظَمُهَا هَاتَانِ الْعِبَادَتَانِ بَلْ الصَّلَاةُ نَهَايَةُ الْعِبَادَاتِ وَغَايَةُ الْعَايَاتِ . كَأَنَّهُ يَقُولُ : { إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوفِرَ } الْخَيْرِ الْكَثِيرَ وَأَنْعَمْنَا عَلَيْكَ بِذَلِكَ لِأَجْلِ قِيَامِكَ لَنَا بِهَاتَيْنِ الْعِبَادَتَيْنِ شُكْرًا لِإِنْعَامِنَا عَلَيْكَ وَهُمَا السَّبَبُ لِإِنْعَامِنَا عَلَيْكَ بِذَلِكَ فَقَدْ لَنَا بِهِمَا فَإِنَّ الصَّلَاةَ وَالنَّحْرَ مَحْفُوفَانِ بِإِنْعَامِ قَبْلَهُمَا وَإِنْعَامِ بَعْدَهُمَا وَأَجَلُ الْعِبَادَاتِ الْمَالِيَةِ النَّحْرُ وَأَجَلُ الْعِبَادَاتِ الْبَدَنِيَّةِ الصَّلَاةُ وَمَا يَجْتَمِعُ لِلْعَبْدِ فِي الصَّلَاةِ لَا يَجْتَمِعُ لَهُ فِي غَيْرِهَا مِنْ سَائِرِ الْعِبَادَاتِ كَمَا عَرَفَهُ أَرْبَابُ الْقُلُوبِ الْحَيَّةِ وَأَصْحَابُ الهممِ الْعَالِيَةِ وَمَا يَجْتَمِعُ لَهُ فِي نَحْرِهِ مِنْ إِبْتِئَارِ اللَّهِ وَحُسْنِ الظَّنِّ بِهِ وَقُوَّةِ الْيَقِينِ وَالْوُثُوقِ بِمَا فِي يَدِ اللَّهِ أَمْرٌ عَجِيبٌ إِذَا قَارَنَ ذَلِكَ الْإِيمَانَ وَالْإِخْلَاصَ وَقَدْ امْتَثَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْرَ رَبِّهِ فَكَانَ كَثِيرَ الصَّلَاةِ لِرَبِّهِ كَثِيرَ النَّحْرِ حَتَّى نَحَرَ بِيَدِهِ فِي حَجَّةِ الْوُدَاعِ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ بَدْنَةً وَكَانَ يَنْحَرُ فِي الْأَعْيَادِ وَغَيْرِهَا" اهـ^(١)

(١) مجموع الفتاوى - (١٦ / ٥٣١ - ٥٣٢)

متى يكون الذبح شركاً؟

قال بعض أهل العلم: ينظر في الذبح إلى أمرين: وهما: القصد والتسمية.

فإذا قصد الذابح وجه الله وسمى الله، كان الذبح مشروعاً، وإذا اختل أحدهما كان الذبح شركاً.

فإن سمي غير الله وقصد غير الله كان الذبح شركاً أكبر في الألوهية والأسماء والصفات.

وإن قصد غير الله وسمى الله كان شركاً أكبر في الألوهية.

وإن سمي غير الله وقصد الله كان الشرك في الربوبية والأسماء والصفات.

والذبح لغير الله شرك أكبر مطلقاً، وليس فيه أصغر والله أعلم، إلا ما كان من الذبح لإرضاء الخصم وهو ما يسمى ب(الهجر) فإنه يكون أصغر أو بدعة على خلاف بين أهل العلم، إلا إذا ذبحه الجاني تقرباً وتعظيماً إلى المجني عليه فيصير أكبر.

فالشيوخ مقبل الوادعي رحمه الله يرى بأنه شرك^(١)، وشيخنا يحيى الحجوري يفتي ببديعته، ولعلماء اللجنة الدائمة فتوى ببديعية ذلك وفتوى أخرى بأنه شرك.

وقد يخلو الذبح من القصد والتقرب، كالذبح للأكل وهو الذبح المباح كما سيأتي، لكن لا بد من التسمية وإلا لم تحل الذبيحة.

وما وقع بعض الناس في الشرك في الذبح إلا لعدم معرفتهم أن الذبح عبادة، فصرفوها لغير الله، ولهذا لما كان المشركون يعلمون أن الذبح عبادة صرفوها للأصنام من جنس ما يصرفون لها من أنواع العبادات .

فمن صرف الذبح لغير الله فهو مشرك ملعون بنص حديث علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ « لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ أَوَى مُحْدِثًا وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالذِّبِيهِ وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيَّرَ الْمَنَارَ »..»^(٢)

قال الشيخ سليمان بن عبدالله: "اللجنة البعد عن مظان الرحمة ومواطنها قيل: واللعين والملعون من حقت عليه اللعنة أو دعى عليه بها قال أبو السعادات: أصل اللعن: الطرد والإبعاد من الله ومن الخلق السب والدعاء" هـ^(٣).

قال شيخ الإسلام عند قوله تعالى: "وَمَا أَهْلَ لَيْعِيْرِ اللَّهِ بِهِ" ظاهره: أنه ما ذبح لغير الله، مثل أن يقال: هذا ذبيحة لكذا، وإذا كان هذا هو المقصود: فسواء لفظ به أو لم يلفظ. وتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذبحه للحم، وقال فيه: باسم المسيح، ونحوه، كما أن ما ذبحناه نحن متقربين به إلى الله سبحانه كان أذكى وأعظم مما ذبحناه للحم، وقلنا عليه: باسم الله، فإن عبادة الله سبحانه بالصلاة له والنسك له أعظم من الاستعانة باسمه في فواتح الأمور، وكذلك الشرك بالصلاة لغيره والنسك لغيره أعظم من الاستعانة باسمه في فواتح الأمور. فإذا حرم ما قيل فيه: باسم المسيح، أو الزهرة؛ فلأن يحرم ما قيل فيه: لأجل المسيح والزهرة أو قصد به ذلك، أولى.

(١) انظر إجابة السائل.

(٢) رواه مسلم رقم (١٩٧٨)

(٣) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد - (١ / ١٥٧)

وهذا يبين لك ضعف قول من حرم ما ذبح باسم غير الله ، ولم يحرم ما ذبح لغير الله ، كما قاله طائفة من أصحابنا وغيرهم ، بل لو قيل بالعكس لكان أوجه ، فإن العبادة لغير الله أعظم كفرا من الاستعانة بغير الله .

وعلى هذا : فلو ذبح لغير الله متقربا به إليه لحرم وإن قال فيه : بسم الله ، كما يفعله طائفة من منافقي هذه الأمة الذين يتقربون إلى الكواكب بالذبح والبخور ونحو ذلك ، وإن كان هؤلاء مرتدين لا تباح ذبيحتهم بحال ، لكن يجتمع في الذبيحة مانعان .^(١)

وقال الشيخ محمد حامد الفقي عند تعليقه على هذا الكلام: "وهم اللذين يكتبون الحجب والتمايم والتعاويذ ونحوها، فإنهم يتحرون بها يوم السبت في ساعة كذا ، أو غيره من الأيام والساعات ، ويذبحون ويبخرون عند نزول الكوكب الفلاني في منزلة كذا ونحو كذا ، وهم في البلاد الإسلامية كثير - لا كثرهم الله - ويعتقد فيهم العامة الصلاح والتقوى مع أنهم مشركون مرتدون مفسدون للعقول بدجلهم بهذه التمايم والحجب ، ومتخذون آيات الله هزوا ، ويتقربون بهذه المناسك لغير الله ، فيأثمه ما أشد غربة هذا الإسلام وإنا لله وإنا إليه راجعون"^(٢)

فالذبح قربة عظيمة وعبادة جلييلة ولو كان المذبح شيئا يسيرا وصرفه لغير الله شرك ولو كان المذبح شيئا حقيرا، فقد روى الإمام أحمد عن سلمان الفارسي أنه دخل رجل الجنة في ذباب ، ودخل النار رجل في ذباب . قالوا : وكيف ذلك ؛ قال : مر رجلان ممن كان قبلكم على قوم لهم صنم (وفي رواية : يعكفون على صنم لهم) لا يجوز له أحد حتى يقرب له شيئا ، فقالوا لأحدهما : قرب شيئا ، قال : ليس عندي شيء . فقالوا له : قرب ولو ذبابا . فقرب ذبابا . فخلوا سبيله . قال : فدخل النار . وقالوا للآخر : قرب ولو ذبابا . قال : ما كنت لأقرب لأحد شيئا دون الله عز وجل . قال فضربوا عنقه ، قال : فدخل الجنة)^(٣)

ففي هذا الأثر دليل على خطورة الشرك قليله وكثيره ، وأنه يوجب النار والعياذ بالله.

قال الشيخ عبدالرحمن آل الشيخ في قرّة عيون الموحدين حول هذا الأثر: "...لأنه قصد غير الله بقلبه وانقاد بعمله فوجبت له النار، ففيه معنى حديث مسلم عن جابر مرفوعا: "من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار" فإن كان هذا فيمن قرب ذبابا للصنم فكيف بمن يستسمن الإبل والبقر والغنم ليتقرب بنحرها وذببحها لمن كان يعبده من دون الله من ميت أو غائب أو طاغوت أو مشهد أو شجر أو حجر أو غير ذلك، وكان هؤلاء المشركون في أواخر هذه الأمة يعدون ذلك أفضل من الأضحية في وقتها التي شرعت فيه، وربما اكتفى بعضهم بذلك عن أن يضحي لشدة رغبته وتعظيمه ورجائه لمن كان يعبده من دون الله ، وقد عمت البلوى بهذا وما هو أعظم منه"^(٤)

فإن قال قائل : إن هذا الرجل الذي قرب ذبابا للصنم كان مكرها ، والمكره لا مؤاخذه عليه .

أجيب عليه : بأن الذي يظهر أنه لم يكن مكرها ، يؤخذ هذا من قوله: (ليس عندي شيء أقرب) ولم يأت في كلامهم أنهم بادروه بالتهديد والوعيد، فإنهم لم يقولوا: قرب وإلا قتلناك ، وإنما قالوا قرب، فقرب فكان جزاؤه النار والعياذ بالله.

(١) اقتضاء الصراط المستقيم - تح العقل - (٢ / ٢٥٠٦٤)

(٢) فتح المجيد مع القول المفيد ص (٢٤٢-٢٤٣)

(٣) قال الشيخ الألباني سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة - (١٢ / ٧٢٢)

الحديث صحيح موقفا على سلمان الفارسي رضي الله عنه ؛ إلا أنه يظهر لي أنه من الإسرائيليات التي كان تلقاها عن أسياده حينما كان نصرانيا .

(٤) انظر فتح المجيد مع القول المفيد ص (٢٤٧)

قال الشيخ سليمان بن عبدالله - رحمه الله -:" في هذا بيان عظمة الشرك ولو في شيء قليل وأنه يوجب النار ألا ترى إلى هذا لما قرب لهذا الصنم أرذل الحيوان وأخسه وهو الذباب كان جزاؤه النار لإشراكه في عبادة الله إذ الذبح على سبيل القرية والتعظيم عبادة وهذا مطابق لقوله تعالى:" إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ" [المائدة : ٧٢] وفيه الحذر من الذنوب وإن كانت صغيرة في الحسبان كما قال أنس:"إنكم لتعملون أعمالا هي أدق في أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم من الموبقات" (١)

قلت: وكيف لو رأى أنس بن مالك رضي الله عنه أقواما يذبحون لغير الله من الأنبياء والأولياء والأشجار والأحجار والموتى والأضرحة والجن وغيرهم ويزعمون أنهم مسلمون!! كيف لو رأهم وهم يقربون لهم أحسن الذبائح وأسمنها وأكثرها ثمنا ماذا سيقول فيهم!؟

.. ثم قال الشيخ سليمان "وفيه أنه دخل النار بسبب لم يقصده بل فعله تخلصا من شرهم.

وفيه أن الذي دخل النار مسلم لأنه لو كان كافرا لم يقل دخل النار في ذباب.

وفيه أن عمل القلب هو المقصود الأعظم حتى عند عبدة الأوثان .

و قوله وقالوا للآخر: قرب قال: ما كنت لأقرب لأحد شيئا دون الله عز و جل.. " إلى آخره في هذا بيان فضيلة التوحيد والإخلاص ..

وفيه معرفة قدر الشرك في قلوب المؤمنين كيف صبر على القتل ولم يوافقهم على طلبتهم مع كونهم لم يطلبوا إلا العمل الظاهر " اهـ (٢)

(١)رواه البخاري

(٢) تيسير العزيز الحميدص(١٥٨)

أقسام الذبائح:**١- ذبائح مباحة:**

مثل الذبح للأكل والذبح للبيع ونحوها.

٢: ذبائح شرعية:

مثل الذبح للعقيقة والأضحية والهدي و الذبح للوليمة والذبح لإكرام الضيف ونحو ذلك، والأدلة في ذلك كثيرة ومستفيضة.

٣: ذبائح محرمة:

مثل الذبح للهجر- أي لإرضاء الخصم - وقد تقدم، أو الذبح في مكان يعصى الله فيه، أو الذبائح التي تموت بغير تذكية كالمصعوقة أو الموقوذة أو المتردية أو النطيحة أو ما أكل السبع مالم تذكى، وذلك أن تدرك قبل موتها وفيها حياة مستقرة فتذبح على الطريقة الشرعية فتحل وإلا فلا، وأما إذا أدركت كهيئة المذبوح بسبب النطح أو السبع فلا تحل، فكل هذه لا يجوز الأكل منها ولو ذكر اسم الله عليها لما ثبت من حديث رافع بن خديج - رضي الله عنه - أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَا أَنْهَرَ الدَّمَ وَذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ فَكُلُوا لَيْسَ السِّنُّ وَالظُّفْرُ وَسَأَحَدْتُكُمْ عَنْ ذَلِكَ أَمَّا السِّنُّ فَعَظْمٌ وَأَمَّا الظُّفْرُ فَمَدَى الْحَبَشَةِ"^(١).

٤: ذبائح مبتدعة:

مثل الذبح ليلة النصف من شعبان وليلة المولد النبوي، والذبح عند الموت ، أو الذبح في مكان يعتقد فيه البركة بغير دليل، أو في زمان يعتقد فيه الفضل وليس عليه دليل، أو الذبح عند الاستسقاء تقرباً إلى الله تعالى ونحو ذلك.

فهذه الذبائح مردودة على أصحابها لا يؤجرون عليها، وإن كان القصد منها التقرب إلى الله وذكر اسم الله عليها، إلا أن هذه الأفعال تخالف هدي النبي صلى الله عليه وسلم فهي مردودة من هذه الحيثية، فقد جاء من حديث عَائِشَةَ - رضي الله عنها - قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- « مَنْ أَحَدَّثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ »^(٢).

وفي رواية لمسلم: (مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ)

قال النووي عند هذا الحديث: "قَالَ أَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ: (الرَّدُّ) هُنَا بِمَعْنَى الْمَرْدُودِ ، وَمَعْنَاهُ : فَهُوَ بَاطِلٌ غَيْرُ مُعْتَدِّ بِهِ"^(٣)

(١) متفق عليه

(٢) متفق عليه.

(٣) شرح النووي على مسلم - (١٥٠ / ٦)

هـ: ذبائح شركية:

مثل الذبيح للقبور أو لأصحابها، أو الذبيح للجن كالذبيح على المريض أو على الكنز أو على أساس البيت الجديد عند بنائه أو عند دخوله مع اعتقاد جلب النفع أو دفع الضر، أما إذا كان الذبيح شكراً لله وفرحاً في هذا البيت فليس هناك محذور، أو الذبيح على النهر أو على بئر لئلا يجف ماؤها أو الذبيح للجبل لئلا يسقط على الناس، أو الذبيح عند الاستسقاء للجن تقرباً إليهم، ونحو ذلك. فهذا كله وأمثاله من الشرك الأكبر وقد تقدم ذكر الأدلة في ذلك.

حكم الأكل من الذبيحة التي ذبحت لغير الله:

لا يجوز الأكل من الذبيحة التي أهلت لغير الله أو ذبحت على طريقة غير مشروعة لقوله تعالى: "حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَفَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ" الآية [المائدة : ٣]

قال السعدي - رحمه الله - { وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ } أي: ذكر عليه اسم غير الله تعالى، من الأصنام والأولياء والكواكب وغير ذلك من المخلوقين. فكما أن ذكر الله تعالى يطيب الذبيحة، فذكر اسم غيره عليها، يفيدها خبثاً معنوياً، لأنه شرك بالله تعالى" اهـ^(١).

وقال النووي عند حديث علي - رضي الله عنه - "لعن الله من ذبح لغير الله..". الحديث

قال: "وَأَمَّا الذَّبْحُ لِغَيْرِ اللَّهِ فَأَلْمَرَادُ بِهِ أَنْ يَذْبَحَ بِاسْمِ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى كَمَنْ ذَبَحَ لِلصَّنَمِ أَوْ الصَّلِيبِ أَوْ لِمُوسَى أَوْ لِعِيسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا أَوْ لِلْكَعْبَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ ، فَكُلُّ هَذَا حَرَامٌ ، وَلَا تَحِلُّ هَذِهِ الذَّبِيحَةُ ، سَوَاءً كَانَ الذَّابِحُ مُسْلِمًا أَوْ نَصْرَانِيًّا أَوْ يَهُودِيًّا ، نَصَّ عَلَيْهِ الشَّافِعِيُّ ، وَاتَّفَقَ عَلَيْهِ أَصْحَابُنَا ، فَإِنْ فَصَدَ مَعَ ذَلِكَ تَعْظِيمَ الْمَذْبُوحِ لَهُ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى وَالْعِبَادَةَ لَهُ كَانَ ذَلِكَ كُفْرًا ، فَإِنْ كَانَ الذَّابِحُ مُسْلِمًا قَبْلَ ذَلِكَ صَارَ بِالذَّبْحِ مُرْتَدًّا ." اهـ^(٢)

حكم الأكل من الذبيحة التي لم يذكر اسم الله عليها:

إن تعمد الذابح ترك التسمية فلا يجوز الأكل منها، وإن نسي التسمية عند الذبيح فالمسألة فيها خلاف بين أهل العلم، والصحيح عدم الجواز لقوله تعالى: "وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَّرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ" [الأنعام : ١٢١]

قال العلامة العثيمين - رحمه الله - في كلامه حول التسمية: "يقول: «بسم الله» وجوباً؛ لأن من شرط حل الذبيحة أو النحرية التسمية، و «الله أكبر» استحباباً، ..

والتسمية على الذبيحة شرط من شروط صحة التذكية، ولا تسقط لا عمداً ولا سهواً ولا جهلاً؛ وذلك لأنها من الشروط، والشروط لا تسقط عمداً ولا سهواً ولا جهلاً؛ ولأن الله قال: {وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَّرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ} [الأنعام: ١٢١] ، فقال: {مِمَّا لَمْ يُذَكَّرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ} ولم يقيد ذلك بما إذا ترك اسم الله عليه عمداً، وهنا يلتبس على

(١) تفسير السعدي - (١ / ٢١٩)

(٢) شرح النووي على مسلم - (٦ / ٤٧٥)

بعض الناس فيقول: أليس الله قد قال: {رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا} [البقرة: ٢٨٦] ؟ فنقول: بلى قال الله ذلك، ولكن هنا فعلان:

الأول: فعل الذابح.

الثاني: فعل الآكل.

وكل واحد منهما يتميز عن الآخر، ولا يلحق هذا حكم هذا، ولذلك قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيمن سأله عن قوم حديثي عهد بالكفر يأتون باللحم، ولا يدرى أحدهم هل ذكر اسم الله عليه أم لا؟ قال: «سموا أنتم وكلوا» (١) ؛ لأن الإنسان مطالب بتصحيح فعله، لا بتصحيح فعل غيره، فإن الفعل إذا وقع من أهله فإن الأصل السلامة والصحة، ونقول: لا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه، فإذا أكلنا نسياناً أو جهلاً فليس علينا شيء لقوله تعالى: {رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا} [البقرة: ٢٨٦] ، أما أن نعرف أن هذه الذبيحة لم يسمَّ عليها، فلا يجوز أكلها.

وأما فعل الذابح: فإذا نسي التسمية، فقد قال الله تعالى: {رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا} [البقرة: ٢٨٦] .

فإذا قال قائل: كيف تؤاخذونه وقد نسي؟! قلنا: لا تؤاخذوه، فنقول: ليس عليك إثم بعدم التسمية، ولو تعمدت ترك التسمية لكنك آثماً لما في ذلك من إضاعة المال وإفساده، وأما الآن فلا شيء عليك؛ لأنك ناس، ويظهر ذلك بالمثل المناظر تماماً لهذا: لو صلى الإنسان وهو محدث ناسياً فليس عليه إثم، وصلاته باطلة يجب أن تعاد؛ لأن الطهارة من الحدث شرط، وإذا كانت شرطاً، فإنها لا تسقط بالنسيان، ولكن يعذر الفاعل فلا يآثم، وهذا واضح، وكذلك التسمية أيضاً. (٢)

ورجح هذا القول شيخنا يحيى الحجوري حفظه الله.

وهذا الحكم في حق من علم أن الذبيحة لم يسمَّ عليها، أما من لم يعلم فليس مكلفاً بأن يذهب يسأل هل سمي الله عليها أم لا؟ فإن هذا من التنطع.

حكم الدجاج الفرنسي والبرازيلي المستورد:

الأصل في ذبائح الكفار التحريم، إلا ما خصه الدليل بشروطه من ذبائح أهل الكتابين، وعلى هذا فلا يجوز الأكل من الدجاج الفرنسي والبرازيلي ونحوه من الدجاج المستورد من بلاد الكفار؛ لعدم توفر الشروط فيها.

منها: أنها لم تذكَّ ولم يذكر اسم الله عليها.

ومنها: أن الذابح لها كافر وذبائح الكفار لا تجوز ما لم يكن الذابح كتابياً كما سيأتي.

ومنها: أنهم يصعقونها صعقاً بالكهرباء حتى تموت ثم يقطعون رؤوسها ويصدرونها للمسلمين فهي في حكم الميتة.

(١) رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها

(٢) الشرح الممتع على زاد المستقنع (٣/٣٦٩-٣٧٠)

وقد ذهبت لجان تفتيش من المسلمين إلى هذه المسالخ فوجدوهم يصعقونها بالكهرباء حتى تموت كما تقدم ثم يكتبون عليها مذبح على الطريقة الإسلامية أو يكتبون: (حلال) تلبسوا على الناس، وربما كتبوا على المسلخ (بسم الله الرحمن الرحيم) وهذا لا يكفي، حتى تذبح ذبحا ويذكر اسم الله عليها ويكون الذابح مسلما أو كتابيا، وهكذا يفعلون في المواشي، فعلى هذا لا يجوز الأكل من ذبائح الكفار حتى ولو كانوا كتابيين والحال ما ذكر، وسيأتي بيان ذلك قريبا إن شاء الله في ذبائح أهل الكتاب.

أما لو كانت هذه الذبائح واللحوم مستوردة من بلدان إسلامية فيجوز الأكل منها؛ لأن الأصل أنها ذبائح شرعية فلا يلزم السؤال عن كيفية ذبحها لأن الأصل السلامة في البلاد الإسلامية والحمد لله، إلا إذا علم أن بعض البلدان الإسلامية أو بعض مسالخها تذبح على غير الطريقة الإسلامية فلا يجوز الأكل من هذه الذبائح ولو كان الذابح مسلما.

حكم ذبائح أهل الكتاب من اليهود والنصارى:

الأصل في ذبائح أهل الكتاب الحل لقوله تعالى: "الْيَوْمَ أَحْلَلْنَا لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلٌّ لَهُمْ" [المائدة: ٥] ولأنهم يذكرون اسم الله على هذه الذبائح.

قال السعدي - رحمه الله - عند تفسير قوله تعالى { وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ } أي: ذبائح اليهود والنصارى حلال لكم - يا معشر المسلمين - دون باقي الكفار، فإن ذبائحهم لا تحل للمسلمين، وذلك لأن أهل الكتاب ينتسبون إلى الأنبياء والكتب.

وقد اتفق الرسل كلهم على تحريم الذبح لغير الله، لأنه شرك، فاليهود والنصارى يتدينون بتحريم الذبح لغير الله، فذلك أبيحت ذبائحهم دون غيرهم. "اهـ" (١)

وذكر ابن كثير أن أهل الكتاب يعتقدون تحريم الذبح لغير الله، ولا يذكرون على ذبائحهم إلا اسم الله "اهـ" (٢)

نستنتج من هذا أنه يجوز أكل ذبائح أهل الكتاب بشروط:

١- أن يذكروا اسم الله على الذبيحة.

٢- أن تذبح على الطريق الشرعية بفري الأوداج وإنهار الدم.

٣- أن يقصد بها وجه الله تعالى.

فإذا اختل شرط من هذه الشروط فلا يجوز أكلها كما هو الشأن في ذبيحة المسلم، فإذا خالف المسلم الطريقة الشرعية في الذبيحة فلا يجوز أكل ذبيحته، فالكتابي من باب أولى وأحرى.

لكن وقع الخلاف هل تجوز ذبائحهم إذا سموا غير الله كالمسيح ونحوه، فذهب بعضهم إلى جوازها، وذهب آخرون إلى تحريمها وهو الصحيح.

(١) تفسير السعدي (٢٢١)

(٢) تفسير ابن كثير (٣٠/١)

وظاهر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية القول بالتحريم حيث قال: "فإذا حرم ما قيل فيه : باسم المسيح ، أو الزهرة ؛ فلأن يحرم ما قيل فيه : لأجل المسيح والزهرة أو قصد به ذلك ، أولى" اهـ^(١)

قال الشيخ عبدالرحمن آل الشيخ: "وَأما الذبح للحم وذكر على الذبيحة اسم المسيح أو الزهرة ونحو ذلك ، فهذا الذي فيه خلاف بين العلماء ، وظاهر كلام شيخ الإسلام يدل أنه يقول بتحريمه ، ووافقه على ذلك بعض العلماء" وذكر الإمام أحمد أنه إذا علم أنه ذكر غير اسم الله عليها لم تحل" اهـ

حكم الذبح للسلطان والضيف :

تقدم أنه يشرع الذبح لإكرام الضيف فإنه مستحب ، وكذلك الذبح لإكرام السلطان، لكن إذا كان الذبح تقرباً وتعظيماً له فلا يجوز فإنه يدخل ضمن الذبائح المحرمة أو الشركية.

قال الإمام النووي - رحمه الله - : " وَذَكَرَ الشَّيْخُ إِبْرَاهِيمَ الْمَرْوَزِيَّ مِنْ أَصْحَابِنَا : أَنَّ مَا يُذْبَحُ عِنْدَ اسْتِئْجَالِ السُّلْطَانِ تَقَرُّبًا إِلَيْهِ أَفْتَى أَهْلُ بَخَارَى بِتَحْرِيمِهِ ؛ لِأَنَّهُ مِمَّا أَهْلٌ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، قَالَ الرَّافِعِيُّ : هَذَا إِنَّمَا يَذْبَحُونَهُ اسْتِئْجَارًا بِقُدُومِهِ فَهُوَ كَذَّبِحِ الْعَقِيقَةِ لَوْلَادَةِ الْمُؤَلُودِ ، وَمِثْلُ هَذَا لَا يُوجِبُ النَّحْرِيمَ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ " اهـ^(٢)

وقال الشيخ سليمان: "إن كانوا يذبحون استئجاراً كما ذكر الرافي في ذلك وإن كانوا يذبحونه تقرباً إليه فهو داخل في الحديث." اهـ^(٣)

وهكذا القول في الذبح للضيف والعروسين ونحو ذلك على التفصيل المتقدم "إنما الأعمال بالنيات"^(٤).

(١) اقتضاء الصراط المستقيم - تح العقل - (٢ / ٦٥)

(٢) شرح النووي على مسلم - (٦ / ٤٧٥)

(٣) تيسير العزيز الحميد /ص (١٥٥)

(٤) متفق عليه عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثالث: الشرك في النذر

تعريف النذر:

لغة: أصله من الإيجاب والتخويف. اهـ^(١)

قال ابن منظور: "النَّذْرُ النَّحْبُ وهو ما يُنذِرُهُ الإنسان فيجعله على نفسه نَحْباً واجباً وجمعه نُذُورٌ والشافعي سَمَّى في كتاب جِراحِ العَمْدِ ما يجب في الجِراحات من الذِّيات نُذْراً.." اهـ^(٢)

واصطلاحاً: هو ما أوجبه المكلف على نفسه من الطاعات ما لم يجب عليه.

وعرفه الشيخ عثمان التميمي: "لغة: الوعد بخير أو شر. وشرعاً: إلزام قربة لم تتعين." اهـ^(٣)

أقسام النذر:

النذر من حيث الجملة ينقسم إلى قسمين:

نذر لله، وقسمه ابن قدامة إلى قسمين: مطلق ومقيد وسيأتي تفصيله.

ونذر لغير الله وهو النذر الشركي.

أولا النذر لله وهو قسمان:

١: النذر المطلق:

وهو أن ينذر العبد لله تعالى عبادة دون مقابل، ولم يقيده بشيء يقابله، وصيغته أن يقول: الله علي صيام ثلاثة أيام، وهذا جائز، إلا أنه خلاف الأولى، لعدم فعل السلف لذلك، وربما كلف العبد نفسه بشيء لا يستطيع الوفاء به فيذهب يلتمس الرخص والمعاذير، فربما عجز عن الوفاء بالنذر، فالأولى اجتنابه، فإن أراد العبد أن يتقرب إلى الله بشيء فعله بدون نذر، فإن تيسر له ذلك كان بها، وإلا فلا شيء عليه، فإنه إن نوى فعل تلك القربة فلا يجب عليه الوفاء بمجرد النية، بخلاف النذر فإنه لو نذر فإنه يجب عليه الوفاء بمجرد التلفظ بالنذر لقوله تعالى: "ثُمَّ لِيُقْضُوا تَفَنَّهُمْ وَلِيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ" [الحج : ٢٩]

ولما جاء من حديث عائشة، رضي الله عنها، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلَا يَعْصِيهِ"^(٤).

(١) انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس.

(٢) لسان العرب - (٥ / ٢٠٠)

(٣) فتح الحميد/عثمان التميمي.

(٤) رواه البخاري

ففي الآية والحديث أمر وهو الفعل المضارع الذي دخلت عليه لام الأمر وهو قوله:(وليوفوا)وقوله:(فليطعه) والأمر يقتضي الوجوب،وهذا النذر عبادة يجب الوفاء به.

قال ابن عثيمين - رحمه الله -: " هذه الآية سيقت لمدح الأبرار {إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا} ومدحهم. بهذا يقتضي أن يكون عبادة، لأن الإنسان لا يمدح ولا يستحق دخول الجنة إلا بفعل شيء يكون عبادة. اهـ^(١)

فإن قيل: كيف يكون هذا النذر خلاف الأولى أو مكروها وقد أثنى الله على الذين يوفون بالنذر؟

أجيب عليه: بأن هذا المدح لمن وفى بنذره وليس المدح لمن ابتدأ النذر من أصله، فإنه قال: "يوفون بالنذر" ولم يقل: "ينذرون" ففرق بين المسألتين.

٢: النذر المقيد:

وهو أن ينذر العبد لله عبادة، ويقيده بمقابل، وصيغته أن يقول: الله علي صيام ثلاثة أيام إن شفى الله مريضى مثلا، فحكم هذا النوع يدور بين الكراهة والتحريم على خلاف بين أهل العلم، فمنهم من قال بتحريمه ومنهم من قال بكراهته، وهذا هو المقصود من قول النبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ نَهَى عَنِ النَّذْرِ وَقَالَ « إِنَّهُ لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ »^(٢) لأنه علق الطاعة بحصول مقابل.

وحكمه وجوب الوفاء به إن تحقق مطلوبه لما جاء من حديث عائشة - رضي الله عنها- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعهُ ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلَا يَعْصِهِ " ^(٣)

وإذا لم يتحقق مطلوبه فلا يجب عليه الوفاء بهذا النذر لأنه علق الطاعة بحصول ذلك المطلوب، فلم يحصل، ولذلك سماه النبي صلى الله عليه وسلم بخلا.

الثاني: النذر الشركي:

النذر الشركي هو النذر لغير الله بأن يصرف نوعا من أنواع العبادات لمخلوق، سواء كان ندرا مطلقا أو ندرا مقيدا، وهو حرام بالاتفاق بل هو من أظلم الظلم وحكمه شرك أكبر؛ لأنه عبادة والعبادة لا تكون إلا لله، فمن صرفها لغير الله فقد أشرك.

قال العلامة العثيمين - رحمه الله -: " النذر لغير الله مثل أن يقول: لفلان علي نذر، أو لهذا القبر علي نذر، أو لجبريل علي نذر، يريد بذلك التقرب إليهم، وما أشبه ذلك.. وحكم النذر لغير الله شرك، لأنه عبادة للمنذور له، وإذا كان عبادة فقد صرفها لغير الله، فيكون مشركا وهذا النذر لغير الله لا ينعقد إطلاقا، ولا تجب فيه كفارة، بل هو شرك تجب التوبة منه، كالحلف بغير الله، فلا ينعقد، وليس فيه كفارة.

وأما نذر المعصية؛ فينعقد، لكن لا يجوز الوفاء به، وعليه كفارة يمين، كالحلف بالله على المحرم ينعقد، وفيه كفارة. " ^(١)

(١) القول المقيد (٢٤٦/١)

(٢) مسلم (١٦٣٩)

(٣) البخاري (١٦٤٥)

وقال الشيخ عثمان التميمي: "فيها وعيد شديد وتهديد أكيد لمن تعدى حدود الله تعالى إلى محارمه ودخل في باب الظلم إلى ذلك، ومن أعظم الظلم أن تصرف شيئاً من عبادة الله إلى غيره، كالنذر لغير الله كأننا من كان، نبيا أو وليا أو ملكا أو صالحا أو طالحا أو شجرا أو حجرا، فمن نذر شيئاً من ذلك فقد دخل في الشرك" اهـ^(٢)

وقال شيخ الإسلام - رحمه الله تعالى -: "وأما ما نُذر لغير الله كالنذر للأصنام والشمس والقمر والقبور ونحو ذلك فهو بمنزلة أن يحلف بغير الله من المخلوقات والحالف بالمخلوقات لا وفاء عليه ولا كفارة وكذلك الناذر للمخلوقات فإن كليهما شرك والشرك ليس له حرمة بل عليه أن يستغفر الله من هذا ويقول ما قال النبي صلى الله عليه وسلم : [من حلف وقال في حلفه : واللوات والعزى فليقل لا إله إلا الله]^(٣)

وقال فيمن نذر شمعة أو نحوها دهنا لتتور به ويقول : إنها تقبل النذر كما يقوله بعض الضالين - : وهذا النذر معصية باتفاق المسلمين لا يجوز الوفاء به وكذلك إذا نذر ما لا للسنة أو المجاورين العاكفين بتلك البقعة فإن فيهم شبهة من السنة التي كانت عند اللات والعزى ومناة يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والمجاورون هناك فيهم شبهة من الذين قال فيهم الخليل عليه السلام : { ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون } والذين اجتاز بهم موسى عليه السلام وقومه قال تعالى : { وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم } [٧ : ١٣٨] فالنذر لأولئك السنة والمجاورين في هذه البقاع نذر معصية وفيه شبهة من النذر لسنة الصليان والمجاورين عندها أو لسنة الأبداد في الهند والمجاورين عندها

وقال الرافعي في شرح المنهاج : وأما النذر للمشاهد التي على قبر ولي أو شيخ أو على اسم من حلها من الأولياء أو تردد في تلك البقعة من الأولياء والصالحين فإن قصد الناذر بذلك - وهو الغالب أو الواقع من قصد العامة تعظيم البقعة والمشهد أو الزاوية أو تعظيم من دفن بها أو نسبت إليه أو بنيت على اسمه فهذا النذر باطل غير منعقد فإن معتقدهم أن لهذه الأماكن خصوصيات ويرون أنها مما يدفع بها البلاء ويستجلب بها النعماء ويستشفى بالنذر لها من الأدواء حتى إنهم ينذرون لبعض الأحجار لما قيل لهم : إنه استند إليها عبد صالح وينذرون لبعض القبور السرج والشموع والزيت ويقولون إنها تقبل النذر كما يقوله البعض يعنون بذلك أنه يحصل به الغرض المأمول من شفاء مريض أو قدوم غائب أو سلامة مال وغير ذلك من أنواع المجازاة فهذا النذر على الوجه باطل لا شك فيه بل نذر الزيت والشمع ونحوهما للقبور باطل مطلقاً ومن ذلك نذر الشموع الكثيرة العظيمة وغيرها لقبر الخليل عليه السلام ولقبر غيره من الأنبياء والأولياء فإن الناذر لا يقصد بذلك الإيقاد على القبر إلا تبركا وتعظيماً طائفاً أن ذلك قرابة فهذا مما لا ريب في بطلانه والإيقاد المذكور محرم سواء انتفع به هناك منتفع أم لا .

قال الشيخ قاسم الحنفي في شرح درر البحار : النذر الذي ينذره أكثر العوام على ما هو مشاهد كأن يكون للإنسان غائب أو مريض أو له حاجة فيأتي إلى بعض الصلحاء ويجعل على رأسه ستره ويقول : يا سيدي فلان إن رد الله غائبي أو عوفي مريض أو قضيت حاجتي فلك من الذهب كذا أو من الفضة كذا أو من الطعام كذا أو من الماء كذا أو من الشمع والزيت فهذا النذر باطل بالإجماع لوجوه منها : أنه نذر لمخلوق والنذر للمخلوق لا يجوز لأنه عبادة والعبادة لا تكون لمخلوق، ومنها: أن المنذور له ميت والميت لا يملك، ومنها: أنه ظن أن الميت

(١) القول المفيد (٢٤٥/١)

(٢) فتح الحميد (٦٦١/٢-٦٦٢)

(٣) متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه

يتصرف في الأمور دون الله واعتقاد ذلك كفر - إلى أن قال : إذا علمت هذا فما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت وغيرها وينقل إلى ضرائح الأولياء تقربا إليها فحرام بإجماع المسلمين "اهـ^(١)

والحاصل أن النذر لغير الله من أعمال الجاهلية الأولى إذ كانوا يندرون الذبائح والقربان لأصنامهم ومعبوداتهم وقد وجد في هذا الزمان من هذه الأمة أقوام ضلال يدعون العلم والصلاح والزهد ممن تشبه بأولئك المشركين فصاروا يجيزون النذور والذبائح للأولياء ويثبتون الأجر على ذلك ويعتقدونه ديناً وتوحيداً والعياذ بالله فيندرون لأصحاب القبور والأضرحة ويعتقدون أنهم يدفعون عنهم الشر أو يجلبون لهم الخير برد غائب أو شفاء مريض أو نحو ذلك، فوقعوا في الشرك الأكبر المخرج من الملة.

قال الشيخ صنع الله الحلبي الحنفي ردا على هؤلاء : "...فهذا النذر والذبح إن كان على اسم فلان وفلان فهو لغير الله فيكون باطلاً .. والنذر لغير الله إشراك مع الله .."

إلى أن قال: "فالنذر لغير الله كالذبح لغير الله، وقال الفقهاء: خمسة لغير الله شرك: الركوع والسجود والنذر والذبح واليمين، قال: والحاصل أن النذر لغير الله فجور، فمن أين يحصل لهم الأجر؟! "اهـ^(٢)

قال تعالى في شأن أولئك المشركين أهل الجاهلية الأولى: "وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ" [الأنعام: ١٣٦]

وقال تعالى: "وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَأَسْأَلَنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ" (النحل: ٥٦)

قال ابن جرير الطبري: "يقول تعالى ذكره: ويجعل هؤلاء المشركون من عبدة الأوثان، لما لا يعلمون منه ضرا ولا نفعاً نصيباً. يقول: حظاً وجزاء مما رزقناهم من الأموال، إشراكاً منهم له الذي يعلمون أنه خلقهم، وهو الذي ينفعهم ويضرهم دون غيره" اهـ^(٣)

وقسم الشيخ صالح الفوزان - حفظه الله - النذر إلى ما يلي^(٤):

قال: "والنذر الصحيح خمسة أقسام:

أحدها: النذر المطلق، مثل أن يقول: لله على نذر، ولم يسم شيئاً؛ فيلزمه كفارة يمين، سواء كان مطلقاً أو معلقاً؛ لما روى عقبة بن عامر؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كفارة النذر إذا لم يسم كفارة يمين"، رواه ابن ماجه والترمذي، وقال: "حسن صحيح غريب".

فدل هذا الحديث على وجوب الكفارة إذا لم يسم ما نذر لله عز وجل.

(١) انظر فتح المجيد شرح كتاب التوحيد - (١ / ١٥١)

(٢) انظر فتح الحميد (٢٠٠٧/٢)

٣ - جامع البيان (تفسير الطبري) - (١٧ / ٢٢٦)

٤ - وهذا التقسيم موجود في المعنى لابن قدامة رحمه الله.

الثاني: نذر اللجاج والغضب، وهو تعليق نذره بشرط يقصد المنع منه أو الحمل عليه أو التصديق أو التكذيب؛ كما لو قال: إن كلمتك، أو: إن لم أخبر بك، أو: إن لم يكن هذا الخبر صحيحاً، أو: إن كان كذبا؛ فعلي الحج أو العتق... ونحو ذلك؛ فهذا النذر يخير بين فعل ما نذره أو كفارة يمين؛ لحديث عمران بن حصين؛ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا نذر في غضب، وكفارته كفارة يمين"، رواه سعيد في "سننه"^(١).

والثالث: نذر المباح، كما لو نذر أن يلبس ثوبه أو يركب دابته ويخير بين فعله وبين كفارة يمين إن لم يفعله؛ كالقسم الثاني.

واختيار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أنه لا شيء عليه في نذر المباح؛ لما روى الإمام البخاري: بينما النبي صلى الله عليه وسل يخطب؛ إذا هو برجل قائم، فسأل عنه؟ فقالوا: أبو إسرائيل، نذر أن يقوم في الشمس ولا يستظل ولا يتكلم وأن يصوم. فقال: "مروه؛ فليتكلم، وليستظل، وليقعد، وليتم صومه".

الرابع: نذر المعصية، كنذر شرب الخمر وصوم أيام الحيض ويوم النحر؛ فلا يجوز الوفاء بهذا النذر؛ لقول النبي صلى الله عليه وسل: "من نذر أن يعصي الله؛ فلا يعصه"^(٢)، فدل هذا الحديث على أنه لا يجوز الوفاء بنذر المعصية؛ لأن المعصية لا تباح في حال من الأحوال، ومن نذر المعصية النذر للقبور أو لأهل القبور، وهو شرك أكبر كما سبق، ويكفر عن هذا النذر كفارة يمين عند بعض أهل العلم، وهو مروى عن ابن مسعود وابن عباس وعمران بن حصين وسمرة بن جندب رضي الله عنهم، وذهب جماعة من أهل العلم إلى عدم انعقاد نذر المعصية، وأنه لا يلزمه به كفارة، وهو رواية عن أحمد ومذهب أبي حنيفة ومالك والشافعي، واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية، وقال: "ومن أسرج قبراً أو مقبرة أو جبلاً أو شجرة أو نذر لها أو لسكانها أو المضافين إلى ذلك المكان؛ لم يجز، ولا يجوز الوفاء به إجماعاً، ويصرف في المصالح؛ ما لم يعلم ربه... انتهى".

الخامس: نذر التبرر، وهو نذر الطاعة؛ كفعل الصلاة والصيام والحج ونحوه، سواء كان مطلقاً "أي: غير معلق على حصول شرط"؛ كما لو قال: لله علي أن أصلي وأصوم...، أو معلقاً على حصول شرط؛ كقوله: إن شفى الله مرضي؛ فله علي كذا، فإذا وجد الشرط؛ لزمه الوفاء به؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: "من نذر أن يطيع الله؛ فليطعه"، رواه البخاري. ولقوله تعالى: {يُؤْفُونَ بِالَّذِينَ نَذَرُوا} ، ولقوله تعالى: {وَلْيُؤْفُوا نُذُورَهُمْ} ، والله اعلم. "اه"^(٣)

مظاهر شركية في النذور في زماننا:

ومما يحصل في زماننا من الشرك في النذور لأصحاب القبور والأضرحة والقباب في سبيل حفظ الأموال والأولاد كثير، فيصرفون لهم الأموال والذبائح والشموع والزيوت ونحو ذلك من أمثال أولئك:

- النذر لابن علوان.

- النذر للعيدروس.

- النذر للهادي.

١ - ضعيف - ضعفه الألباني. انظر حديث رقم : ٦٣١١ في ضعيف الجامع

٢ - تقدم تخريجه.

٣ - الملخص الفقهي - (٢ / ٤١٦-٦١٤)

- النذر للبدوي.

- النذر لصالح بن علي.

- النذر للرفاعي.

- النذر للجن.

وهذه النذور لا تتعقد ولا يجوز الوفاء بها، وليس فيها كفارة بل تجب التوبة منها كما تقدم من كلام أهل العلم فالتوبة والندم والإقلاع كفارتها .

وكذلك إن كان النذر في معصية أو في بدعة فلا يجوز الوفاء به و فيه كفارة لما روى مسلم عن عقبة بن عامر - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "كفارة النذر كفارة يمين"^(١)

أمثلة على نذر المعصية والنذر البدعي:

نذر المعصية: مثل أن ينذر بهجر فلان من المسلمين أو عدم الصلاة خلف فلان من المسلمين ونحو ذلك، فهذا النذر لا ينعقد ولا يفي به وفيه الكفارة كما تقدم في حديث عقبة بن عامر- رضي الله عنه.

النذر البدعي: مثل أن ينذر شيئاً في بدعة كالاحتفال بالموالد ونحوها، أو أن ينذر الله شيئاً في مكان أو زمان يعصى الله فيه أو تقام فيه البدع والمحدثات، مثل النذر لله عند قبر أو في مكان أو زمان فيه أعياد للمشركين.

فهذا النذر لا ينعقد ولا يجوز الوفاء به؛ لأن فيه ذريعة إلى الشرك أو البدع أو المعاصي ولم يفعله السلف الصالح.

فقد جاء من حديث ثابت بن الضحاك - رضي الله عنه ، قال: نذر رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينحر إبلا ببوانة فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني نذرت أن أنحر إبلا ببوانة فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد" قالوا: لا قال: "هل كان فيها عيد من أعيادهم" قالوا: لا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أوف بنذرك فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم"^(٢)

فيفهم من الحديث أنهم لو قالوا: نعم لنهاهم عن الوفاء بهذا النذر ولذلك سألهم عن ذلك، ويفهم من قوله: "لا وفاء بنذر في معصية الله.." أنه لا يجوز الوفاء بنذر في معصية الله ومن باب أولى في بدعة.

يتلخص مما تقدم أن النذر عبادة يجب الوفاء به إن نذر العبد شيئاً وكان هذا النذر لله، والأولى اجتناب النذر لعدم فعل السلف لذلك، وأنه لا يجوز النذر لغير الله، ولا يجوز النذر والذبح لله في الأماكن التي يعصى الله فيها أو الأماكن التي تقام فيها البدع وأعياد المشركين، ولا يجوز النذر والذبح عند القبور أو عند الشجر التي يعظمونها ويعتقدون فيها البركة، وكذلك لا يجوز الذبح أو النذر في الأماكن التي يعتقدون أن فيها جنا، كل هذا سدا لذريعة الشرك، وقد جاء الشرع بسد الطرق التي تفضي إلى الشرك ونصوص الكتاب والسنة مليئة بذلك والحمد لله، من ذلك على سبيل المثال: نهى الله تعالى عن سب المشركين لئلا يكون ذلك سبباً لسب الله تعالى، فهنا نهى الله عن

(١) مسلم (١٦٤٥)

(٢) رواه أبو داود رقم (٣٣١٣) وصححه الإمامان الألباني والوادعي رحمهما الله. الألباني في صحيح الجامع (٢٥٥١) والوادعي في الجامع الصحيح (٤٧١/٤)

شيء جائز سدا للذريعة ،قال تعالى: {وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأنعام : ١٠٨]

وأمثال ذلك كثير في الكتاب والسنة.

الفصل الخامس: المبحث الأول: الشرك في الرياء:

تعريف الرياء:

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - :الرياء: مشتق من الرؤية والمراد به إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيحمدوا صاحبها .

وقال الغزالي المعنى طلب المنزلة في قلوب الناس بأن يريهم الخصال المحمودة والمرائي هو العامل" اهـ^(١)

الفرق بين الرياء والسمعة:

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - :الرياء مشتق من الرؤية والسمعة: مشتقة من السمع، والمراد بها نحو ما في الرياء لكنها تتعلق بحاسة السمع والرياء بحاسة البصر، وقال ابن عبد السلام الرياء أن يعمل لغير الله والسمعة أن يخفي عمله لله ثم يحدث به الناس" اهـ^(٢)

وقال العلامة ابن عثيمين - رحمه الله -: الرياء مشتق من الرؤية، مصدر راعى يرأى، والمصدر رياء؛ كقاتل يقاتل قتالا.

والرياء: أن يعبد الله ليراه الناس؛ فيمدحوه على كونه عابدا، وليس يريد أن تكون العبادة للناس؛ لأنه لو أراد ذلك؛ لكان شركا أكبر، والظاهر أن هذا على سبيل التمثيل، وإلا؛ فقد يكون رياء، وقد يكون سماعا، أي يقصد بعبادته أن يسمعه الناس فيثنوا عليه، فهذا داخل في الرياء؛ فالتعبير بالرياء من باب التعبير بالأغلب. أما إن أراد بعبادته أن يقتدي الناس به فيها؛ فليس هذا رياء، بل هذا من الدعوة إلى الله عزوجل، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: " فعلت هذا لتأتموا بي وتعلموا صلاتي" اهـ^(٣) . اهـ^(٤)

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - : "والفرق بين الرياء وبين السمعة : أن الرياء لما يرى من العمل كالصلاة، والسمعة لما يسمع كالقراءة والوعظ والذكر ويدخل في ذلك التحدث بما عمله" اهـ^(٥)

(١)فتح الباري - ابن حجر - (١١ / ٣٣٦)

(٢)فتح الباري - ابن حجر - (١١ / ٣٣٦)

(٣)متفق عليه من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه

(٤)القول المفيد على كتاب التوحيد - (١ / ١١٧)

(٥) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد - (١ / ٣٥٧)

قلت: والخاصة، في الفرق بين الرياء والسمعة، أن الرياء هو أن يعمل العبد العمل الصالح ليراه الناس فيثنوا عليه، والسمعة أن يعمل العمل مما يُسمع ليسمعه الناس فيثنوا عليه، ويدخل في السمعة أن يعمل العبد العمل الصالح بنية أن يكون له ذكر حسن وسمعة طيبة بين الناس، وهذا المعنى أعم وهو الأقرب والله أعلم.

الرياء يبطل الأعمال:

من المعلوم من الدين بالضرورة أن الله سبحانه وتعالى لا يقبل عمل عامل إلا بشرطين: وهما الإخلاص لله والمتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى: "وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا" [النساء : ١٢٥]

والآية تتضمن الإخلاص لله من قوله: "أسلم وجهه لله" والمتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله: "وهو محسن".

قال السعدي - رحمه الله -: "أي: لا أحد أحسن من دين من جمع بين الإخلاص للمعبود، وهو إسلام الوجه لله الدال على استسلام القلب وتوجهه وإنابته وإخلاصه، وتوجه الوجه وسائر الأعضاء لله.

{ وَهُوَ } مع هذا الإخلاص والاستسلام { مُحْسِنٌ } أي: متبع لشريعة الله التي أرسل بها رسله، وأنزل كتبه، وجعلها طريقاً لخواص خلقه وأتباعهم" اهـ^(١)

وقال تعالى: "قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا" [الكهف : ١١٠]

قال المفسر ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره لهذه الآية: "وهو الذي يراد به وجه الله وحده لا شريك له، وهذان ركنا العمل المتقبل. لا بد أن يكون خالصاً لله، صواباً على شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم" اهـ^(٢)

وقال المفسر الشوكاني - رحمه الله -: "قال الماوردي: قال جميع أهل التأويل في تفسير هذه الآية: إن المعنى لا يراني بعمله أحداً" اهـ^(٣)

وقال المفسر البغوي - رحمه الله -: "وقال فضيل بن عياض في تفسير قوله تعالى: { لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا } [الملك : ٢] "أحسن عملاً" أخلصه وأصوبه. وقال: العمل لا يقبل حتى يكون خالصاً صواباً الخالص: إذا كان لله والصواب: إذا كان على السنة. اهـ^(١)

(١) تفسير السعدي - (١ / ٢٠٦)

(٢) تفسير ابن كثير / دار طيبة - (٥ / ٢٠٥)

(٣) فتح القدير للشوكاني

خطر الرياء:

للرياء أخطار جسيمة وعواقب وخيمة، وذلك أنه يحبط العمل، ويغضب الرب سبحانه وتعالى، ويفضح صاحبه يوم القيامة، ويذله الله على رؤوس الأشهاد، ويوجب له العذاب، بل أول ما تسعر النار يوم القيامة بالمرائين، وهو أعظم فتنه على العبد ولذلك خافه النبي صلى الله عليه وسلم على صحابته وهم خيرة الخلق بعده وذروة الموحدين.

فقد ثبت عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا شُرْكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكَتُهُ وَشُرْكَهُ »^(١).

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : « مَنْ يُسْمَعُ يُسْمَعِ اللَّهُ بِهِ وَمَنْ يُرَأَى يُرَأَى اللَّهُ بِهِ .. »^(٢).

قال النووي: "قَالَ الْعُلَمَاءُ : مَعْنَاهُ مَنْ رَأَى بِعَمَلِهِ ، وَسَمِعَهُ النَّاسُ لِيُكْرِمُوهُ وَيُعَظِّمُوهُ وَيَعْتَفِدُوا خَيْرَهُ سَمِعَ اللَّهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ النَّاسُ ، وَفَضَحَهُ .." اهـ^(٣).

وعن عبد الله بن عمرو- رضي الله عنهما- قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " من سمع الناس بعمله سمع الله به مسامع خلقه وصغره وحقره " ^(٤).

وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتذاكر المسيح الدجال فقال: " ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال " قال : قلنا: بلى، فقال: "الشرك الخفي أن يقوم الرجل يصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل" ^(٥).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ « إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُفْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ فَأَتَى بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ. قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيٌّ. فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأَتَى بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ. قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ. وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ. فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأَتَى بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا

(١) تفسير البغوي - (٨ / ١٧٦)

(٢) رواه مسلم

(٣) متفق عليه واللفظ لمسلم

(٤) - شرح النووي على مسلم - - (٩ / ٣٧١)

٥ - رواه الطبراني وصححه الألباني

(٦) رواه ابن ماجه وغيره وحسنه الألباني.

إِنَّهُمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُنْحَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [هود: ١٥ ، ١٦]]^(١)

فيجب على العبد أن يخلص عمله لله وأن يجاهد نفسه على الإخلاص وأن يدافع الرياء ما استطاع، وأن يخفي ما استطاع من أعماله الصالحة لئلا يتطرق إليها الرياء، إلا ما لا بد من ظهوره ، فإذا كانت الأعمال في ديوان السر فهي في مأمن من الرياء ، وإذا ظهرت فهي عرضة للرياء؛ لأن الشيطان حريص على إفساد الأعمال وله مداخل خطيرة على العبد قد لا يتفطن لها، فقد كان بعض السلف يخفي من صيامه وقيامه حتى لا يعلم بذلك أقرب الناس إليه من أهله.

إيضاح لمعاني حديثي أبي هريرة وأبي سعيد الخدري - رضي الله عنهما:
قوله: "من عمل عملا"

نكرة في سياق الشرط يعم كل عمل من صلاة وصدقة وصيام وحج وقراءة للقرآن وطلب للعلم ونحو ذلك من الأعمال الصالحة، فإذا صاحبها الرياء فهي مردودة على صاحبها لا يقبلها الله تعالى.

قوله: "تركته وشركه":

يترك الله سبحانه وتعالى عمله ذلك كله الذي لابس الرياء؛ لأنه شرك فيه مع الله غيره، ولأن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصا لوجهه الكريم.

قال النووي في معنى: (تركته وشركه): وَمَعْنَاهُ أَنَا غَنِيٌّ عَنِ الْمُشَارَكَةِ وَغَيْرَهَا ، فَمَنْ عَمِلَ شَيْئًا لِي وَلِغَيْرِي لَمْ أَقْبَلْهُ ، بَلْ أَتْرَكُهُ لِذَلِكَ الْغَيْرِ . وَالْمُرَادُ أَنَّ عَمَلِ الْمُرَائِي بَاطِلٌ لَا ثَوَابَ فِيهِ ، وَيَأْتُم بِهِ اهـ^(٢).

وقال ابن عثيمين - رحمه الله -: "أي: لم أتبه على عمله الذي أشرك فيه"

وقد يصل هذا الشرك إلى حد الكفر، فيتترك الله جميع أعماله؛ لأن الشرك يحبط الأعمال إذا مات عليه^(٣).

قوله: "أخوف ما أخاف عليكم":

قال العلامة العثيمين - رحمه الله -: "أي عند الرسول - صلى الله عليه وسلم - لأنه من رحمته بالمؤمنين يخاف عليهم كل الفتن، وأعظم فتنة في الأرض هي فتنة المسيح الدجال، لكن خوف النبي - صلى الله عليه وسلم - من فتنة هذا الشرك الخفي أشد من خوفه من فتنة المسيح الدجال، وإنما كان كذلك؛ لأن التخلص منه صعب جدا، ولذلك قال بعض السلف: (ما جاهدت نفسي على شيء مجاهدتها على الإخلاص) وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أسعد الناس بشفاعتي من قال: لا إله إلا الله خالصا من قلبه"^(٤) ولا يكفي مجرد اللفظ بها، بل لا بد من

(١)رواه الترمذي (٤ / ٥٩١) وصححه الألباني.

(٢)شرح النووي على مسلم (٩ / ٣٧٠)

(٣)القول المفيد على كتاب التوحيد - (٢ / ١٣٠)

(٤)رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه.

إخلاص وأعمال يتعبد بها الإنسان لله.. وإذا كان يخاف ذلك على أصحابه؛ فالخوف على من بعدهم من ذلك من باب أولى.. "هـ" (١)

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن - رحمه الله - : "وفي الحديث من الفوائد : شفقة النبي صلى الله عليه و سلم على أمته ونصحه لهم وأن الرياء أخوف على الصالحين من فتنة الدجال فإن كان النبي صلى الله عليه و سلم يخافه على سادات الأولياء مع قوة إيمانهم وعلمهم فغيرهم ممن هو دونهم بأضعاف أولى بالخوف من الشرك أصغره وأكبره" اهـ (٢)

قوله: "الشرك الخفي"

سمي خفيا لأنه من الأعمال الباطنة، أي: أعمال القلوب ومنه الرياء، وأعمال القلوب هي أصل الأعمال، إذ إن صلاح الجوارح بصلاح القلب وفسادها بفساده، فالقلب أمير البدن والجوارح جنوده، وقد ثبت من حديث النعمان بن بشير - رضي الله عنهما - أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: "أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ" (٣). فيجب على العبد أن يسعى في إصلاح قلبه ببذل أسباب صلاحه واجتناب أسباب فساده، وإن من أعظم أسباب فساد القلوب لهو الرياء وهو أن يعمل العبد العمل من أجل الناس لينال شهرة أو سمعة أو عرضا دنيويا أو حظا ما زائلا، ويغفل عما أعده الله للمخلصين من ثواب الآخرة.

قال ابن عثيمين : "الشرك قسمان خفي وجلي: فالجَلِيّ: ما كان بالقول مثل: الحلف بغير الله أو قول ما شاء الله وشئت، أو بالفعل مثل: الانحناء لغير الله تعظيما.

والخفي: ما كان في القلب، مثل الرياء؛ لأنه لا يبين؛ إذ لا يعلم ما في القلوب إلا الله، ويسمى أيضا "شرك السرائر"، وهذا هو الذي بينه الله بقوله: {يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ}، [الطارق: ٩]؛ لأن الحساب يوم القيامة على السرائر، قال تعالى: {أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ رَافِعٌ إِلَى اللَّهِ لِمَا أَكْرَهَ أَنْ يُعَذِّبَ النَّاسَ لِمَا أَكْرَهُوا أَنْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ لِمَا كَفَرُوا}، [العاديات: ٩-١٠]. اهـ (٤)

قلت: وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من هذا الشرك وسماه شرك السرائر لما ثبت من حديث محمود بن لبيد- رضي الله عنه - قال : خرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال : " يا أيها الناس إياكم وشرك السرائر " قالوا يا رسول الله وما شرك السرائر قال : " يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته جاهدا لما يرى من نظر الناس إليه فذلك شرك السرائر " (٥)

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد - (٢ / ١٣١) (١٣٥)

(٢) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد - (١ / ٣٥٨)

(٣) متفق عليه.

(٤) القول المفيد على كتاب التوحيد - (٢ / ١٣٣)

(٥) رواه ابن خزيمة و صححه الألباني.

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: "سماه خفياً؛ لأنه عمل قلب لا يعلمه إلا الله، ولأن صاحبه يُظهر أن عمله لله، وقد قصد غيره أو شركه فيه بتزيين صلاته لأجله. ولا خلاف أن الإخلاص شرط لصحة العمل وقبوله وكذلك المتابعة." اهـ^(١)

وقوله: "لما يرى من نظر رجل":

أي: للذي يراه من نظر رجل، وهذه هي العلة لتحسين الصلاة؛ فقد زين صلاته ليراه هذا الرجل فيمدحه بلسانه أو يعظمه بقلبه، وهذا شرك. اهـ^(٢)

قلت: فالذي يجب على العبد أن يجعل عمله كله وصلاته لله على حد سواء في خلوته وجلوته خالياً كان أو أمام الناس، وليعلم أن الناس لا ينفعون به شيء إن حسن عمله، ولن يضره بشيء إن ذممه، فعلاصة الإخلاص أن يكون مدح الناس وذمهم سواء عند العبد، لأنهم لا يزيدون في أجره إن مدحوه ولا ينقصون منه إن ذممه فالأمور كلها بيد الله عز وجل.

أقسام الرياء:

١: شرك أكبر

قد يصل الرياء إلى الشرك الأكبر إذا كثرت كمال المنافقين، وذلك أنه إذا كان الرياء في كل الأعمال فإنه يدل على انتفاء الإخلاص بالكلية من القلب، وانتفاء ذلك نقض للتوحيد ووقوع في الشرك الأكبر. وهذا القسم من الرياء ما كان عليه المنافقون كما قال تعالى عنهم: "إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا" [النساء: ١٤٢].

قال الحافظ ابن رجب - رحمه الله -: "واعلم أن العمل لغير الله أقسامٌ: فتارةً يكونُ رياءً محضاً، بحيث لا يُرادُ به سوى مراعاة المخلوقين لغرضٍ دُنْيَوِيٍّ، كحال المنافقين في صلاتهم، كما قال الله - عز وجل - : { وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا }"

وقال تعالى: { فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ } الآية [٤:٥]

وكذلك وصف الله تعالى الكفار بالرياء في قوله: { وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ } وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر من مؤمنٍ في فرض الصلاة والصيام، وقد يصدر في الصدقة الواجبة أو الحج، وغيرهما من الأعمال الظاهرة، أو التي يتعدى نفعها، فإن الإخلاص فيها عزيز، وهذا العمل لا يشك مسلم أنه حابطٌ، وأن صاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة.. اهـ^(٣)

(١)قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين - (١ / ٣٤٠)

(٢)المصدر السابق - (٢ / ١٣٤)

(٣)جامع العلوم والحكم محقق - (٣ / ٣٠)

وقد يستدل على هذا القسم بحديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَا أَعْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ مَنْ عَمَلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكُهُ »^(١).

وذلك من قوله: "تركته وشركه" فإن الله تعالى يترك العامل وعمله ويحبطه وهذا لا يكون إلا في حق الكافر غالباً، كما تقدم من كلام العثيمين عند قوله: "وقد يصل هذا الشرك إلى حد الكفر.."

وقال العثيمين . رحمه الله . : " . . . وقد يصل الرياء إلى الشرك الأكبر، وقد مثل ابن القيم للشرك الأصغر؛ فقال: "مثل يسير الرياء"، وهذا يدل على أن الرياء الكثير قد يصل إلى الأكبر. "اه^(٢)

٢: شرك أصغر :

مثل يسير الرياء ، فإنه شرك أصغر، ومنه أن يطرأ الرياء على العبد أثناء العمل، وهذا يبطل العمل الذي لا يسه الرياء ولا يبطل سائر الأعمال الصالحة.

ودليل هذا النوع حديث محمود بن لبيد . رضي الله عنه . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر" قالوا وما الشرك الأصغر يا رسول الله قال: "الرياء يقول الله عز وجل إذا جزى الناس بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاءً"^(٣)

قال العلامة العثيمين . رحمه الله . : "الرياء من الشرك الأصغر؛ لأن الإنسان قصد بعبادته غير الله، وقد يصل إلى الأكبر، وقد مثل ابن القيم للشرك الأصغر؛ فقال: "مثل يسير الرياء"، وهذا يدل على أن الرياء الكثير قد يصل إلى الأكبر. "اه^(٤)

حكم العبادة إذا لابسها الرياء

إذا كانت العبادة من أصلها مبنية على الرياء فهي باطلة، وإن طرأ الرياء على العبادة في أثنائها، فإن استرسل الشخص مع الرياء واستمر حتى انتهى من العبادة فهي باطلة أيضاً، وإن جاهد نفسه على الإخلاص ودافع الرياء وتغلب عليه، فإنه لا يضره.

(١)تقدم تخريجه

(٢)القول المفيد على كتاب التوحيد - (٢ / ١٢٤)

(٣)رواه أحمد وغيره وصححه الألباني

(٤)القول المفيد على كتاب التوحيد - (٢ / ١٢٤)

قال العلامة العثيمين - رحمه الله -: "حكم العبادة إذا خالطها الرياء، وهو على ثلاثة أوجه:

الأول: أن يكون الباعث على العبادة مراعاة الناس من الأصل، كمن قام يصلي من أجل مراعاة الناس ولم يقصد وجه الله؛ فهذا شرك والعبادة باطلة.

الثاني: أن يكون مشاركا للعبادة في أثنائها، بمعنى أن يكون الحامل له في أول أمره الإخلاص لله ثم يطرأ الرياء في أثناء العبادة.

فإن كانت العبادة لا يبنني آخرها على أولها؛ فأولها صحيح بكل حال، والباطل آخرها. مثال ذلك: رجل عنده مائة ريال قد أهداها للصدقة فتصدق بخمسين مخلصا وراءى في الخمسين الباقية؛ فالأولى حكمها صحيح، والثانية باطلة.

أما إذا كانت العبادة يبنني آخرها على أولها؛ فهي على حالين:

أ- أن يدافع الرياء ولا يسكن إليه، بل يعرض عنه ويكرهه؛ فإنه لا يؤثر عليه شيئا؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم)^(١)، مثال ذلك: رجل قام يصلي ركعتين مخلصا لله، وفي الركعة الثانية أحس بالرياء، فصار يدافعه؛ فإن ذلك لا يضره ولا يؤثر على صلاته شيئا.

ب- أن يطمئن إلى هذا الرياء ولا يدافعه؛ فحينئذ تبطل جميع العبادة؛ لأن آخرها مبني على أولها ومرتبطة به. مثال ذلك: رجل قام يصلي ركعتين مخلصا لله، وفي الركعة الثانية طرأ عليه الرياء لإحساسه بشخص ينظر إليه، فاطمأن لذلك ونزع إليه؛ فتبطل صلاته كلها لارتباط بعضها ببعض.

الثالث: ما يطرأ بعد انتهاء العبادة؛ فإنه لا يؤثر عليها شيئا، اللهم إلا أن يكون فيه عدوان؛ كالمن والأذى بالصدقة، فإن هذا العدوان يكون إثمه مقابلا لأجر الصدقة فيبطلها؛ لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾، [البقرة: من الآية ٢٦٤].

وليس من الرياء أن يفرح الإنسان بعلم الناس بعبادته؛ لأن هذا إنما طرأ بعد الفراغ من العبادة.

وليس من الرياء أيضا أن يفرح الإنسان بفعل الطاعة في نفسه، بل ذلك دليل على إيمانه، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من سرته حسناته وسأته سيئاته؛ فذلك المؤمن)^(٢)، وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك؛ فقال: (تلك عاجل بشرى المؤمن)^(٣) "هـ"^(٤)

(١) متفق عليه.

(٢) رواه الترمذي وأحمد وصححه الألباني.

(٣) رواه مسلم.

(٤) القول المفيد على كتاب التوحيد - (٢ / ١٢٥-١٢٦)

وقال الحافظ ابن رجب - رحمه الله -:"وتارةً يكونُ العملُ لله ، ويُشارِكُهُ الرِّياءُ ، فإنْ شارَكَهُ مِنْ أصلِهِ ، فالنُّصوصُ الصَّحيحةُ تدلُّ على بُطلانِهِ وحبوطه أيضاً ، وفي " صحيح مسلم " عن أبي هريرة - رضي الله عنه - ، عن النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - قال : ((يقولُ اللهُ تبارك وتعالى : أنا أغنى الشُّركاءِ عن الشُّركِ ، مَنْ عَمِلَ عملاً أشركَ فيه معي غيري ، تركته وشركه)) ، وخرَّجه ابنُ ماجه ، ولفظه : ((فأنا منه بريءٌ ، وهو الَّذي أشرك))... - إلى أن قال - وأما إنْ كان أصلُ العملِ لله ، ثم طرأت عليه نيَّةُ الرِّياءِ ، فإنْ كان خاطراً ودَفَعَهُ ، فلا يضرُّه بغيرِ خلافٍ ، وإن استرسلَ معه ، فهل يُحبَطُ عمله أم لا يضرُّه ذلك ويجازى على أصلِ نيَّته ؟ في ذلك اختلافٌ بين العلماءِ مِنَ السَّلَفِ.."اهـ^(١)

والصحيح أنه إن استرسل مع الرياء بغير مدافعة فإنه يبطل ذلك العمل كما تقدم والله تعالى أعلم.

المبحث الثاني: الشرك في الإرادة

تعريف شرك الإرادة:

هو أن يعمل العبد العمل مما يبتغى به وجه الله لينال به شيئاً من حطام الدنيا.

الفرق بين الرياء وشرك الإرادة:

بينهما عموم وخصوص ، فالرياء أعم من شرك الإرادة، وشرك الإرادة يدخل في الرياء .

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ:"بينهما عموم وخصوص مطلق يجتمعان في مادة وهو ما إذا أراد الإنسان بعمله التزین عند الناس والتصنع لهم والثناء فهذا رياء كما تقدم بيانه كحال المنافقين وهو أيضا إرادة الدنيا بالتصنع عند الناس وطلب المدحة منهم والإكرام ويفارق الرياء بكونه عمل عملا صالحا أراد به عرضا من الدنيا كمن يجاهد ليأخذ مالا كما في الحديث [تعس عبد الدينار]^(٢) أو يجاهد للمغنم"اهـ^(٣)

(١)جامع العلوم والحكم محقق - (٣ / ٣١ - ٣٥)

(٢)رواه البخاري.

(٣)فتح المجيد شرح كتاب التوحيد - (١ / ٣٦١)

وقال ابن عثيمين : "الإنسان في الباب السابق - (يعني باب الرياء) - يعمل رياءً؛ يريد أن يمدح في العبادة، فيقال: هو عابد، ولا يريد النفع المادي.

وفي هذا الباب - (يعني باب شرك الإرادة) - لا يريد أن يمدح بعبادته ولا يريد المراءاة، بل يعبد الله مخلصاً له، ولكنه يريد شيئاً من الدنيا؛ كالمال، والمرتبة، والصحة في نفسه، وأهله، وولده، وما أشبه ذلك؛ فهو يريد بعمله نفعاً في الدنيا، غافلاً عن ثواب الآخرة" اهـ^(١)

خطر شرك الإرادة:

شرك الإرادة له خطر عظيم على العبد لا يقل عن سابقه من الرياء ، وصاحبه مذموم في الدنيا والآخرة وقد دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم بالتعاسة والشقاوة، إذ إن العبد يعمل العمل ليجازى عليه في الدنيا ويغفل عن ثواب الآخرة، ثم يكون مآله إلى النار وبئس القرار، كما قال تعالى: " مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ " [هود : ١٥ ، ١٦]

وقد يعمل العبد العمل يريد به الدنيا فلا يحصل على خير في الدنيا ولا في الآخرة، كما قال تعالى: " مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا " [الإسراء : ١٨]

فهذه الآية مقيدة للآية التي قبلها ، فإنه ليس كل من أراد بعمله الدنيا يؤتاها، وإنما ذلك مقيد بمشيئة الله سبحانه وتعالى لمن أراد ، وإن أوتيتها فإنه في الآخرة من الخاسرين، قال تعالى: " مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ " [الشورى : ٢٠]

وعن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " بشر هذه الأمة بالسنة والرفعة والدين والتمكين في الأرض فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب " اهـ^(٢)

وجاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " تَعَسَّ عَبْدُ الدِّيَارِ وَعَبْدُ الدَّرْهِمِ وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ إِنْ أُعْطِيَ رَضِي وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ تَعَسَّ وَأَنْتَكَسَ ، وَإِذَا شَيْكَ

فَلَا أَنْتَقَشَ طُوبَى لِعَبْدٍ أَخَذَ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَشَعَثَ رَأْسُهُ مُغْبِرَةً قَدَمَاهُ إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ إِنْ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنَ لَهُ وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ " .

تفسير قوله تعالى: { مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَتَهَا } الآية

قال المفسر ابن كثير - رحمه الله -: "قال العوفي، عن ابن عباس، في هذه الآية: إن أهل الرياء يعطون بحسناتهم في الدنيا، وذلك أنهم لا يظلمون فقيراً، يقول: من عمل صالحاً التماس الدنيا، صوماً أو صلاةً أو تهجداً بالليل،

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد - (٢ / ١٣٦)

(٢) رواه أحمد وابن حبان والحاكم والبيهقي وصححه الألباني

لايعمله إلا التماس الدنيا، يقول الله: أوفيه الذي التمس في الدنيا من المثابة، وأحبط عمله الذي كان يعمل التماس الدنيا، وهو في الآخرة من الخاسرين.

وهكذا روي عن مجاهد، والضحاك، وغير واحد.

وقال أنس بن مالك، والحسن: نزلت في اليهود والنصارى. وقال مجاهد وغيره: نزلت في أهل الرياء .

وقال قتادة: من كانت الدنيا همه وَسَدَمَهُ وَطَلَبَتْهُ وَنَيْتَهُ، جازاه الله بحسناته في الدنيا، ثم يفضي إلى الآخرة وليس له حسنة يعطى بها جزاء. وأما المؤمن فيجازى بحسناته في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة"اهـ. (١)

وقال المفسر البغوي - رحمه الله -: "في تفسير قوله تعالى: { مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا } أي: من كان يريد بعمله الحياة الدنيا، { وَزَيَّنَّهَا } نزلت في كل من عمل عملاً يريد به غير الله عز وجل { نُوفَّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا } أي: نوف لهم أجور أعمالهم في الدنيا بسعة الرزق ودفع المكاره وما أشبهها. { وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ } أي: في الدنيا لا ينقص حظهم"اهـ. (٢)

وقال المفسر السعدي - رحمه الله -: "يقول تعالى: { مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّهَا } أي: كل إرادته مقصورة على الحياة الدنيا، وعلى زينتها من النساء والبنين، والقناطير المقنطرة، من الذهب، والفضة، والخيل المسومة، والأنعام والحرث. قد صرف رغبته وسعيه وعمله في هذه الأشياء، ولم يجعل لدار القرار من إرادته شيئاً، فهذا لا يكون إلا كافراً، لأنه لو كان مؤمناً، لكان ما معه من الإيمان يمنعه أن تكون جميع إرادته للدار الدنيا، بل نفس إيمانه وما تيسر له من الأعمال أثر من آثار إرادته الدار الآخرة.

ولكن هذا الشقي، الذي كأنه خلق للدنيا وحدها { نُوفَّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا } أي: نعطيهم ما قسم لهم في أم الكتاب من ثواب الدنيا.

{ وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ } أي: لا ينقصون شيئاً مما قدر لهم، ولكن هذا منتهى نعيمهم.

{ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ } خالدين فيها أبداً، لا يفتر عنهم العذاب، وقد حرموا جزيل الثواب.

{ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا } أي: في الدنيا، أي: بطل واضمحل ما عملوه مما يكيدون به الحق وأهله، وما عملوه من أعمال الخير التي لا أساس لها، ولا وجود لشرطها، وهو الإيمان"اهـ. (٣)

قلت: ومن هذا القبيل ما ثبت عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال « إِنَّ الْكَافِرَ إِذَا عَمَلَ حَسَنَةً أُطِعَ بِهَا طُعْمَةً مِنَ الدُّنْيَا وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَإِنَّ اللَّهَ يَدَّخِرُ لَهُ حَسَنَاتِهِ فِي الْآخِرَةِ وَيُعْطِيهِ رِزْقًا فِي الدُّنْيَا عَلَى طَاعَتِهِ ». (٤)

(١)تفسير ابن كثير / دار طيبة - (٤ / ٣١٠)

(٢)تفسير البغوي - (٤ / ١٦٥)

(٣)تفسير السعدي - (١ / ٣٧٨)

(٤)رواه مسلم.

فإن الله سبحانه وتعالى يجازي الكفار بما عملوا من خير في الدنيا بأن يدر عليهم الأرزاق والنعم، ثم يلقون الله في الآخرة ليس لهم نصيب، لأنهم أرادوا بأعمالهم الحياة الدنيا مع غفلتهم عن الآخرة.

ومن المؤسف أنه صار كثير من جهلة المسلمين يغتر بما أنعم الله على هؤلاء الكفار من حطام الدنيا الزائل وربما شك في كفرهم أو احتار في أمرهم، أو صحح منهجهم، واغتر بمعاملتهم، بل ويفضلهم على المسلمين، ولم يعلم هذا المسكين أن أولئك قوم عجلت لهم طبيباتهم في حياتهم الدنيا، وأن المؤمن له الدار الآخرة، ومن المعلوم عند كل ذي فطرة سليمة وعقيدة صحيحة، ونظرة شرعية، أن المسلم العاصي الفاسق خير من ملء الأرض كفاراً، قال تعالى في كتابه الكريم: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ} [البينة : ٦ ، ٧]

فإذا علم المسلم أن هذا العطاء الذي أعطاهم الله بمقابل ما عملوه في الدنيا من حسنات، وأن لهم النار يوم القيامة، يزيد اهتمامه بأعمال الآخرة راجياً ثوابها وذخراً عند الله، وهذا من عدل الله أنه يعطي الكفار بمقابل ما عملوه في الدنيا، ومن فضله وكرمه أنه يجزي المؤمن بمقابل ما عمله من ثواب الدنيا والآخرة.

فلا يغتر المسلم بما أعطي الكفار من حطام الدنيا الزائل، فإن الدنيا ليست دار جزاء، وإن الآخرة لهي خير وأبقى، ولو كانت الدنيا علامة لمحبة الله للعبد أو ميزاناً لصلاحه لأعطاها الله لخير خلقه صلى الله عليه وسلم ولما أعطاهم لقارون وفرعون وأمثالهم.

فقد أغرق الله فرعون في البحر فما أغنى عنه ملكه شيئاً، وخسف بقارون الأرض فما أغنى عنه ماله شيئاً.

قال تعالى عن قارون: {فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلْتَمِئُونَ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَاقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ * فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ * وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَتَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَافُرُ اللَّهُ بِبَيْسُطِ الرِّزْقِ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَافُؤُنَا لَا يَفْلِحُ الْكَافِرُونَ * تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} [القصص : ٧٩ - ٨٣]

وقال تعالى عن المنافقين: {فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ} [التوبة : ٥٥]

وقال تعالى عن الكافرين: {إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لِنَفْسِهِمْ إِنََّّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ} [آل عمران : ١٧٧ ، ١٧٨]

وقال تعالى: {يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ} [الروم : ٧]

وقال تعالى: {وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى} [طه : ١٣١]

تفسير قوله تعالى: " [مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ] الآية

قال ابن كثير: "يخبر تعالى أنه ما كل من طلب الدنيا وما فيها من النعيم يحصل له، بل إنما يحصل لمن أراد الله ما يشاء.

وهذه مقيدة لإطلاق ما سواها من الآيات فإنه قال: { عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصَلَاهَا } اهـ^(١)

وقال المفسر الشوكاني - رحمه الله - : "المراد بالعاجلة : المنفعة العاجلة ، أو الدار العاجلة . والمعنى : من كان يريد بأعمال البرِّ أو بأعمال الآخرة ذلك ، فيدخل تحته الكفرة والفسقة والمراءون والمنافقون { عَجَّلْنَا لَهُ } أي : عجلنا لذلك المرید { فِيهَا } : أي : في تلك العاجلة ، ثم قيد المعجل بقيدتين :

الأول : قوله : { مَا نَشَاءُ } أي : ما يشاء الله سبحانه تعجيله له منها ، لا ما يشاؤه ذلك المرید ، ولهذا ترى كثيراً من هؤلاء المریدين للعاجلة يريدون من الدنيا ما لا ينالون ، ويتمنون ما لا يصلون إليه .

والقيد الثاني: قوله : { لِمَنْ نُرِيدُ } أي : لمن نريد التعجيل له منهم ما اقتضته مشيئتنا ، ..

وهذه الآية تقيد الآيات المطلقة كقوله سبحانه : { مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا } [الشورى : ٢٠] . وقوله : { مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ } [هود : ١٥] " اهـ^(٢)

وقال العلامة العثيمين : " والمعنى : أنهم يعطون ما يريدون في الدنيا ومن ذلك الكفار لا يسعون إلا للدنيا وزينتها، فعجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا؛ كما قال تعالى: { وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلْهَيْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا }، [الأحقاف: من الآية ٢٠].

ولهذا لما بكى عمر حين رأى النبي صلى الله عليه وسلم قد أثر في جنبه الفراش، فقال صلى الله عليه وسلم: " ما يبكيك؟" قال: يا رسول الله كسرى وقيصر يعيشان فيما يعيشان فيه من نعيم وأنت على هذه الحال. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم^(٣)، وفي الحقيقة هي ضرر عليهم؛ لأنهم إذا انتقلوا من دار النعيم إلى الجحيم؛ صار عليهم أشد وأعظم في فقد ما متعوا به في الدنيا. " اهـ^(٤)

ومن الخطأ الكبير أن يعمل بعض الناس العمل الصالح من أجل أن يفتح الله عليه الأرزاق في الدنيا ويصرف عنه الآفات والمصائب ولا يريد بعمله ثواب الآخرة، فتري بعضهم ربما قال سأصلي من أجل أن يفتح الله علي، فإذا لم يأتيه الله بالرزق ترك الصلاة والأعمال الخيرية وهذا خذلان والعياذ بالله، وإن كان العبد لا يريد ثوابه من الناس، وإنما أراد من الله تعالى، لكن ينبغي أن تكون همة المسلم في ثواب الآخرة ورضا ربه سبحانه وتعالى، وسيظفر بثواب الدارين بإذن الله رب العالمين.

(١) تفسير ابن كثير / دار طيبة - (٥ / ٦٢)

(٢) فتح القدير للشوكاني - (٤ / ٢٩٤)

(٣) متفق عليه.

(٤) القول المفيد على كتاب التوحيد - (٢ / ١٣٩)

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: " وقد سئل شيخنا المصنف رحمه الله - (يعني الشيخ محمد بن عبد الوهاب) - عن هذه الآية - يعني قوله تعالى: { مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ } - فأجاب بما حاصله : ذكر عن السلف فيها أنواع مما يفعله الناس اليوم ولا يعرفون معناه .

فمن ذلك : العمل الصالح الذي يفعله كثير من الناس ابتغاء وجه الله : من صدقة وصلاة وصلة وإحسان إلى الناس وترك ظلم ونحو ذلك مما يفعله الإنسان أو يتركه خالصا لله لكنه لا يريد ثوابه في الآخرة إنما يريد أن يجازيه الله بحفظ ماله وتنميته أو حفظ أهله وعياله أو إدامة النعمة عليهم ولا همة له في طلب الجنة والهرب من النار فهذا يعطى ثواب عمله في الدنيا وليس له في الآخرة من نصيب وهذا النوع ذكره ابن عباس .

النوع الثاني: وهو أكبر من الأول وأخوف وهو الذي ذكره مجاهد في الآية : أنها نزلت فيه وهو أن يعمل أعمالا صالحة ونيته رياء الناس لا طلب ثواب الآخرة .

النوع الثالث: أن يعمل أعمالا صالحة يقصد بها مالا مثل أن يحج لمال يأخذه أو يهاجر لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها أو يجاهد لأجل المغنم فقد ذكر أيضا هذا النوع في تفسير هذه الآية كما يتعلم الرجل لأجل مدرسة أهله أو مكسبهم^(١) أو رياستهم أو يتعلم القرآن ويواظب على الصلاة لأجل وظيفة المسجد كما هو واقع كثيرا .

النوع الرابع: أن يعمل بطاعة الله مخلصا في ذلك لله وحده لا شريك له لكنه على عمل يكفره كفرا يخرج عن الإسلام مثل اليهود والنصارى إذا عبدوا الله أو تصدقوا أو صاموا ابتغاء وجه الله والدار الآخرة ومثل كثير من هذه الأمة الذين فيهم كفر أو شرك أكبر يخرجهم من الإسلام بالكلية إذا أطاعوا الله طاعة خالصة يريدون بها ثواب الله في الدار الآخرة ؟ لكنهم على أعمال تخرجهم من الإسلام وتمنع قبول أعمالهم فهذا النوع أيضا قد ذكر في هذه الآية عن أنس بن مالك وغيره وكان السلف يخافون منها قال بعضهم : لو أعلم أن الله تقبل مني سجدة واحدة لتمنيت الموت لأن الله تعالى يقول : { إنما يتقبل الله من المتقين } { ٥ : ٢٧ }

ثم قال : بقي أن يقال : إذا عمل الرجل الصلوات الخمس والزكاة والصوم والحج ابتغاء وجه الله طالبا ثواب الآخرة ثم بعد ذلك عمل أعمالا قاصدا بها الدنيا مثل أن يحج فرضه الله ثم يحج بعده لأجل الدنيا كما هو واقع فهو لما غلب عليه منهما وقد قال بعضهم : القرآن كثيرا ما يذكر أهل الجنة الخالص وأهل النار الخالص ويسكت عن صاحب الشائبين وهو هذا وأمثاله^(٢) اهـ

قلت: ومن أمثال ذلك ماجاء عن يعلى بن مئنة - رضي الله عنه - قال: أذن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالغزو وأنا شيخ كبير، ليس لي خادم، فالتست أجيراً يكفيني؛ وأجري له سهمه، فوجدت رجلاً، فلما دنا الرحيل؛ أتاني، فقال: ما أدري ما السُّهُمَانُ، وما يبلغ سهمي؟ فسَم لي شيئاً- كان السهم أو لم يكن-، فسميت له ثلاثة دنانير، فلما حضرت غنيمته؛ أردت أن أجري له سهمه، فذكرت الدنانير، فجنّت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فذكرت له أمره؟ فقال: " ما أجد له في غزوته هذه- في الدنيا والآخرة- إلا دنانيره التي سَمَى ".^(٣)

(١) في تيسير العزيز الحميد: (أو مكسبهم)

(٢) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد - (١ / ٣٦١)

والذي ينبغي على العبد أن يجعل عمله خالصا لله ليس للدنيا فيه شيء، فإن جاءت الدنيا تبعا لذلك فلا حرج في ذلك ولا يضره، فإن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

أمثلة على شرك الإرادة:

قال ابن عثيمين - رحمه الله -: "أمثلة تبين كيفية إرادة الإنسان بعمله الدنيا:

- ١- أن يريد المال؛ كمن أدن ليأخذ راتب المؤذن، أو حج ليأخذ المال.
 - ٢- أن يريد المرتبة؛ كمن تعلم في كلية ليأخذ الشهادة؛ فترتفع مرتبته. (١)
 - ٣- أن يريد دفع الأذى والأمراض والآفات عنه: كمن تعبد لله كي يجزيه الله بهذا في الدنيا، بمحبة الخلق له، ودفع السوء عنه، وما أشبه ذلك.
 - ٤- أن يتعبد لله: يريد صرف وجوه الناس إليه بالمحبة والتقدير.
- وهناك أمثلة كثيرة.

تنبيه: فإن قيل: هل يدخل فيه من يتعلمون في الكليات أو غيرها، يريدون شهادة، أو مرتبة بتعلمهم؟

فالجواب: أنهم يدخلون في ذلك؛ إذا لم يريدوا غرضا شرعيا، فنقول لهم:

أولا: لا تقصدوا بذلك المرتبة الدنيوية، بل اتخذوا هذه الشهادات وسيلة للعمل في الحقول النافعة للخلق؛ لأن الأعمال في الوقت الحاضر مبنية على الشهادات، والناس لا يستطيعون الوصول إلى منفعة الخلق إلا بهذه الوسيلة، وبذلك تكون النية سليمة.

ثانيا: أن من أراد العلم لذاته قد لا يجده إلا في الكليات (٢)؛ فيدخل الكلية أو نحوها لهذا الغرض، وأما بالنسبة للمرتبة؛ فإنها لا تهمه.

ثالثا: أن الإنسان إذا أراد بعمله الحسنيين - حسنى الدنيا، وحسنى الآخرة -؛ فلا شيء عليه لأن الله يقول: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾، [الطلاق: من الآية ٢-٣]، فرغبه في التقوى بذكر المخرج من كل ضيق والرزق من حيث لا يحتسب.

فإن قيل: من أراد بعمله الدنيا كيف يقال إنه مخلص، مع أنه أراد المال مثلا؟

^١ - ولعل ابن عثيمين يقصد بذلك العلم الشرعي الذي يبتغى به وجه الله أما العلم الدنيوي فلا يدخل في هذا الباب والله أعلم.

^٢ - هذا في بعض البلدان كبلاد الحرمين، أما في بلادنا اليمنية فيستطيع الداعية نفع الخلق بدون هذه الشهادات والكليات والله الحمد، وذلك من خلال الالتحاق بالمراكز العلمية مراكز أهل السنة والجماعة، أما الكليات والمدارس في بلادنا اليمنية صارت لا شيء، لأنها أسست على العلوم الدنيوية إلا النزر اليسير من علوم الشرع، فهي لا تخرج طلبة علم فضلا عن علماء ودعاة، إضافة لما تشتمل عليه من معاص ومخالفات شرعية كالاختلاط وتقرير المناهج الدنيوية بل تقرير مناهج فاسدة تضر بالطالب، وهي خالية من الدعوة إلى الله إلا ما يحصل من بعض المنتسبين إليها من مدرسين وطلاب ممن أخذوا العلم عن المراكز العلمية النافعة بفضل الله ومنته.

أجيب: إنه أخلص العبادة ولم يرد بها الخلق إطلاقاً، فلم يقصد مراعاة الناس ومدحهم، بل قصد أمراً مادياً؛ فأخلصه ليس كاملاً لأن فيه شركاً، ولكن ليس كشرك الرياء يريد أن يمدح بالتقرب إلى الله، وهذا لم يرد مدح الناس بذلك، بل أراد شيئاً دنيئاً غيره.

ولا مانع أن يدعو الإنسان في صلاته، ويطلب أن يرزقه الله المال، ولكن لا يصلي من أجل هذا الشيء؛ فهذه مرتبة دنيئة.

أما طلب الخير في الدنيا بأسبابه الدنيوية؛ كالبيع، والشراء، والزراعة؛ فهذا لا شيء فيه، والأصل أن لا نجعل في العبادات نصيباً من الدنيا، وقد سبق البحث في حكم العبادة؛ إذا خالطها الرياء، في باب الرياء.

ملاحظة:

بعض الناس عندما يتكلمون على فوائد العبادات، يحولونها إلى فوائد دنيوية. فمثلاً يقولون: في الصلاة رياضة، وإفادة للأعصاب، وفي الصيام فائدة إزالة الرطوبة وترتيب الوجبات، والمفروض ألا نجعل الفوائد الدنيوية هي الأصل؛ لأن الله لم يذكر ذلك في كتابه، بل ذكر أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر. وعن الصوم أنه سبب للتقوى؛ فالفوائد الدينية في العبادات هي الأصل والدنيوية ثانوية، لكن عندما نتكلم عند عامة الناس؛ فإننا نخاطبهم بالنواحي الدينية، وعندما نتكلم عند من لا يقتنع إلا بشيء مادي؛ فإننا نخاطبه بالنواحي الدينية والدنيوية، ولكل مقام مقال. "هـ"^(١)

شرح حديث: "تعس عبد الدرهم...":

قال الشيخ عبد الرحمن آل الشيخ: "سماه عبداً له لكونه هو المقصود بعمله فكل من توجه بقصده لغير الله فقد جعله شريكاً له في عبوديته كما هو حال الأكثر "هـ"^(٢)

وقال الشيخ العثيمين: "والمراد بهذا الحديث أن يتبين أن من الناس من يعبد الدنيا؛ أي: يتذلل لها ويخضع لها، وتكون مناه وغايته، فيغضب إذا فقدت ويرضى إذا وجدت، ولهذا سمي النبي صلى الله عليه وسلم من هذا شأنه عبداً لها، وهذا من يعنى بجمع المال من الذهب والفضة؛ فيكون مريداً بعمله الدنيا" هـ"^(٣)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الدينار والدرهم وعبد القطيفة وعبد الخميصة وذكر فيه ما هو دعاء بلفظ الخبر وهو قوله : "تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش وهذه حال من إذا أصابه شر لم يخرج منه ولم يفلح لكونه تعس وانتكس فلا نال المطلوب ولا خلص من المكروه" وهذا حال من عبد المال وقد وصف ذلك بأنه : "إن أعطى رضى وإن منع سخط" كما قال تعالى : { وَمَنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ } [التوبة : ٥٨] فرضاؤهم لغير الله

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد - (٢ / ١٣٧-١٣٩)

(٢) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد - (١ / ٣٦٤)

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد - (٢ / ١٤٢)

وسخطهم لغير الله وهكذا حال من كان متعلقا منها برياسة أو صورة ونحو ذلك من أهواء نفسه إن حصل له رضى وإن لم يحصل له سخط فهذا عبد ما يهواه من ذلك وهو رقيق له إذ الرق والعبودية في الحقيقة هو رق القلب وعبوديته فما استرق القلب واستعبده فهو عبده - إلى أن قال : وهكذا أيضا طالب المال فإن ذلك يستعبده ويستترقه وهذه الأمور نوعان.

فمنها : ما يحتاج إليه العبد كما يحتاج إلى طعامه وشرابه ومنكحه ومسكنه ونحو ذلك فهذا يطلب من الله ويرغب إليه فيه فيكون المال عنده يستعمله في حاجته بمنزلة حماره الذي يركبه وبساطه الذي يجلس عليه من غير أن يستعبده فيكون هلو عا.

ومنها : ما لا يحتاج إليه العبد فهذا ينبغي أن لا يعلق قلبه بها فإذا تعلق قلبه بها صار مستعبدا لها وربما صار مستعبدا معتمدا على غير الله فيها فلا يبقى معه حقيقة العبودية لله ولا حقيقة التوكل عليه بل فيه شعبة من العبادة لغير الله وشعبة من التوكل على غير الله وهذا من أحق الناس بقوله صلى الله عليه وسلم : [تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس عبد الخميعة] وهذا هو عبد لهذه الأمور ولو طلبها من الله فإن الله إذا أعطاه إياه رضى وإن منعه إياها سخط وإنما عبد الله من يرضيه ما يرضي الله ويسخطه ما يسخط الله ويحب ما أحبه الله ورسوله ويبغض ما أبغضه الله ورسوله ويوالى أولياء الله ويعادى أعداء الله فهذا الذي استكمل الإيمان" انتهى ملخصاً^(١)

(١) الفتاوى الكبرى - (٥ / ١٨٠-١٨٢) وانظر فتح المجيد شرح كتاب التوحيد - (١ / ٣٦٤)

المبحث الثالث : (شرك المحبة)

معنى شرك المحبة:

هو أن يحب العبد شيئاً مثل حبه لله أو أشد مع التعظيم، وحكمه شرك أكبر.

قال تعالى: " وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ" [البقرة : ١٦٥]

تفسير قوله تعالى: " وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ" الآية

قال ابن كثير - رحمه الله -: " يذكر تعالى حال المشركين به في الدنيا وما لهم في الدار الآخرة، حيث جعلوا له أنداداً، أي: أمثالا ونظراء يعبدونهم معه ويحبونهم كحبه، وهو الله لا إله إلا هو، ولا ضد له ولا ند له، ولا شريك معه. وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال: قلت: يا رسول الله، أي الذنب أعظم؟ قال: "أن تجعل لله نداً وهو خلقك"^(١) اهـ^(٢).

وقال ابن جرير الطبري - رحمه الله -: "واختلف أهل التأويل في "الأنداد" التي كان القوم اتخذوها. وما هي؟

فقال بعضهم: هي آلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله... وقال آخرون: بل "الأنداد" في هذا الموضع، إنما هم سادتهم الذين كانوا يطيعونهم في معصية الله تعالى ذكره" اهـ^(٣).

وقال السعدي - رحمه الله - : "ما أحسن اتصال هذه الآية بما قبلها، فإنه تعالى، لما بين وحدانيته وأدلتها القاطعة، وبراهينها الساطعة الموصلة إلى علم اليقين، المزيل لكل شك، ذكر هنا أن { مِنَ النَّاسِ } مع هذا البيان التام من يتخذ من المخلوقين أندادا لله أي: نظراء ومثلاء، يساويهم في الله بالعبادة والمحبة، والتعظيم والطاعة" اهـ^(٤).

وقال ابن الجوزي - رحمه الله - : "وفي قوله : { يحبونهم كحب الله } قولان :

(١) متفق عليه

(٢) تفسير ابن كثير / - (١ / ٤٧٦)

(٣) جامع البيان (تفسير الطبري) - (٣ / ٢٧٩-٢٨٠)

(٤) تفسير السعدي - (١ / ٧٩)

أحدهما : أن معناه يحبونهم كحب الذين آمنوا لله ، هذا قول ابن عباس ، وعكرمة ، وأبي العالية ، وابن زيد ، ومقاتل ، والفراء .

والثاني : يحبونهم كمحبتهم لله ، أي : يسوون بين الأوثان وبين الله تعالى في المحبة . هذا اختيار الزجاج ، قال : والقول الأول ليس بشيء ، والدليل على نقضه قوله : { والذين آمنوا أشد حبا لله } قال المفسرون : أشد حبا لله من أهل الأوثان لأوثانهم"اهـ^(١) .

والقول الثاني رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية وابن عثيمين رحمهما الله ^(٢)

قال ابن القيم - رحمه الله - : "وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يرجح هذا القول (أي الثاني) ويقول إنما ذموا بأن أشركوا بين الله وبين أندادهم في المحبة ولم يخلصوها لله كمحبة المؤمنين له"اهـ^(٣)

قوله: "يحبونهم كحب الله"

قال ابن عثيمين: "أي: في كفيته ونوعه؛ فالنوع أن يحب غير الله محبة عبادة. والكيفية: أن يحبه كمحبة الله أو أشد، حتى إن بعضهم يعظم محبوبه، ويغار له أكثر مما يعظم الله ويغار له، فلو قيل: احلف بالله؛ لحلف، وهو كاذب ولم يبال، ولو قيل: احلف بالند؛ لم يحلف، وهو كاذب، وهذا شرك أكبر"اهـ^(٤)

وقال ابن القيم - رحمه الله - : "(قال الله تعالى : "ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله) فأخبر أن من أحب من دون الله شيئا كما يحب الله تعالى فهو ممن اتخذ من دون الله أندادا فهذا ند في المحبة لا في الخلق والربوبية فإن أحدا من أهل الأرض لم يثبت هذا الند في الربوبية بخلاف ند المحبة فإن أكثر أهل الأرض قد اتخذوا من دون الله أندادا في الحب والتعظيم"اهـ^(٥)

(١) زاد المسير في علم التفسير - (١ / ١٥٦)

(٢) انظر القول المفيد على كتاب التوحيد - (١ / ١٥٤)

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين - (٣ / ٢١) بتصرف يسير في بعضه.

(٤) القول المفيد على كتاب التوحيد - (٢ / ٤٦)

(٥) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين - (٣ / ٢٠)

أقسام المحبة:

- ١- شرعية.
- ٢- شركية.
- ٣- محرمة.

أولاً: المحبة الشرعية :

ويدخل تحتها أقسام:

- محبة عبادة

كحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وحب ما يحبه الله ورسوله من الأقوال والأفعال والاعتقادات، وهي أحد ركني العبادة.

قال ابن القيم في نونيته:

وعبادة الرحمن غاية حبه ... مع ذل عابده هما قطبان^(١)

قال ابن عثيمين رحمه الله: "عبادة الله مبنية على المحبة، بل هي حقيقة العبادة؛ إذ لو تعبدت بدون محبة صارت عبادتك قشرا لا روح فيها، فإذا كان الإنسان في قلبه محبة لله وللوصول إلى جنته؛ فسوف يسلك الطريق الموصل إلى ذلك.

ولهذا لما أحب المشركون آلهتهم؛ توصلت بهم هذه المحبة إلى أن عبدوها من دون الله، أو مع الله." اهـ^(٢)

- محبة طبيعية:

كحب النفس والولد والمال مالم يله عن واجب، كما قال تعالى: "زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ [آل عمران : ١٤]"

ثانياً: المحبة الشركية:

كحب غير الله مثل حب الله أو أشد مع التعظيم.

(١) متن القصيدة النونية لابن القيم - (١ / ٣٥)

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد - (٢ / ٤٤)

قال العلامة العثيمين - رحمه الله -: "مُنِعَ الإنسان أن يحب أحدا كحبة الله؛ لأن هذا من الشرك الأكبر، المخرج عن الملة، وهذا يوجد في بعض العباد، وبعض الخدم؛ فبعض العباد يعظمون ويحبون بعض القبور أو الأولياء كحبة الله أو أشد، وكذلك بعض الخدم تجدهم يحبون هؤلاء الرؤساء أكثر مما يحبون الله، ويعظمونهم أكثر مما يعظمون الله، قال تعالى: {وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا، رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنُتُمْ لَعْنًا كَبِيرًا}[الأحزاب: ٦٧-٦٨]. "اهـ (١)

ثالثا: المحبة المحرمة:

كحب المعاصي والبدع وأصحابهما، أو كحب المال والولد إذا ألهى عما أوجب الله.

قال تعالى: " قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ [التوبة : ٢٤]

وقد قسم ابن عثيمين المحبة إلى مايلي:

القسم الأول: محبة عبادة، وهي التي توجب التذلل والتعظيم، وأن يقوم بقلب الإنسان من إجلال المحبوب وتعظيمه؛ ما يقتضي أن يمتثل أمره، ويجتنب نهيه، وهذه خاصة بالله، فمن أحب مع الله غيره محبة عبادة؛ فهو مشرك شركا أكبر، ويعبر العلماء عنها بالمحبة الخاصة.

القسم الثاني: محبة ليست بعبادة في ذاتها، وهذه أنواع:

النوع الأول: المحبة لله وفي الله، وذلك بأن يكون الجالب لها محبة الله، أي: كون الشيء محبوبا لله تعالى من أشخاص؛ كالأنبياء، والرسول، والصديقين، والشهداء، والصالحين. أو أعمال؛ كالصلاة، والزكاة، وأعمال الخير، أو غير ذلك. وهذا النوع تابع للقسم الأول الذي هو محبة الله.

النوع الثاني: محبة إشفاق ورحمة، وذلك كحبة الولد، والصغار، والضعفاء، والمرضى.

النوع الثالث: محبة إجلال وتعظيم لا عبادة؛ كحبة الإنسان لوالده، ولمعلمه، ولكبير من أهل الخير.

النوع الرابع: محبة طبيعية؛ كحبة الطعام، والشراب، والملبس، والمركب، والمسكن.

وأشرف هذه الأنواع النوع الأول، والبقية من قسم المباح؛ إلا إذا اقترن بها ما يقتضي التعبد صارت عبادة؛ فالإنسان يحب والده محبة إجلال وتعظيم، وإذا اقترن بها أن يتعبد لله بهذا الحب؛ من أجل أن يقوم بغير والده، صارت عبادة، وكذلك يحب ولده محبة شفقة، وإذا اقترن بها ما يقتضي أن يقوم بأمر الله بإصلاح هذا الولد؛ صارت عبادة.

(١) المصدر السابق - (٢ / ٤٧-٤٨)

وكذلك المحبة الطبيعية؛ كالأكل والشرب، والملبس والمسكن؛ إذا قصد بها الاستعانة على عبادة صارت عبادة، ولهذا (حبب للنبي النساء والطيب ^(١)، من هذه الدنيا؛ فحبب إليه النساء؛ لأن ذلك مقتضى الطبيعة.. "اهـ ^(٢) قلت: وإذا ألهمت هذه المحبة الطبيعية عما أوجب الله أو استعان بها العبد على معصية الله صارت محبة محرمة.

علامات المحبة التي هي عبادة:

- من علامات محبة الله طاعته واتباع رسوله وتقديم محابهما على محاب العبد نفسه.

قال تعالى: "وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ" [المائدة : ٩٢]

وقال تعالى: "قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣١) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ" [آل عمران : ٣١ ، ٣٢]

- ومن علامة ضعف المحبة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم معصيتهما.

وما أحسن قول القائل:

تعصي الإله وأنت تزعم حبه ... هذا لعمرى في القياس بديع

لو كان حبك صادقا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

- ومن علامات ضعف محبة الله عند العبد تقديم محابّه على محابّ الله، وهذه معصية، وهي من قسم المحبة المحرمة.

قال العلامة السعدي بعد تفسير قوله تعالى: "قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم.." الآية

: "وهذه الآية الكريمة أعظم دليل على وجوب محبة الله ورسوله، وعلى تقديمها على محبة كل شيء، وعلى الوعيد الشديد والمقت الأكيد، على من كان شيء من هذه المذكورات أحب إليه من الله ورسوله، وجهاد في سبيله.

وعلاوة ذلك، أنه إذا عرض عليه أمران، أحدهما يحبه الله ورسوله، وليس لنفسه فيه هوى، والآخر تحبه نفسه وتشتهيه، ولكنه يُفوّت عليه محبوباً لله ورسوله، أو ينقصه، فإنه إن قدم ما تهواه نفسه، على ما يحبه الله، دل ذلك على أنه ظالم، تارك لما يجب عليه" اهـ. ^(٣)

(١) رواه النسائي وغيره عن أنس رضي الله عنه وصححه الألباني. ولفظه: "حبب إلي من دنياكم : النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة"

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد - (٢ / ٤٤ - ٤٥)

(٣) تفسير السعدي - (١ / ٣٣٢)

المبحث الرابع : (الشرك في الخوف)

معنى الشرك في الخوف :

هو أن يخاف العبد من شيء مثل خوفه من الله أو أشد.

والخوف عبادة عظيمة لاتنبغي أن تكون إلا لله سبحانه وتعالى وهي شرط الإيمان كما قال تعالى : " إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [آل عمران : ١٧٥]

قال ابن القيم - رحمه الله - : " الخوف عبودية القلب فلا يصلح إلا لله كالذل والإنابة والمحبة والتوكل والرجاء وغيرها من عبودية القلب" (١)

وعلامة الخوف من الله : أن يجتنب العبد ما يغضب الله وأن يحذر من بطشه وعقوبته ، وأن يقي العبد نفسه من ناره .

قال تعالى: " يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمَلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمَلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ" [آل عمران : ٣٠]

وقال سبحانه: " إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ * إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ * وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ * ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ * فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ [البروج : ١٢ - ١٦]

وقال تعالى: { وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ } [هود : ١٠٢ ، ١٠٣]

وغير ذلك من الآيات.

تفسير قوله تعالى: " : " إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ "

قال ابن كثير: { إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ } : أي: يخوفكم أوليائه، ويوهمكم أنهم ذوو بأس وذوو شدة، قال الله تعالى: { فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } { أي: فإذا سؤل لكم وأوهمكم فتوكلوا علي والجؤوا إلي، فأنا كافيكم وناصركم عليهم.

كما قال تعالى: { أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ } إلى قوله: { قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ } [الزمر: ٣٦-٣٨]

(١) انظر فتح المجيد شرح كتاب التوحيد - (١ / ٣٣٣)

وقال تعالى: { فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا } [النساء: ٧٦]

وقال تعالى: { أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ } [المجادلة: ١٩]

وقال تعالى: { كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَيْنَ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ } اهـ^(١)

وقال البغوي: "قوله تعالى: { إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ } يعني: ذلك الذي قال لكم: { إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ } من فعل الشيطان ألقى في أفواههم ليرهبوهم ويجبنوا عنهم، { يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ } أي يخوفكم بأوليائه، وكذلك هو في قراءة أبي بن كعب يعني: يخوف المؤمنين بالكافرين، قال السدي: يعظم أوليائه في صدورهم ليخافوهم يدل عليه قراءة عبد الله بن مسعود "يخوفكم أوليائه" ({ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ } في ترك أمري { إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } مصدقين بوعدني فإنني متكفل لكم بالنصرة والظفر" اهـ^(٢)

وقال السعدي: "وفي هذه الآية وجوب الخوف من الله وحده، وأنه من لوازم الإيمان، فعلى قدر إيمان العبد يكون خوفه من الله، والخوف المحمود: ما حجز العبد عن محارم الله" اهـ^(٣)

وقال الطبري: "القول في تأويل قوله: { إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ }:

قال أبو جعفر: يعني بذلك تعالى ذكره: إنما الذي قال لكم، أيها المؤمنون: "إن الناس قد جمعوا لكم"، فخوفوكم بجموع عدوكم ومسيرهم إليكم، من فعل الشيطان ألقاه على أفواه من قال ذلك لكم، يخوفكم بأوليائه من المشركين -أبي سفيان وأصحابه من قريش- لترهبوهم، وتجنبوا عنهم" اهـ^(٤)

وقال العلامة ابن القيم: "ومن كيد عدو الله: أنه يخوف المؤمنين من جنده وأوليائه لئلا يجاهدوهم لا يأمرهم بمعروف ولا ينهوهم عن منكر وأخبر تعالى أن هذا من كيد الشيطان وتخيفه ونهانا أن نخافهم قال: والمعنى عند جميع المفسرين: يخوفهم بأوليائه قال قتادة: يعظمهم في صدوركم فكلما قوي إيمان العبد زال خوف أوليائه الشيطان من قلبه وكلما ضعف إيمانه قوي خوفه منهم فدللت هذه الآية على أن إخلاص الخوف من كمال شروط الإيمان" اهـ^(٥)

(١) تفسير ابن كثير -/ (٢ / ١٧٢)

(٢) تفسير البغوي - (٢ / ١٣٩)

(٣) تفسير السعدي - (١ / ١٥٧)

(٤) جامع البيان (تفسير الطبري) - (٧ / ٤١٦)

(٥) انظر فتح المجيد شرح كتاب التوحيد - (١ / ٣٣٢)

أقسام الخوف:

١: خوف عبادة

وهو إذا خاف العبد من الله فامتثل لأمره الله واجتنب ما نهاه عنه.

قال ابن القيم - رحمه الله - : "الخوف عبودية القلب فلا يصلح إلا لله كالذل والإنابة والمحبة والتوكل والرجاء وغيرها من عبودية القلب" اهـ^(١)

٢: خوف شرك.

وهو أن يخاف العبد من غير الله أن يصيبه بشيء لا يقدر عليه إلا الله، أو الخوف من ميت أو غائب أو عاجز، وحكمه شرك أكبر.

٣: خوف محرم .

وهو أن يترك العبد واجبا أو يعمل معصية خوفا من شخص أو جهة كأن يخلق لحينه خوفا على الوظيفة والراتب ونحو ذلك ،وقد يكون هذا شركا أصغر.

٤: خوف طبيعي:

كخوف العبد من العدو والسبع ونحوه ،وهذا الخوف غير مذموم ؛لأنه بمقتضى الجبلة البشرية، إلا إذا حمله هذا الخوف على ترك واجب أو فعل محرم فإنه يصير محرما.

٥: خوف وهمي:

كالخوف من الظلام والأشياء الوهمية كالظل ونحوه، وصاحب هذا مذموم ويدل على الجبن والخور.

(١) انظر فتح المجيد شرح كتاب التوحيد - (١ / ٣٣٣)

قال العلامة العثيمين: "والخوف ثلاثة أنواع:

النوع الأول: خوف طبيعي كخوف الإنسان من السبع والنار والغرق وهذا لا يلام عليه العبد قال الله تعالى عن موسى عليه الصلاة والسلام: {فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ} [سورة القصص، الآية: ١٨] لكن إذا كان هذا الخوف كما ذكر الشيخ رحمه الله سبباً لترك واجب أو فعل محرم كان حراماً ؛ لأن ما كان سبباً لترك واجب أو فعل محرم فهو حرام ودليل ذلك قوله تعالى: {فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [سورة آل عمران، الآية: ١٧٥].

والخوف من الله تعالى يكون محموداً، ويكون غير محمود.

فالمحمود ما كانت غايته أن يحول بينك وبين معصية الله بحيث يحمك على فعل الواجبات وترك المحرمات، فإذا حصلت هذه الغاية سكن القلب واطمأن وغلب عليه الفرح بنعمة الله، والرجاء لثوابه.

وغير المحمود ما يحمل العبد على اليأس من روح الله والقنوط وحينئذ يتحسر العبد وينكمش وربما يتمادى في المعصية لقوة يأسه.

النوع الثاني: خوف العبادة أن يخاف أحداً يتعبد بالخوف له فهذا لا يكون إلا لله تعالى. وصرفه لغير الله تعالى شرك أكبر.

النوع الثالث: خوف السر كأن يخاف صاحب القبر، أو ولياً بعيداً عنه لا يؤثر فيه لكنه يخافه مخافة سر فهذا أيضاً ذكره العلماء من الشرك. "اهـ^(١)

فينبغي على المؤمن أن يجمع بين الخوف والرجاء فيكون خائفاً راجياً في آن واحد، فيحمله الخوف على ترك المعاصي لينجو من عذاب الله، ويحمله الرجاء على فعل الطاعات فيظفر بثواب الله. كما قال تعالى: "أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ [الزمر : ٩]

فلا يأس المؤمن من ثواب الله فيترك العمل ولا يأمن من مكر الله وعذابه فيقترب المعاصي فيصدق عليه قول الله عزوجل: "أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ" [الأعراف : ٩٩] وقوله تعالى في الحديث القدسي: "و عزتي و جلالتي لا أجمع لعبدي أمنين و لا خوفين إن هو آمنني في الدنيا أخفته يوم أجمع عبادي و إن هو خافني في الدنيا أمنته يوم أجمع عبادي"^(٢).

وقال العثيمين أيضاً في أقسام الخوف :

"الأول: خوف العبادة والتذلل والتعظيم والخضوع، وهو ما يسمى بخوف السر؛ وهذا لا يصلح إلا لله - سبحانه - ، فمن أشرك فيه مع الله غيره؛ فهو مشرك شركاً أكبر، وذلك مثل: من يخاف من الأصنام أو الأموات، أو من يزعمونهم أولياء ويعتقدون نفعهم وضرهم؛ كما يفعله بعض عباد القبور: يخاف من صاحب القبر أكثر مما يخاف الله.

(١) شرح ثلاثة الأصول - العثيمين - (١ / ٥٧)

٢ - رواه أبو نعيم في الحلية عن شداد بن أوس رضي الله عنه وصححه الألباني

الثاني: الخوف الطبيعي والجبلي؛ فهذا في الأصل مباح؛ لقوله تعالى عن موسى: {فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ}، [القصص: من الآية ٢١]، وقوله عنه أيضا: {قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ}، [القصص: ٣٣]، لكن إن حمل على ترك واجب أو فعل محرم؛ فهو محرم، وإن استلزم شيئا مباحا كان مباحا، فمثلا من خاف من شيء لا يؤثر عليه وحمله هذا الخوف على ترك صلاة الجماعة مع وجوبها؛ فهذا الخوف محرم، والواجب عليه أن لا يتأثر به. وإن هدده إنسان على فعل محرم، فخافه وهو لا يستطيع أن ينفذ ما هدده به؛ فهذا خوف محرم لأنه يؤدي إلى فعل محرم بلا عذر، وإن رأى نارا ثم هرب منها ونجا بنفسه؛ فهذا خوف مباح، وقد يكون واجبا إذا كان يتوصل به إلى إنقاذ نفسه.

وهناك ما يسمى بالوهم وليس بخوف، مثل أن يرى ظل شجرة تهتز، فيظن أن هذا عدو يتهدده؛ فهذا لا ينبغي للمؤمن أن يكون كذلك، بل يطارد هذه الأوهام لأنه لا حقيقة لها، وإذا لم تطاردها؛ فإنها تهلك. اهـ^(١)

وقال الشيخ عبد الرحمن آل الشيخ: "والخوف من حيث هو على ثلاثة أقسام :

أحدها : خوف السر وهو أن يخاف من غير الله من وثن أو طاغوت أن يصيبه بما يكره كما قال تعالى عن قوم هود عليه السلام إنهم قالوا له : {إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ} [هود : ٥٤] وقال تعالى : {وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ} [الزمر : ٣٦] وهذا هو الواقع من عباد القبور ونحوها من الأوثان يخافونها ويخوفون بها أهل التوحيد إذا أنكروا عبادتها وأمروا بإخلاص العبادة لله وهذا ينافي التوحيد .

الثاني: أن يترك الإنسان ما يجب عليه خوفا من بعض الناس فهذا محرم وهو نوع من الشرك بالله المنافي لكمال التوحيد وهذا هو سبب نزول هذه الآية كما قال تعالى : {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ* فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانِ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ* إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يَخَوْفُ أَوْلِيَاءَهُ} [آل عمران : ١٧٣ ، ١٧٥] الآية

وفي الحديث : [إن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة : ما منعك إذ رأيت المنكر أن لا تغيره ؟ فيقول : رب خشية الناس فيقول : إياي كنت أحق أن تخشى]

الثالث: الخوف الطبيعي وهو الخوف من عدو أو سبع أو غير ذلك فهذا لا يذم كما قال تعالى في قصة موسى عليه السلام : {فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ} الآية [القصص : ٢١] اهـ^(٢)

قلت: ومن الخوف المذموم عدم إنكار المنكر خوفا من الناس أو مداهنة لهم، أو يخاف أن يصفوه ببعض ما يكره أو يتركوا مدحه فيترك إنكار المنكر:

قال الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ: " الخوف المحرم وهو أن يخاف من مخلوق في امتثال واجب ، أو البعد عن المحرم ، مما أوجبه الله أو حرمه ، كأن يخاف من مخلوق في أداء فرض من فرائض الله ، وفي أداء واجب من الواجبات ، فلا يصلي خوفا من مخلوق ، ولا يحضر الجماعة خوفا من ذم المخلوق له أو استنقاظه له ، فهذا محرم ، قال بعض العلماء : وهو نوع من أنواع الشرك ، لأن ترك الأمر والنهي الواجب بشرطه خوفا من

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد - (٢ / ٦٨)

(٢) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد - (١ / ٣٢٢)

ذم الناس ، أو من ترك مدحهم له ، أو من وصمهم له بأشياء ، فيه تقديم لخوف الناس على خوف الله تعالى ، وهذا محرم ؛ لأن الوسيلة إلى المحرم محرمة .^(١)

وقال العثيمين: "وكذلك ما يحصل في نفس من أراد أن يأمر بالمعروف، أو ينهى عن المنكر، فيخوفه الشيطان ليصده عن هذا العمل، وكذلك ما يقع في قلب الداعية.

والحاصل: أن الشيطان يخوف كل من أراد أن يقوم بواجب، فإذا ألقى الشيطان في نفسك الخوف؛ فالواجب عليك أن تعلم أن الإقدام على كلمة الحق ليس هو الذي يدني الأجل، وليس السكوت والجبن هو الذي يبعد الأجل؛ فكم من داعية صدع بالحق ومات على فراشه؟! وكم من جبان قتل في بيته!؟

وانظر إلى خالد بن الوليد، كان شجاعا مقداما، ومات على فراشه، وما دام الإنسان قائما بأمر الله؛ فليثق بأن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، وحزب الله هم الغالبون.^(٢)

قلت :مصدق ذلك ما ثبت عند الترمذي عن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يمنع رجلا هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه (أو شاهده أو سمعه) " وفي رواية عند المعلى بن زياد" إذا رآه أو شهد، فإنه لا يقرب من أجل ، و لا يباعد من رزق ، أو يقول بحق ،أو يذكر بعظيم " ^(٣).

أما إذا خشي العبد على نفسه الفتنة أو الضرر من الصدع بالحق في بعض الأحوال، فإنه يعذر في هذه الحالة - إن شاء الله لما ثبت عن عبدالله بن عمرو- رضي الله عنهما- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "إذا رأيتم الناس قد مرجت عهودهم و خفت أماناتهم و كانوا هكذا - و شبك بين أصابعه - فالزم بيتك و املك عليك لسانك و خذ بما تعرفه و دع ما تنكر و عليك بأمر خاصة نفسك و دع عنك أمر العامة " ^(٤).

ومن الخوف المذموم ترك الحق والصدع به خوفا من الناس أو كراهية ذمهم له أو إرضاء لهم:

فإن من ضعف الإيمان بل ضعف التوحيد ترك الحق وعدم الصدع به خوفا من الناس، فإن الذي ينبغي على الموحد أن يثبت على الحق مهما كانت الأحوال وألا يتنازل عن شيء من دينه، فإن الله قد يبغض العبد ليختبر إيمانه فإن ثبت وصبر أثابه الله وإن انتكس وتقهقر خاب وخسر، فيجب الصبر فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، فلا يكون العبد كمن قال الله فيهم: { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْلَىٰ آلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ } [العنكبوت : ١٠]

١ - التمهيد لشرح كتاب التوحيد - (٢ / ١٩)

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد - (٢ / ٧٠)

٣ - رواه الترمذي وغيره وصححه الألباني
٤ - رواه أبو داود وصححه الألباني

قال البغوي: "قوله تعالى: { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ } أصابه بلاء من الناس افتتن، { جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ } أي: جعل أذى الناس وعذابهم كعذاب الله في الآخرة، أي: جزع من عذاب الناس ولم يصبر عليه، فأطاع الناس كما يطيع الله من يخاف عذابه، هذا قول السدي وابن زيد" اهـ^(١)

وقال السعدي: "لما ذكر تعالى أنه لا بد أن يمتحن من ادعى الإيمان، ليظهر الصادق من الكاذب، بيّن تعالى أن من الناس فريقا لا صبر لهم على المحن، ولا ثبات لهم على بعض الزلازل فقال: { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ } بضرب، أو أخذ مال، أو تعبير، ليرتد عن دينه، وليراجع الباطل، { جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ } أي: يجعلها صادة له عن الإيمان والثبات عليه، كما أن العذاب صادّ عما هو سببه.

{ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ } لأنه موافق للهوى، فهذا الصنف من الناس من الذين قال الله فيهم: { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ } اهـ^(٢)

وقال ابن عثيمين: "قوله: "كعذاب الله" ومعلوم أن الإنسان يفر من عذاب الله فيوافق أمره؛ فهذا يجعل فتنة الناس كعذاب الله؛ فيفر من إيدائهم بموافقة أهوائهم وأمرهم جعلاً لهذه الفتنة كالعذاب؛ فحينئذ يكون قد خاف من هؤلاء كخوفه من الله؛ لأنه جعل إيداءهم كعذاب الله، ففر منه بموافقة أمرهم؛ ..

وفي هذه الآية من الحكمة العظيمة، وهي ابتلاء الله للعبد لأجل أن يمحص إيمانه وذلك على قسمين:

الأول: ما يقدره الله نفسه على العبد؛ كقوله تعالى: { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ }، [الحج: من الآية ١١]، وقوله تعالى: { وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ }، [البقرة: من الآية ١٥٥-١٥٦].

الثاني: ما يقدره الله على أيدي الخلق من الإيذاء امتحانا واختبارا، وذلك كالأية السابقة.

وبعض الناس إذا أصابته مصائب لا يصبر، فيكفر ويرتد أحيانا- والعياذ بالله-، وأحيانا يكفر بما خالف فيه أمر الله في موقفه في تلك المصيبة؛ وكثير من الناس ينقص إيمانه بسبب المصائب نقصا عظيما؛ فليكن المسلم على حذر؛ فانه حكيم، يمتحن عباده بما يتبين به تحقق الإيمان، قال تعالى: { وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَنَّكُمْ } [محمد: ٣١] اهـ^(٣)

ومن الناس من يسكت عن الحق فيكتمه لإرضاء الناس، وهذا من ضعف الإيمان والتوحيد؛ لأن الله سبحانه هو أحق أن يرضيه العبد، إذ إن الناس لا ينفعون شيئا إن أرضاهم ولا يضررونه إن أسخطهم، أما الله سبحانه وتعالى إن أرضاه العبد أثابه، وإن أسخطه ربما انتقم منه، ولما كان همُّ بعض الناس هو إرضاء الناس عاقبهم الله بنقيض قصدهم، فأسخط عليهم الناس وسخط عليهم، ومن يكن همه إرضاء الله يعوضه الله برضاه عنه وإرضاء الناس عنه، فانظر الفرق بين الفريقين.

(١) تفسير البغوي - (٦ / ٢٣٤)

(٢) تفسير السعدي - (١ / ٦٢٧)

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد - (٢ / ٧٤-٧٥)

فقد جاء من حديث عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " من أَرْضَى الله بسخط الناس ، كفاه الله الناس ، و من أسخط الله برضى الناس ، وكله الله إلى الناس " (١) .

وجاء من حديث ابن عباس مرفوعا بلفظ : " من أسخط الله في رضى الناس سخط الله عليه و أسخط عليه من أرضاه في سخطه ، و من أرضى الله في سخط الناس رضى الله عنه و أرضى عنه من أسخطه في رضاه حتى يزينه و يزين قوله و عمله في عينه " (٢) .

اللهم ارضَ عنا وثبتنا على الحق قولاً وعملاً واعتقاداً حتى نلقاك وأنت راضٍ عنا.

(١) أخرجه عبد بن حميد في " المنتخب من المسند " (١٦٢ / ١ - ٢) و الجوزجاني في كتابه " أحوال الرجال " وصححه الألباني.

(٢) أخرجه الطبراني في " الكبير " (٣ / ١٣٢ / ١) : وانظر السلسلة الصحيحة للألباني المجلدات الكاملة ١-٩ - (٣١٠ / ٥)

الخاتمة

أحمد الله العلي العظيم، صاحب الفضل العظيم، الذي مَنَّ عَلَيَّ بِإِتِّمَامِ هَذَا الْكِتَابِ وَإِكْمَالِهِ بِجُودِهِ وَإِنْعَامِهِ: "وما بكم من نعمة فمن الله" [النحل: ٥٣] والله أسأل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفعني به وإخواني المسلمين، فما كان فيه من صواب فمن الله وما كان من خطأ فأستغفر الله.

وقد جعلت هذا الكتاب مبنياً على ثلاثة أمور :

- كلام الله.

- وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم.

- وكلام أهل العلم.

- وما عدا ذلك فمقتبس من هذه الأمور، فالفضل لله ثم لرسوله وأهل العلم .

وقد تحررت فيه الصحة مما ثبت عن نبينا صلى الله عليه وسلم والراجح من أقوال أهل العلم والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وختاماً: فإنني أتوجه بالنصيحة لنفسي وإخواني المسلمين بالاهتمام بأمر التوحيد، وقراءة كتب التوحيد، والعمل بالتوحيد والدعوة إليه، فهذه هي طريقة المرسلين، وهي دأب الصالحين من بعدهم، فمن كان هذا حاله فليبشر بالخير العاجل والآجل وسيجعل الله البركة في عمره، ورزقه، وعمله، وعلمه، ويحفظه وذريته وعقب عقبه، فهذا هو وعد الله لعباده الموحدين من المتقدمين والمتأخرين، فلننظر إلى حال الصحابة - رضوان الله عليهم - والتابعين من بعدهم والأئمة من خلفهم كيف جعل الله البركة في علمهم وأعمارهم وأوقاتهم، فنصر الله بهم الدين ونصرهم على أعدائهم، وهكذا من جاء بعدهم، كأمثال شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وغيرهم، وأقرب مثال هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي - رحمه الله -، فقد بارك الله في علمه وأقبل بقلوب العباد على دعوته وكتبه ونفع الله به الإسلام والمسلمين إلى يومنا هذا وإلى أن يشاء الله تعالى، وذلك ببركة دعوته إلى التوحيد واهتمامه بهذا الأصل الأصيل، وهذا الجانب مما تميز به أهل السنة والجماعة، وهو الاهتمام بأمر التوحيد اعتقاداً وقولاً وعملاً ودعوة وصبراً على ذلك، أما أهل البدع فلا يهتمهم هذا، بل يعادون أهل التوحيد والدعاة إلى التوحيد، وإن زعموا أنهم يدعون إلى التوحيد، بل ترى كثيراً منهم غارقين في بعض الشركيات فضلاً عن أن يدعوا إلى التوحيد، فإنهم لم يفهموا التوحيد على حقيقته، ولم يعملوا به ولم يدعوا إليه على النحو المطلوب، فالتوحيد عند الصوفية عبادة القبور والتمسح بها والتوسل بأصحابها ودعائهم من دون الله، والتوحيد عند المعطلة تعطيل الأسماء والصفات وإنكارها، والتوحيد عند الإخوان المفلسين هو الاهتمام بتوحيد الحاكمية الذي هو جزء من توحيد الربوبية الذي أقره مشركو قريش، فاتخذوا ذلك سلماً إلى الدعوة إلى الخروج على أولياء الأمور، مع أنهم لم يفهموا توحيد الحاكمية فضلاً عن الدعوة إليه، ويعيبون على أهل السنة اهتمامهم بأمر التوحيد، ويلمزونهم بأنهم شغلوا أنفسهم بشرك القبور وتركوا شرك القصور! والمغزى من ذلك هو الوصول إلى الحكم، فهو غايتهم ومنتهى أمانيتهم، وبإلبيتهم يحكمون بكتاب الله وسنة رسوله إن هم وصلوا إلى ذلك، فإن القرائن تدل على أنهم لن يفعلوا ذلك وقد وصل بعضهم إلى الحكم فلم يحكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كما كانوا يدندنون بذلك، وذلك

لأن دعوتهم مبنية على البدع من أول يوم فلا يرجى منهم خير إلا أن يشاء الله ،ثم إنهم لم يعطوا توحيد الحاكمية حقه الذي هو جزء من توحيد الربوبية؛ لأن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية ،وتوحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية، ولا عكس.

فلا ترجُ دعوة إلى توحيد الله ممن يقلد الصوفية ويأخذون عنهم ،فكيف يُركن إليهم؟! ،والصوفية معروفون بالشرك والبدع والخرافات ،فكيف تقوم لهم دعوة إلى التوحيد؟ ففاقد الشيء لا يعطيه،بل كيف سيقومون خلافة إسلامية والله عزوجل قد وعدا للموحدين ،وهؤلاء يعادون أهل التوحيد والدعاة إلى التوحيد؟قال تعالى: " وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ " [النور : ٥٥]

فلا يُركن على دعوة المتحزبية والمبتدعة والمتصوفة فإن دعوتهم مبنية على أصول فاسدة ،ومصالح شخصية ،وأغراض حزبية،معروفة من قبل ومن بعد ،فإنهم يوالون ويعادون من أجل الحزب لا من أجل دين الله ولا من أجل توحيد الله، فمن كان معهم فهو المقرب ولو كان مشركا ومن كان ضدهم فهو العدو ولو كان موحدا،فلا يهتمهم حال المنتسب إليهم،موحدا كان أو مشركا،مسلمًا كان أو كافرا،يهوديا كان أو نصرانيا،فالولاء والبراء عندهم هو شخصي حزبي عصبي،فما هكذا قامت دعوة محمد صلى الله عليه وسلم ولا دعوة السلف الصالح ،وما نصر الله الإسلام ببدعة قط ،وما أتى الإسلام إلا من قبل أهل البدع،فالحق أحق أن يتبع.

فهكذا يجب على كل مسلم أن يحقق هذا الأصل العظيم في نفسه وأهله ،ألا وهو توحيد الله عزوجل ،ثم يدعو غيره وكل بحسبه ومقدوره ،بالخطابة و الكتابة و المناقشة والمراسلة ونحو ذلك من الوسائل،والذي يرى الشركيات والمنكرات ولا يغيرها أو يحذر منها وهو قادرعلى إنكارها فهو آثم ويخشى عليه من العقوبة العاجلة قبل الأجلة في الدنيا قبل الآخرة ،قال تعالى: { وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَدِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْزِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفُونَ * فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ } [الأعراف : ١٦٤ ، ١٦٥]

فإن الناهين عن المنكر هم الناجون إذا نزلت العقوبات والمصائب.

فهذا هو دأب المرسلين وأتباعهم من الصديقين والصالحين،فلا عبرة بالمخذلين ،ولا يلتفت إلى تنفير المنفرين ،وتزهد المزهدين،وتلبيس الملبسين،فالداعي إلى توحيد الله سيؤذى كما أؤذى نبيه وسلفه ،وعلى قدر إيمان العبد ودعوته يكون بلاؤه ،وأسوتنا في ذلك إمام الموحدين وسيد المرسلين الداعي إلى توحيد رب العالمين ،محمدعليه أفضل الصلاة وأتم التسليم،فقد رُجم ،وضُرب ،وخُنق ،وجُرح ،وطُرد من بلده، وهي أحب البلاد إليه،وكاد أن يقتل لولا أن الله عصمه من مكائد المشركين وكل ذلك من أجل توحيد الله،وما نقموا منه إلا أن قال لهم:(قولوا :لا إله إلا الله تفلحوا)فمن نحن أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم.!!

وأخيرا فإني لا أنسى أن أتوجه بالشكر والدعاء للمشايخ الذين راجعوا معي هذه الرسالة والإخوة الذين أعانوني في كتابته وإخراجه وطباعته ،فجزى الله خيرا كل من راجع وكتب وأعان وطبع ونشر وقرأ ودل ونصح وعلم وتعلم وبذل الخير للناس جزاهم الله عنا وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

ونسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يثبتنا على الدين وعلى كتابه المبين وعلى توحيد رب العالمين ،وعلى سنة سيد المرسلين ،وأن يتوفانا مسلمين ،وأن يلحقنا بالصالحين ،وأخردعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تم كتابته مع آخر مراجعة له بعون الله وحمله يوم الأربعاء ٢٤/صفر/١٤٤١هـ

كتبه راجي عفو ربه

أبو عبدالرحمن موفق بن أحمد بن علي الفاضلي

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

قائمة المراجع

- ١: كتاب الله العزيز القرآن الكريم.
- ٢: صحيح البخاري.
- ٣: صحيح مسلم.
- ٤: كتب السنن الحديثية - سنن أبي داود- سنن الترمذي - سنن ابن ماجه - سنن النسائي - وبعض السنن.
- ٥- مسند الإمام أحمد - وبعض المسانيد.
- ٦- كتب العلامة الألباني الحديثية.
- ٧- الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين للعلامة الوادعي.
- ٨- إغانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد/للشيخ صالح الفوزان
- ٩- إغائة اللهفان من مصائد الشيطان/ لابن القيم
- ١٠- الأجوبة السديدة في فتاوى العقيدة للإمام الوادعي.
- ١١- أخطاء في العقيدة /عبدالله بن يوسف العجلان.
- ١٢- اقتضاء الصراط المستقيم/للشيخ الإسلام ابن تيمية
- ١٣- تفسير القرآن العظيم/ابن كثير.
- ١٤- تيسير الكريم الرحمن /للسعدي
- ١٥- تفسير البغوي/معالم التنزيل.
- ١٦- تفسير الشوكاني/فتح القدير
- ١٧- تفسير ابن الجوزي/زاد المسير
- ١٨- تيسير العزيز الحميد/سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب.
- ٢٠- التمهيد لشرح كتاب التوحيد/للشيخ صالح آل الشيخ.
- ٢١- جامع العلوم والحكم/لابن رجب
- ٢٢- الداء والدواء/ابن قيم الجوزية.
- ٢٣- شرح الثلاثة الأصول/للعلامة العثيمين.
- ٢٤- شرح العقيدة الطحاوية/لابن أبي العز.

- ٢٥- عقيدة التوحيد/للعلامة صالح الفوزان.
- ٢٦- فتح الحميد شرح كتاب التوحيد/للشيخ عثمان بن عبدالعزيز التميمي.
- ٢٧- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد/للشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ.
- ٢٨- فتح المجيد مع القول المفيد /للشيخ عبدالرحمن بن حسن والشيخ العثيمين.
- ٢٩- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء لبعض علماء المملكة.
- ٣٠- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان/للشيخ الإسلام ابن تيمية.
- ٣١- قرة عيون الموحدين /للشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ.
- ٣٢- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى/للعلامة العثيمين.
- ٣٣- القول المفيد شرح كتاب التوحيد /للعلامة العثيمين.
- ٣٤- لسان العرب /ابن منظور.
- ٣٥- لمعة الاعتقاد /ابن قدامة المقدسي.
- ٣٦- مئتا سؤال وجواب في العقيدة/للشيخ حافظ حكيم.
- ٣٧- مجموع الفتاوى/للشيخ الإسلام ابن تيمية.
- ٣٨- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة في التوحيد/للعلامة ابن باز.
- ٣٩- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين/لابن القيم.
- ٤١- مختار الصحاح /زين الدين الرازي.
- ٤٢- الملخص الفقهي /للعلامة صالح الفوزان.

المحتويات

٢	مقدمة الشيخ محمد العنسي - حفظه الله -
٣	مقدمة الشيخ طارق البعداني - حفظه الله -
٤	مقدمة الشيخ الفاضل علوي الأحمدى - حفظه الله -
٥	المقدمة
٧	الفصل الأول :
٧	المبحث الأول : التوحيد وأهميته :
٧	أهمية التوحيد :
١٠	دعوة القرآن والرسول عليهم السلام إلى التوحيد :
١٠	القرآن كله توحيد:
١١	التوحيد حق الله على العبيد :
١٢	إشكال وجوابه:
١٤	الشفاعة لأهل التوحيد يوم القيامة
١٤	تحقيق التوحيد سبب للخير والبركات والأمن والأمان في الدنيا والآخرة :
١٦	المبحث الثاني : الشرك وخطره
١٦	أقسام الشرك :
١٨	خطر الشرك :
١٨	عواقب الشرك وآثاره :
٢١	الفروق بين الشرك الأكبر والأصغر:
٢١	مفهوم الشرك :
٢٤	نشأة الشرك وتاريخه :
٢٥	الفصل الثاني :
٢٥	المبحث الأول : الشرك في الدعاء :
٢٥	تعريف الدعاء:
٢٥	الدعاء هو العبادة :
٢٥	حكم دعاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله:
٢٨	بيان عجز المدعوين من دون الله أنهم لا يستجيبون لمن دعاهم ولا يسمعون من ناداهم ولا ينصرون من استنصرهم:
٣٣	إيضاح في معنى عدم سماع الأموات :
٣٤	كيف يُعامل من دعا غير الله ؟
٣٥	وأما قاعدة : "علمه بحالي يغني عن سؤالي"
٣٨	المبحث الثاني
٣٨	الشرك في الاستغاثة
٣٨	تعريف الاستغاثة :

- ٣٨..... الفرق بين الاستغاثة والدعاء :
- ٣٨..... أقسام الاستغاثة :
- ٣٩..... تنبيه : طلب الغوث والنداء عن طريق المواصلات بالهواتف والمراسلات السريعة في حكم الحاضر ، أي أنه جائز بالشروط المتقدمة والله أعلم
- ٣٩..... حكم الاستغاثة بغير الله من الأحياء والأموات :
- ٤٢..... المبحث الثالث :
- ٤٢..... الشرك في الاستعانة
- ٤٢..... تعريف الاستعانة :
- ٤٢..... أقسام الاستعانة :
- ٤٣..... شروط الاستعانة الجائزة :
- ٤٣..... الفرق بين الاستعانة الجائزة والشركية :
- ٤٤..... حكم الاستعانة بغير الله :
- ٤٤..... حكم الاستعانة بساحر لإخراج السحر :
- ٤٤..... حكم الاستعانة بالجن :
- ٤٥..... حكم الاستعانة بالجن لإخراج السحر أو التمانم :
- ٤٦..... هل الجن يعلمون الغيب؟
- ٤٦..... فإن قال قائل: إنهم يحدثون بالأمر فيقع كما أخبروا؟
- ٤٨..... المبحث الرابع :
- ٤٨..... الشرك في الاستعانة
- ٤٨..... الفرق بين الاستعانة والاستعانة :
- ٤٩..... الاستعانة بعبادة :
- ٥٠..... أقسام الاستعانة :
- ٥٢..... الاستعانة بالجن وأصحاب القبور :
- ٥٣..... فوائد الاستعانة بالله تعالى :
- ٥٤..... الفصل الثالث
- ٥٤..... المبحث الأول : التطير :
- ٥٤..... تعريف التطير :
- ٥٥..... الأحاديث التي تبين حكم الطيرة وتبطلها :
- ٥٦..... الهامة :
- ٥٧..... الصّفر :
- ٥٨..... العُؤل :
- ٦٠..... النفاؤل :
- ٦١..... إشكال والإجابة عليه :
- ٦٢..... أمثلة من الطيرة العصرية:
- ٦٣..... الفرق بين النفاؤل والتطير في الأسماء :
- ٦٥..... المبحث الثاني : التنجيم

٦٥	تعريف التنجيم :
٦٦	حكم التنجيم :
٦٧	التنجيم في الجرائد والمجالات:
٦٩	التنجيم في الجوالات:
٧١	المبحث الثالث :
٧١	من الشرك الاستسقاء بالأنواء والنجوم
٧١	تعريف النوء :
٧١	حكم الاستسقاء بالأنواء :
٧٣	أقسام الشرك في الاستسقاء بالأنواء :
٧٤	إشكال وجوابه:
٧٥	إشكال آخر وجوابه:
٧٦	المبحث الرابع :
٧٦	الشرك في الأيمان (الحلف)
٧٦	تعريف اليمين :
٧٦	أقسام اليمين :
٧٨	أقسام اليمين الشركية :-
٧٩	مظاهر شركية منتشرة في الأيمان :
٨٠	شبهات والردود عليها:
٨٣	الفصل الرابع :
٨٣	الشرك في الألفاظ
٨٣	المبحث الأول :
٨٣	من الشرك قول ما شاء الله وشتت
٨٣	الفرق بين (الواو) و(ثم) :
٨٥	أنواع الشرك في هذه الألفاظ :
٨٥	إشكالان وجوابهما :
٨٥	الإشكال الأول :
٨٦	الإشكال الثاني :
٨٦	مسألة: متى يجوز العطف ب(ثم) في هذه المسائل؟
٨٩	المبحث الثاني:
٨٩	الشرك في الأسماء الحسنی
٨٩	من الشرك الإلحاد في أسماء الله تعالى:
٩١	بيان مناهج المعطلة للأسماء والصفات:
٩٣	حكم التسمي بالسيد :
٩٤	حكم التسمي بقاضي القضاة ومالك الأملاك ونحوها :
٩٨	فصل : في من جحد أسماء الله وصفاته .

- ١٠٠..... إلحاد الشيعة الاثني عشرية (الرافضة) في الأسماء والصفات :
- ١٠١..... المبحث الثالث:
- ١٠١..... (لو)- أو- (ليت)الاعتراضية على القدر
- ١٠٤..... أقسام "لو"
- ١٠٥..... أقسام الناس في القدر:
- ١٠٨..... الفصل الخامس:
- ١٠٨..... المبحث الأول : الشرك في تعليق التمام و الحروز ونحوها .
- ١٠٩..... حكم تعليق التمام :
- ١٠٩..... الأحاديث في النهي عن تعليق التمام :
- ١١١..... الرُقَى :
- ١١١..... شروط الرقية الشرعية :
- ١١٢..... الرقية الشركية :
- ١١٣..... (التَّوَلَّى) :
- ١١٤..... أقسام الشرك في التولة :
- ١١٥..... حكم المعلق إذا كان من القرآن الكريم :
- ١١٥..... أقسام التعلق بغير الله :
- ١١٧..... تمانم عصرية :
- ١١٨..... فصل:في العين والعائن والمعيون
- ١١٨..... الأسباب الشرعية لدفع العين قبل وقوعها :
- ١١٩..... الأسباب الشرعية لدفع العين بعد وقوعها:
- ١٢٠..... إصابة العين للجماد والحيوان وعلاجها:
- ١٢١..... المبحث الثاني :
- ١٢٢..... الكهانة والعرافة وما يتعلق بهما .
- ١٢٢..... معنى الكاهن والعراف :
- ١٢٢..... أولا معنى العرّاف:
- ١٢٢..... ثانيا معنى الكاهن:
- ١٢٤..... حكم العراف والكاهن ومن أتى إليهم :
- ١٢٤..... بعض ما يتعلق بالحديث الأول :
- ١٢٥..... سؤال: هل معناه أن صلاته باطلة غير مجزئة ، وهل له أن يتركها في هذه الفترة ؟
- ١٢٦..... حقيقة ما عليه الكهان والعرافون :
- ١٢٨..... هل معرفة أحوال الطقس وكسوف الشمس والقمر من الكهانة ؟ :
- ١٢٩..... حالات سؤال العرافين ونحوهم :
- ١٢٩..... قصة تفضح الكهان والعرافين :
- ١٣١..... المبحث الثالث : السحر .
- ١٣١..... تعريف السحر :

- ١٣١ أقسام السحر :
- ١٣٢ معنى النفائات في العقد :
- ١٣٣ حكم السحر :
- ١٣٤ الأدلة على كفر الساحر :
- ١٣٥ أعمال السحرة :
- ١٣٥ العلامات التي يعرف بها الساحر ونحوه من العرافين والكهان والمنجمين ونحوهم :
- ١٣٦ حكم تعلم السحر وتعليمه للوقاية منه :
- ١٣٧ حد الساحر :
- ١٣٧ هل يستتاب الساحر أم يقتل بدون استتابة؟
- ١٣٩ حكم القراءة في كتب السحر :
- ١٣٩ حكم الذهاب إلى السحرة والمشعوذين :
- ١٤٠ بيان ما عليه أصحاب الكرامات الوهمية والأحوال الشيطانية والفرق بينها وبين الكرامات الرحمانية الحقيقية :
- ١٤٦ وأما بعد وقوع السحرا أو العين فيزيد المريض على ذلك ما يلي :
- ١٤٦ حكم الذهاب إلى الساحر لفك السحر :
- ١٤٨ الفصل السادس
- ١٤٨ المبحث الأول: الشرك في التبرك:
- ١٤٨ معنى التبرك
- ١٤٨ أقسام التبرك:
- ١٤٩ أمثلة على التبرك الممنوع:
- ١٥١ شبهة والرد عليها:
- ١٥٢ أقسام الشرك في التبرك:
- ١٥٢ حكم التبرك بالشجر:
- ١٥٢ معنى العكوف والأنواط:
- ١٥٣ ذات الأنواط:
- ١٥٥ أسباب التبرك الممنوع:
- ١٥٥ حكم التبرك بذوات وآثار الصالحين:
- ١٥٧ المبحث الثاني: الشرك في الذبح
- ١٥٧ تعريف الذبح:
- ١٥٨ متى يكون الذبح شركاً؟
- ١٦١ أقسام الذبائح:
- ١٦٢ حكم الأكل من الذبيحة التي ذبحت لغير الله:
- ١٦٢ حكم الأكل من الذبيحة التي لم يذكر اسم الله عليها:
- ١٦٣ حكم الدجاج الفرنسي والبرازيلي المستورد:
- ١٦٤ حكم ذبائح أهل الكتاب من اليهود والنصارى:
- ١٦٥ حكم الذبح للسلطان والضيف :

١٦٦	المبحث الثالث: الشرك في النذر
١٦٦	تعريف النذر:
١٦٦	أقسام النذر:
١٧٠	مظاهر شركية في النذور في زماننا:
١٧١	أمثلة على نذر المعصية والنذر البدعي:
١٧٣	الفصل الخامس:
١٧٣	المبحث الأول: الشرك في الرياء:
١٧٣	تعريف الرياء:
١٧٣	الفرق بين الرياء والسمعة:
١٧٤	الرياء يبطل الأعمال:
١٧٥	خطر الرياء:
١٧٧	إيضاح لمعاني حديثي أبي هريرة وأبي سعيد الخدري - رضي الله عنهما:
١٧٩	أقسام الرياء:
١٨٠	حكم العبادة إذا لابسها الرياء:
١٨٢	المبحث الثاني:
١٨٢	الشرك في الإرادة:
١٨٢	تعريف شرك الإرادة:
١٨٢	الفرق بين الرياء وشرك الإرادة:
١٨٣	خطر شرك الإرادة:
١٨٣	تفسير قوله تعالى: { مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا } الآية
١٨٦	تفسير قوله تعالى: " [مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ] الآية
١٨٨	أمثلة على شرك الإرادة:
١٨٨	تنبيه: فإن قيل: هل يدخل فيه من يتعلمون في الكليات أو غيرها، يريدون شهادة، أو مرتبة يتعلمهم؟
١٨٩	ملاحظة:
١٨٩	شرح حديث: "تعس عبد درهم..":
١٩١	المبحث الثالث:
١٩١	((شرك المحبة))
١٩١	معنى شرك المحبة:
١٩١	تفسير قوله تعالى: " وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ " الآية
١٩٢	قوله: "يحبونهم كحب الله"
١٩٣	أقسام المحبة:
١٩٣	أولاً: المحبة الشرعية:
١٩٣	ثانياً: المحبة الشركية:
١٩٤	ثالثاً: المحبة المحرمة:
١٩٥	علامات المحبة التي هي عبادة:

المبحث الرابع :	١٩٦
((الشرك في الخوف))	١٩٦
معنى الشرك في الخوف :	١٩٦
تفسير قوله تعالى: " : " إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ "	١٩٦
أقسام الخوف:	١٩٨
١:خوف عبادة	١٩٨
٢:خوف شرك	١٩٨
٣:خوف محرم	١٩٨
٤:خوف طبيعي:	١٩٨
٥:خوف وهمي:	١٩٨
ومن الخوف المذموم ترك الحق والصدع به خوفا من الناس أو كراهية ذمهم له أو إرضاء لهم:	٢٠١
الخاتمة	٢٠٤
قائمة المراجع	٢٠٧
المحتويات	٢٠٩